## الإهداء

إلى كوكبة الأنوار

إلى نورة الأرضِ، وأرض النّور

إلى نورة القلب، وقلب النور

إلى الأسيرة قبل الأسرى..

إلى التي نحنُ لأجلها أسرى، وبحبها أسرى، إنها القدس

إلى نورة الفؤاد، والتي ما تزال تتسع من أجلها الأنوار؛ أمي الحنون

إلى نورة الحياة، وحياة النور.. زوجتي نورا

إلى نورة البيت، اسمها نجاح ولقبها سماح.. أختي الطاهرة

إلى نور الدروب، ودرب النور.. والدي الصبور

إلى نور السماء، وسماء النور.. شقيقي الشهيد عبد الحافظ

إلى إخواني الأنوار.. تامر، ومحمد، وأحمد

إلى أنوار شهداء فلسطين، وفي مقدمتهم الرنتيسي والياسين

إلى الأنوار، قادرة وفاء الأحرار، الجعبري وفروانة والرنتيسي

إلى مشعل الأنوار، وأنوار المشاعل؛ مشعل وهنية

إلى الأنوار خلف الأسوار؛ الأسرى في سجون الاحتلال

إلى الأنوار المحررين في وفاء الأحرار، وفي مقدمتهم توفيق أبو نعيم ويحيى السنوار

إلى كل نورة أعزت، أو عز أنار، أهدي هذا الإصدار

لتنير الفجر للأحرار خلف الأسوار

❋ ❋ ❋

# تقريظ
## ضرار أبو سيسي

إن الحمد لله الذي قال في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين والقدوة القائد البشير النذير وعلى آله وصحبه ومن والاه.

بين يديّ كتابة هذه المقدمة، كنتُ وما زلت أنفض عن كاهلي وعن نفسي غبار الألم، والأوجاع بعد خروجي من العزل الانفرادي، الذي استمر لأكثر من ثلاث سنواتٍ ونيف، وقد كنتُ في بيت الوحدة وأخ القبر، كما قيل السجنُ شماتة الحاسد ومناحة الصديق يطوي فيه العمر، كطي السجل للكتب تقف فيه عقارب الساعة ويتصنع فيه الزمان لحظة دخولك إلى هذه المدافن الحية، وكأنَّ الشمس حجبت بمرابط من حديد، فيرقد فيه الخاطر ويتجمد، وتذوب فيه النفس، وتنقطعُ الآمالُ إلا من الله الواحد القهار.

في الزنزانة تذاق حياة البرزخ لكل شيءٍ قديم، لا جديد فيه إلا وجهُ السّجان، فالسجن لمن لم يجد به يستحق الشيء، ويجلد الهرم السجين، لا حيّ فيدعي ولا ميت فينفى، ولكن من ناحية أخرى فإن السجن مدرسة الصابرين ومنبع الأجور وجامعة التجارب، فيه تقلبُ الأفكار وتسقط فيه العبرة وتقادُ النفس لتقليم أظافر

الشهواتِ وتخبو فيه المعاصي في السجنِ تعرف حقيقة الحياة، ومعنى اليوم، والغد، والأمس، فأنت قد نزعت من جذورك من بين أهلك وأحبابك إلى عالم الكراهيةِ والحقد المدهون، فيهِ تظهر حقيقة حبك لله، وتبدأ فيه أسماك الرياء، وترى فيه حقارة المناصب، وكثافة السّجان، وتذهب به، فالمال لأنك لم تعد بحاجة له، فالحبس نار تذيب كل شوائب الحبس من الحسب والمقدر واللؤم، وهو كي يفوح ووعيها حتى نعلم أنها في حالة وعي حقيقي لا غرور لا تكبر، ولا كذب فيهِ، ولا خديعة فأنت تعيشُ مع إخوانك على صورتك الحقيقية في كل يوم على مدار السنة، لذلك لا مفر من أن تعيش على حقيقتك، وضمن طباعك وأخلاقك، وقد حاول أخي الكريم خالد السيلاوي أن يكتب تجربة مر بها هو، وقد مرّ بمثيلها الآلاف من الأسرى الفلسطينيين وهي بشكل أو بآخر صورة حقيقية قريبة أو بعيدة من الواقع، وقالب مكرر لكل قصة مؤلمة من قصص الأسرى، وقد أكبرت بأخي عرضه لقضايا مهمة وحساسة في هذا الكتاب، كما وهي تجربته الشخصية التي لم يحاول أن يخفي منها تفاصيل، لطالما خجل من الكثير من الأسرى، وخاصة موضوع السقوط عند العصافير، والتي هي من أكثر الأبواب حرجاً وألماً للأسرى، لما فيها من ذكريات مؤلمة لا يحب الأسير الخوض فيها، أو تذكرها، فهي مذاق ذو طعم أمر من العلقم، وقد استطاع أخي الكاتب أن يعرضها بشكل متجرد من خلال ما حدث معه شخصيًا، وأرجو أن يستفيد المعنيون من هذه الأمور، وكذلك العرضُ المفصل لوضع الأسرى في السجونِ، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف السجون في الشدة والمعاملة من مكان إلى آخر، مع العامل المشترك في كل السّجون ألا وهو محاولة كسر شوكة الأسرى وإذلالهم، وامتهان كرامتهم، وخاصة في مواضيع التفتيشات المهينة العارية، والنقليات، الزنزانة الانفرادية، العزل، العلاج وغيره. وقد عرض أخي الفاضل خالد في هذا الكتاب غيضٌ من فيض، من قصص الأسرى الحقيقية

الرامية لإظهار جوانب من آلامهم وآمالهم، وأضيفُ مثالاً بسيطًا؛ هل تتخيل أن توضع قدم السجان المجرم على وجوه سجدت لله، ولكن في المقابل لا يمكن أن تتجاهل أن انجازات الأسرى، ومواجهتهم لإدارة السجون ومن خلفهم يعكس رجولة وإقدام هذا النوع من البشر، هم خيرة شباب هذا الوطن، هم خلف القضبان، ولولا أنهم أذاقوا العدو الكثير من العلقم فقدموا دروساً في التضحية والفداء، ما كانوا في غياهب السجون.

وأوجه كامل الإخوة الأسرى مذكراً إياهم أن الدنيا ساعة وسوف تمرُ بحلوها ومرها، والأحزان والآلام كلها إلى زوال، فإما أن ترحل بدافع البلاء، وإما أن ترحل أنت عنها بالموت، حيث جنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين، واعلم أن التفاؤل القائم عند الأسرى هو وقتُ الفرج، متى تذهب الأحلام ومتى تأتي السعادة، متى نرى النور في نهاية هذا النفق، لذا كل لحظة وساعة بداء النفس الآن، التي تعيش في العصر الأسود، وأقول لإخواني الأسرى ولنفسي: إذا تراكمت عليك الهموم، وهاجت عليك، فلا تقل إن همي كبير، ولكن قل يا هم عندي رب كبير عظيم رحيم يجيب المضطر ويرفع البلوى.

واعلم يا أخي أن الله ما ابتلاك إلا ليطهرك، ويرفعك، وليس ليعذبك، وهذا من علامات حبه سبحانه وتعالى، فأبشر واسعد وتفاءل... خارج الأسر، فنتذكرهم دائما بالحكم الشرعي للأسرى وواجبهم تجاه المظلومين، فقد قام مهندس بعرضها كتاباً بالتفصيل، ولم يترك جانب من الجوانب المهمة إلا وتطرق له وتذكر محاولاً تفصيله.

ولا أغفل عن ذكر حسنة الأخ أنه عرض مواضيع جريئة، وخاصة، وذلك هو من تجربته الخاصة، وما فيها من أمور حساسة تخصه شخصيا، ربما كثيرٌ من الناس أعرض ويعرض عن الكتابة فيها وهو يسجل للأخ خالد شفافيته وموضوعيته.

# خلاصة

هذا الكتاب وافي في حقيقة عرضه للحظات الأسر، وكذلك حقيقة أنه مرجع في وضع الأسرى والأسر في العصر الحالي وخاصة أسرى فلسطين، وما يعانون، وهو وثيقة تطرح بموضعية صورة المعاناة والعذابات التي يعيشها الأسرى في السجون الإسرائيلية.

وأدعو أن ينشر هذا الكتاب على أوسع وجه حتى يعلم القاصي والداني ما هي الظروف التي يتعرض لها الأسير من لحظة خروجه، أشكر الأخ الفاضل على هذا المجهود الطيب، وأتمنى أن يكون له منها الأجر العظيم، وأتمنى عليه أن يعمل على إصدار موسوعة قصصية تعرض حالات حية من قصص الأسرى لما فيها من العبر لأن قارئها سيتعجبُ كل العجب من طبيعة وحقيقة حجم المعاناة.

مع أمنياتي أن يفرج الله كرب الأسرى المسلمين جميعًا، وفي كل مكان، وفي كل بقاعٍ من هذه المعمورة، وخاصة فلسطين.

**أخوكم ضرار أبو سيسي**

**سجن نفحة**

٢١/ ٥/ ٢٠١٥م

# تقديم

## م. وصفي عزات قبها

تُعد عقوبة السجن من أقسى العقوبات التي عرفتها البشرية، فهي عقوبة لا إنسانية ولا تنسجم مع آدمية الإنسان حيث تُسلبُ حريته، وتُغتصب إرادته ويصبح رهين نمط وروتين حياة وعيش يُفرض عليه، وحيث لا يملك من أمره شيئاً من حرية الاختيار والتصرف، ولهذا تعتبر حياة السجن حياة قهر وإذلال وبين تفاصيلها صور وأشكال من المعاناة والمحن والشدائد، وهي قاسية وشنيعة بكل المقاييس، فالأسير يموت في كل يوم مئة مرة ومرة، وحيث يعاني الأهل والعائلة طوال فترة سجنه.

إن الحياة الاعتقالية هي تجربة نضالية معمدة بالدم صاغها الأسرى بدمهم وجوعهم وأعصابهم وقدراتهم على التحمل، والصمود أمام آلة القمع والتنكيل الصهيونية، والحياة الاعتقالية هي انعكاس لتجربة تزخر بالألم، ومساحة واسعة من الأمل، حياة الأسير يفرض فيها أجواء الموت، ولكن الأسير التي حالته عنيدة تمردت على اللاحياة، وتجربة الأسير كتبت بالإرادة وصاغت حروفها المواقف... والإنسان يقاس بمجموع مواقفه، ومحصلة هذه المواقف، ولا شك أن رحلة التحقيق وما يتعرض له الأسير بين أقبية التحقيق، والمعتقلات وإدارة الصراع مع السجان فن يتطلب تجارب ومواهب وصبر وجلد.

التجربة الاعتقالية فريدة من نوعها وخاصة أنها تجربة نضالية ودوافعها سامية ونبيلة وأهداف وطنية لا علاقة لها في قضايا وأمور جنائية، فالأسير مقاتل حرية

وخلف القضبان يترسخ وينضج وعيه الوطني والتنظيمي والثقافي أكثر منه خارج السجن، هذا الأسير الذي سطر صفحات مشرقة من الجهاد والمقاومة، وصفحات مشرقة من الفداء والبلاء والتضحية والشجاعة والصبر والاحتساب، ومن يتابع الشأن الاعتقالي يعلم أن المراحل الأولى من تجربة الأسرى الفلسطينيين والعرب في الأسر كانت متعثرة إلا أنها صمدت في وجه الهجمة الشرسة من قمع وإذلال ومحاولات لكسر المعنويات وتحطيم الإرادة ومن يقف ويتبين الأبعاد الاجتماعية والنفسية والثقافية في حياة الأسير يدرك أن إدارة مصلحة السجون تهدف إلى تحويل الأسرى إلى كمٍ بشري محبط يندب حظه، ويتندم على ما قام به من أعمال مقاومة الاحتلال في إطار واجبه الوطني تجاه أرضه وشعبه وقضيته، أسير محبط مكسور يعيش في أجواء إحباط ويأس، وقد انكسر على صخرة ألم القيد، ومعاناة السجن وبطش السجان في محيط ثقيل ومتعِب، أسير مفرغ وطنياً وإنسانياً، وأمام تلك الأهداف الخبيثة والماكرة، كان لا بد من الأسرى أن يتنبهوا جيداً لسياسات الاحتلال وأهدافه وهو يتعامل يومياً مع آلاف الأسرى، لذلك صاغ الأسرى استراتيجيتهم الوطنية والإنسانية لإفشال هذا المخطط وجعل حياة الأسر منتجة بل وتستجيب لإعادة صياغة الإنسان في أتون المعاناة والقهر، وليكن السجن خلوة مع الله، صحيح أن الأسير في المحصلة النهائية إنسان من عظم ولحم، ودماغ وأعصاب ولديه طموح، وهو بالتالي يقوى ويضعف، يخطئ ويصيب، يتنفس وينتكس، يعمل بهمة ونشاط ويفتر، ولكنه يتعلم من تجاربه.

فالاحتلال وبوضوح تام يمارس أساليب تهدف لتحويل كل لحظة اعتقال للأسير وعائلته لمسلسل عذاب مرير ففي كل يوم تبتدع إدارة السجون إجراءات تعسفية مؤلمة، وتضيف في كل زيارة هموماً ومعاناة قاسية، حتى أن الأهل يشعرون أنهم أسرى مع أبنائهم خلف القضبان بعد أن تجرع عذابات التحقيق وألم الاعتقال

لما لها من آثار وانعكاسات على من يذهب للزيارة، فعذابات أبناء شعبنا التي عاناها وقاساها ستبقى مشاهد وصور محفورة في الذاكرة ما حيينا، وهي بحاجة إلى من يوثقها بقلمه ويرسمها بريشته ويخرجها بقلمه، وقد تناولها الكاتب الأسير خالد السيلاوي في الفصل السابع من كتابه، وهو يتحدث عن زيارات ذوي الأسرى، وما يرافقها من مواقف محزنة ومؤلمة، وقصص وحكايات قد تكون أغرب ما يخطر على بال من لم يعايش هذه التجربة، ولا شك أن الأسير حين يكتب فصول تجربته بقلمه يصيب الهدف بدقة، أكثر من أن يسرد قصته على مسامع كاتب حتى لو كان محترفاً وقديراً ليقوم بصياغتها وتدوينها، وهذا ما فعله وحرص على تقديمه الكاتب المبدع الأسير السيلاوي، الذي سطر تجربته من دون روتوش أو تضخيم ومبالغات، وهنا نلمس أن تجربته الاعتقالية زاخرة بالأحداث والتضحيات، ولا شك أنها تختلف من أسير إلى أسير في بعض الجوانب والتفاصيل، وإن تشابهت إلى حد كبير في المراحل التي يمر بها الأسير من لحظة اعتقاله حتى تحط به عصا ترحال الاعتقال في سجن من السجون المنتشرة عبر أرجاء الوطن السليب وقد قدم لنا الكاتب في الفصل الثالث، وبتفاصيل التفاصيل يوماً في حياة الأسير منذ أن يفتح عينيه ويقرأ ما تيسر له من أدعية الصباح «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما آماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي رد إلي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره، أصبحنا وأصبح الملك لله، لا إله إلا هو وإليه النشور»، وحتى يضع رأسه على وسادته مضطجعاً على يمينه بعد أن يتوضأ وضوءه للصلاة، ويقرأ دعاء النوم «**اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيِّك الذي أرسلت**»، وجدير الإشارة بهذا السياق أن الحياة الاعتقالية تختلف أيضاً من سجن إلى سجن في بعض الجوانب من الحياة اليومية، وتعتمد حيوية يوم في حياة الأسير، إلى حدٍ كبير على وجود العناصر المؤثرة

والكادر الواعي وطنياً، والمبادر ليأخذ على كاهله النهوض بالواقع الاعتقالي من مختلف جوانبه، وبشكل عام فإن كل أسير قد سجل محطات مشرقة ووضع بصمات مؤثرة وذات قيمة خلال مسيرته الاعتقالية وعلى الحركة الأسيرة برمتها، بدءاً من ليلة الاعتقال وانتهاءً بالتحرر، وقد يصعُب استرجاع بطولات وتضحيات الأسرى الذين لم يوثقوا تجاربهم، عطاء وتضحيات قد تتقاطع كثيراً، فالتجربة الاعتقالية غنية وثرية، وهي مسيرة حافلة وزاخرة بالأحداث والصفحات المضيئة، والحركة الأسيرة قد سجلت نجاحات كثيرة وقدمت مقابل ذلك تضحيات كبيرة ودماء عزيزة وغالية وبهذا الإطار فقد قدم الكثيرون شهاداتهم ووثقوا تجاربهم، إيماناً منهم بأن هذه التجارب هي ملك عام وليست ملك خاص لهذا الأسير أو ذاك، ولكن لا زالت المئات من التجارب الغنية والزاخرة لم توثق بعد.

لقد تعرض مئات الآلاف من الفلسطينيين للاعتقال والقتل والاغتيال والإبعاد والنفي عن أرض الوطن، والفلسطيني قد عانى الكثير ومما يتجاوز قدرة التحمل الإنساني، ولعل معاناة الأسير الفلسطيني بكل أبعادها هي نموذج حياة القهر والإذلال، فهو يحترق خلف القضبان، ورحى سجون الاحتلال تطحن سنوات عمره، وزهرة عمره تذوي من أجل قضية مقدسة واسترداد حقوق شعب مغتصبة، والأسرى الفلسطينيون يسرجون قناديل حرية شعبهم بزيت أعمارهم، فهم شموع الحرية التي تحترق لإنارة درب الحرية، وعند الحديث عن السجون فالمعاناة مركبة، فمع الأسرى هناك الأهل والأقارب يعانون أيضاً، فعند استذكار الأهل ومعاناتهم تقفز إلى الأذهان أشرطة طويلة من الذكريات والمشاهد المؤثرة والصور التراجيدية، فالذاكرة تختزن الكثير من الصور، وتحتضن أشياء وأشياء من مشاهد وصور للأحداث والمواقف المختلفة ومواجعها الأليمة، سواء تلك التي تخص الكاتب بشكل شخصي ومباشر أو تلك التي كان شاهد عيان عليها وتتعلق بزملاء الأسر والقيد، ورفاق المعاناة والألم،

وما أكثرهم؟! وقد يصعب تذكر تفاصيل أوجاعها المؤلمة، إلا أن الكاتب قد تحدث وتناول في الفصل التاسع قصصاً من معاناة الأسرى التي رأى في ذكرها والتطرق اليها من باب الواجب عليه، والحديث عن حكايات الأسر، وتجربة الأسرى الفلسطينيين وما يتعرضون له من مواقف إنسانية وعاطفية ووجدانية وغيرها وهم يرسفون بقيودهم خلف القضبان، حديث ذي شجون ويبعث ويثير كوامن العاطفة، حكايات كثيرة، حيث لكل أسيرٍ حكاية وقصته الخاصة بأبعادها وجوانبها المختلفة تشكل وبمجموعها حكاية وقصة إنسانية بامتياز، وكل حكاية بتراجيديتها تختلف عن الأخرى.

وقد يصدم القارئ وهو يتابع تفاصيل هذه الحكايات من حجم المعاناة والألم بفعل ممارسات الاحتلال السادية والممنهجة، ولا شك أن هذه الحكايات تعكس الوجه الحقيقي للاحتلال الذي يصرّ على امتهان الكرامة الفلسطينية وإذلال الفلسطيني وممارسة أقسى صور وأساليب القمع والقهر عليه، وحيث يستعرض عضلاته وقوته على شعب أعزل، وأسرى لا يملكون إلا قوة إيمانهم وإرادتهم التي لن تقهر ولن تنكسر ولا أبالغ إذا قلت أن هناك الآلاف من الحكايات والقصص التي يمكن صياغة كل واحدة منها سيناريو فيلم، تقدم صورة هادئة وعميقة ومعبرة عن معاناة الأسير، وتسلط الضوء وتكشف حقيقة وجه الاحتلال البشع.

حكايات الأسرى الفلسطينيين بدلالاتها وما تحمل من معاني تؤكد على أن هذا الشعب لن يقهر، فالأسير لن يكل ولن يمل، ولن يهن ولن يستكين، وسيبقى بصموده كالجبال الراسخة، وسيبقى الصبر يتجلد بصبر الأسرى وأهاليهم وذويهم، وسيبقى يسير في طريق الحرية والاستقلال واستعادة الحقوق مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات، ومن يُقدم دمه وسنوات عمره رخيصة فداءً للوطن والشعب والأقصى لن يفت من عضده ولن ينال من عزيمته كل إجراءات الاحتلال، وبنفس الوقت فإن الفلسطيني الإنسان وعلى الرغم من الظلم والاضطهاد فهو يحب ويعشق

الحياة، ولكن حياة العزة والكرامة، وحياة الحرية، فحكايات وقصص الأسرى درامية وتحمل في فصولها الكثير من المعاني وليس أقلها كشف مدى الجرم الإسرائيلي وحيث غياب الأسرى القسري، بينما الأمهات ينتظرن عودة فلذات الأكباد، قصص تعكس حجم المعاناة والألم المقطر والمصفى التي تعيشها الأسرة والعائلة الفلسطينية، والأبناء الأسرى الذين ذهبوا بغير إرادتهم في غياهب سجون الاحتلال، إنه الحرمان والفراق، إنها المعاناة الفلسطينية بمذاقها المر والمميز، والخاص بمرارته وعلقمه، فالزنازين في مراكز التحقيق والسجون وأسوارها العالية وقضبانها لا زالت شاهد حي على عمليات البطش والتنكيل وحيث ذاق الأسرى مرارة وعذابات عتمتها في ظل قهر السجان وحراب الاحتلال وهذه الصور التي نجح الكاتب في تقديمها للقارىء وبلغة سهلة في الفصل الرابع عندما تحدث عن رحلة البوسطة (سيارة نقل الأسرى)، والمحاكم العسكرية وما يتخللها من مهازل، ومسلخ الرملة الذي يسمى زوراً وبهتاناً عيادة سجن الرملة.

اليوم والعالم يتابع القفزات والوثبات في عالم التواصل الاجتماعي وإمكانية تخزين وتوثيق محطات سيرة الإنسان بأعلى درجات التقنية والدقة التي توصلت إليها العقلية البشرية لدرجة مبهرة، فيدور الحديث عن اليوتيوب والانستغرام، وخدمة الانستغرام سيف (Save Insragram) وما تقدمه للإنسانية وتفتح من آفاق توثيق الصور بالكاميرات الحديثة، والكاميرا هنا هي بندقية أيضاً، والرجل الذي يحمل الكاميرا هو محارب قناص، يتصيّد الصور التي تقدم صورة حقيقية لمعاناة المواطن الفلسطيني، صور قد تهز العالم بأبعادها الإنسانية، وقد تغني عن الكثير من الجهود والوقت والمال لتوصيل المعاناة الفلسطينية، ووجه الاحتلال البشع وتخزن وفق أدق درجات التخزين للأجيال القادمة ولكن تبقى الذاكرة الإنسانية تتفوق على كل ما تفتقت عنه التكنولوجيا **فالأسير الفلسطيني وهو حجر الرحى في**

**المعاناة الفلسطينية** وفي هذا الأمر، وهو الذي مرَّ أكثر من غيره بمراحل ومحطات تبدأ بالملاحقة والمتابعة ومن ثم الاعتقال فالتحقيق وقد تحط عصا ترحال الاعتقال به في السجن وهنا ليس غريباً أن يعيش حياة العزل في زنزانة حقيرة تفوح جدرانها وتبعث فيها الأوجاع والآلام والإحباط واليأس، وحيث لا تواصل مع العالم كما تحدث الكاتب في الفصلين الأول والثاني وهو يتحدث عن لحظة الوقوع في الأسر وجرائم الزنازين ومكر المحققين، فذاكرة الأسير هنا لا تفوت صغيرة ولا كبيرة إلا وتوثقها وتختزنها وتحتضنها كما فعل الكاتب الأسير خالد السيلاوي، الذي لم تفوته أيضاً وهو يتذكر طول الساعات والبطء الشديد في مرور الوقت وحالة القلق التي تنتاب الأسير وتحديداً عندما يعيش حياة العزل كما ورد ذلك في الفصل التاسع من الكتاب وحيث تحدث عن العزل الانفرادي وآلامه، وحيث هموم الوطن والأهل تبقى معه وتلاحقه حتى في أقسى حالات الألم والمعاناة، وهنا تبدأ المعركة الحقيقة، كيف للأسير أن يتغلب على كل تلك الأجواء والممارسات القهرية والسادية التي يفرضها الاحتلال بطرق وآليات مدروسة نفسياً وممنهجة أيضاً، وأمام ذلك تتجلى إرادة الأسير في معركة صراع الإرادات وهو يعلم مسبقاً أن إرادة الله غالبة وعندها يعيش حياة الأمر الواقع برضاً وقبول عن طيب خاطر بما كتبه الله وقدره له، ويتصدى لكل إجراءات الاحتلال السادية بإيمان عميق وإرادة صلبة، ونفسية عصية على الانكسار فيتجاوز المحن المتتالية ويسجل النقطة تلو الأخرى في مرمى مصلحة سجون الاحتلال وذلك بصبره وصموده وإغاظته، وفي محطات أخرى كيف يوظف الأسير آلام جوعه في معارك الأمعاء الخاوية حتى يتمكن من انتزاع حقوقه وتحسين ظروف حياته الاعتقالية كما لخص الكاتب ذلك في الفصل السادس، فالإضرابات عن الطعام وما تحويه من قصص بطولية تشبه الخيال، والتي سطر آخر ملاحمها الأستاذ الصحفي محمد القيق في صور جهادية فريدة استمرت **٩٤** يوماً.

إن تجارب الأسرى بمجملها قد أسهمت كثيراً في تشكّل الوعي السياسي والوطني والأمني وحولته إلى ممارسة جماهيرية أكثر فعالية وأكثر شمولية كون الأسير محط احترام ومصدر إلهام لكل الباحثين عن الحرية وحياة العزة والكرامة، وقد نجح الأسير خالد السيلاوي بتسليط الضوء على جريمة الاعتقال، وكشف من خلال تجربته أساليب ووسائل وأهداف الاحتلال، من جراء هذه السياسة التي تنتهجها سلطات الاحتلال بحق أبناء الشعب الفلسطيني، والتي تعتبر أحد أهم الأساليب والوسائل الأساسية لقمع الشعب الفلسطيني ومقاومته، هذه السياسة التي طالت أكثر من ربع سكان فلسطين التاريخية من العرب والمسلمين، كما واستطاع الأسير السيلاوي من تسليط الضوء أيضاً على أساليب التحقيق التي تمارسها أجهزة الأمن الصهيونية مع المعتقلين، لانتزاع الاعترافات منهم والإيقاع بهم وخداعهم، وأبرز ممارسات التعذيب والتنكيل، وهنا أثمن عالياً جرأة وصراحة الأسير السيلاوي والتي تجلت في رواية تجربته في غرف العار «العصافير» وهو يكشف عن تلك الوسائل من التمويه والخداع والتضليل التي يمارسها عملاء الاحتلال في الزنازين، وفي غرف العار، ليضع تجربته أمام الجميع من أجل الاستفادة وأخذ الدروس والعبر في كيفية التصدي لآليات مواجهة التحقيق وحماية المعلومات، باعتبار ذلك واجباً دينياً ووطنياً وأخلاقياً، وفق القاعدة الشرعية «**استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان**».

إن الأسرى ومعاناتهم يشكلون مثالاً حياً لأهمية الحرية في حياة الشعب الفلسطيني الذي قدم الدماء من أجل حريته، حيث أن المقاومة ومن خلال التجارب كأنها أثبتت أنها الطريق الأقصر إلى الحرية، خاصة أن الاحتلال يعتبر كل أشكال المقاومة حتى الشعبية منها أعمال إرهابية، وهنا لم يغفل الكاتب عن مناشدة الجميع من أجل إنقاذ الأسرى كما أفرد لذلك في الفصل التاسع.

إن القيادة الحكيمة هي التي تسعى على الدوام غرس وتعزيز منظومة قيمية متكاملة أساسها، جملة من القيم الوطنية والأخلاقية والدينية وهذا ما يعزز الصمود المقاوم لكل سياسات وجرائم الاحتلال وهكذا استطاع الأسرى من رفض الصمود الساكن في السجون بل كان لا بد من التصدي لكل محاولات الاحتلال للمس بحقوق ومنجزات الأسرى الأمر الذي تطلب الإبقاء على روح الانتفاض والتصدي حيّة في نفوس الأسرى وأن يكون الأسير مستعداً في أي لحظة للاستنفار ومقاومة التغول والاستبداد وهذا لا يتم إلا من خلال تعزيز قيم الصمود في إطار الصمود المقاوم للأسرى وحيث رفض كل إجراءات القمع ومحاولات امتهان الكرامة وسياسات الإذلال التي تتبعها إدارات مصلحة السجون وهذا يتطلب وعي وطني رافض ومقاوم أكثر.

قد يصعب على أي باحث الإحاطة بجميع جوانب الحياة الاعتقالية في كافة السجون بكافة تفصيلاتها اليومية ولكن هذا الأمر ليس صعباً على أسير عاش الاعتقال بكل مراحله وتنقل بين السجون والمعتقلات كما هو حال الكاتب السيلاوي، الذي وقف مطولاً على بعض المحطات وأخذ نماذج عامة لفهم صيرورة هذا النمط من النضال والمواجهة مع الاحتلال وحيث التماس اليومي ما بين السجان والأسير الفلسطيني «مقاتل الحرية» وحيث الواجب الوطني يُحتم مناهضة إجراءات السجان النفسية وعدم السكون أو القبول بمواقف التهاون، حيث أن الممارسات النضالية اليومية، والوعي السياسي والبنية التنظيمية والهيكلية الإدارية تحدد المقاربات من الصمود المقاوم أو الصمود الساكن، ولا شك أن جميع تجارب العمل التنظيمي والنضالي في سجون الاحتلال تشكل نماذج ملهمة وإن كان حجم الإلهام نسبي من تجربة إلى أخرى.

الشهادة هي قول الحقيقة كما هي بأحداثها وتفاصيلها، مجردة دون رتوش والحقيقة ما كانت في يوم من الأيام خيالاً يلتهب وحماسة تشتعل لأفكار مبهمة من نسج الخيال، ومن يقف بكل ثقة وشجاعة ويقدم الحقيقة ويكشف ويزيل عنها النقاب والستار، هو الأكثر انتماء لفلسطين أرضاً وشعباً وقضية، إن الوقوف على المحطات في رحلة عذاب الأسرى هي عملية نكأ الجراح، فسيرة ومسيرة كل أسير عبارة عن ذكريات وفيلم تزخر بالأحداث وهي عبارة عن حكايات كثيرة ومتنوعة، تساهم في توصيل آهات وأنات ممن غيَّبهم الاحتلال قصراً في بطن الحوت، وهذا ما نجح به الكاتب خالد السيلاوي، حيث جعل من فصول كتابه زفرات ألم ومعاناة لعلها تصل إلى القراء فيشعرون بحال الكاتب الذي هو صورة وانعكاس لحال كل الأسرى، فحكاية أسيرنا الكاتب هي حكاية كل الأسرى، وهي تجربة واحدة من مئات آلاف التجارب التي آن الأوان كي تُسطر كلمات وسطوراً وترى النور فهي ملك الشعب والأمة وكل أحرار العالم كي يعرفوا ما يدور هناك بين الجدران المظلمة، وحيث يغيب بشر لا يعرفون من الحياة إلا لوناً واحداً ومذاقاً واحداً، وكيف لهم أن يعرفوا غير ذلك وهم المغيبون في غياهب السجون ومدافن الأحياء، وحيث تتكدس الأجساد في علب إسمنتية شبه صماء، وقد أبدع الأسير الكاتب خالد السيلاوي وهو يقدم روايته ويقص حكايته ويضع تجربته بين أيدي الجميع، تجربة فقدان الحرية، وهو الذي سُلبت حريته عنوة، وانتهكت كرامته، إنها تجربة الألم والقهر في ظل محدودية أدوات المقاومة والرفض والرد على إجراءات السجان، وحيث تقتصر على آليات وأساليب لا ترتقي إلى ما لدى السجان من وسائل قمع وقهر وضغط.

إن القارىء يستطيع أن يبحر في كتاب الأسير خالد السيلاوي ويتعرف على واقع السجن ومرارته وهو يحاول طرق جدران الخزان، إن تجربته رسالة من المؤمل أن تصل إلى آذان كل مسؤول ومؤسسة وفصيل وتنظيم لعلهم يدركون

المعنى الحقيقي «**لو فنيت خزينة الدولة الإسلامية من أجل فكاك أسير واحد لوجب على الدولة فعل ذلك الواجب**»... إنه الحث على تحقيق الحرية لأولئك المقهورين والمظلومين والمعذبين والمكلومين والمجروحين بعيداً عن كاميرات التوثيق وشهود العيان.

يخطىء من يظن أن معاناة الأسير تنتهي مع انتهاء التحقيق بل هي مرحلة طويلة من المعاناة يتجرع عذاباتها الأسرى وأهاليهم وذويهم، وما الاعتقال ووحشيته والتحقيق وأساليبه إلا محطة من محطات الألم والمعاناة في حياة الأسير، هذه الحقيقة التي أكدَّ عليها الأسير الكاتب الأسير خالد السيلاوي الذي أشعل فينا المواجع، والذي قدم جملة من التوصيات والاستنتاجات.

لقد قام الأسير خالد السيلاوي بجهد مشكور وهو يوثق معاناته ويقدم تجربته في ظل عزوف الغالبية عن القيام بهذا الواجب الديني والوطني والأخلاقي، **ولا أبالغ عندما أعبر عن إعجابي وتقديري واحترامي لكل من** يستشعر المسؤولية من الأسرى ويقوم بتوثيق وتقديم تجربته الاعتقالية بمحطاتها وصفحاتها، ويضعها في متناول الجميع، وتحديداً لكل من يريد أن يستفيد ويسترشد بتجارب الآخرين وهو يشق طريقه نحو الحرية والاستقلال، وإن رموز وقيادات الأسرى يتحملون المسؤولية عن أي تقصير بأمانة الكتابة والتوثيق لتجاربهم الخاصة، وحث الأسرى وتشجيعهم على الكتابة والتدوين والتوثيق لأن في ذلك انعكاس لحالة الوعي الوطني من خلال الوعي بالزمان والمكان. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن إرادة الأسير تتحدى كل الصعاب وتتجاوز المعيقات، وهي لا تعرف المستحيل، فالأسير لا يُعدَم الوسيلة للقيام بواجبه الوطني في هذا الإطار وتوثيق تجربته، لأن تجارب الأسرى هي ملك الشعب قبل أن تكون ملكهم الشخصي أو ملك حصري للتنظيم الذي ينضوون تحته، وينتمون له، فروح الإصرار على التدوين يجب أن تكون حاضرة نظراً لأهمية

التجارب وضرورة توفيرها كونها تجارب غنية تفيد الآخرين بطريقة أو بأخرى، وهناك من اهتم بهذا الأمر وحرص عليه واستشعر الأمانة وكتب وحث غيره على الكتابة، فالمهم رواية تاريخ الحركة الأسيرة بكل أحداثها ونضالاتها وأبطالها من خلال تجارب الأسرى الفردية والجماعية، وليس فقط تحديد تاريخ عمليات تبادل الأسرى وأيام استشهاد بعض الأسرى في سجون الاحتلال، وفي حكاية الأسير خالد السيلاوي فهي كتابة وتوثيق لتجربة سيرة نضال فلسطينية كما شاهدها وعاصرها الأسير خالد، ولا زال جزءاً منها، فهي ليست مجرد تجربته الذاتية، بقدر ما هي تجربة نضال شعب بدأت بعض أحداثه تدخل طي النسيان، ولم يعد أحد يتذكرها، فكان من الضروري توثيق ما حصل معه، فهذه التجربة في هذه المرحلة من الأسر هي تجربة الأسرى أكثر مما هي تجربته الذاتية داخل الأسر لقد ناديت وناشدت العديد من الأسرى كي يقوموا بكتابة تجاربهم وتوثيقها وبينت لهم أهمية التوثيق بالأحداث والتواريخ في مسيرة الحركة الفلسطينية الأسيرة التي يعتز الجميع بتصحيحاتها ونضالاتها، وضربت لهم مثالاً بما قام به الثائر الأوروغوايي خورخي تيسكورينا عندما أصر على تدوين يومياته في السجن، فهذا المقاتل والمتمرد لم يستسلم لواقعه المر والمؤلم في السجن، لأنه يدرك أن حركة الزمان لا تغفر للمستسلمين، ولا يمكن لها أن ترحم من يقف جامداً يندب حظ نفسه وكأن الحياة توقفت وجمدت في عتمة السجن، لذلك قام خورخي بتدوين يومياته في السجن وعلى مدار ثلاثة عشر عاماً على أوراق السجائر بعزيمة وإصرار منقطع النظير، وصبر لا يضاهيه صبر ليصبح ما قام به خورخي إرثاً مدرجاً في سجل ذاكرة العالم لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم واليونسكو، إنني إذ أقدم تجربة هذا المناضل والثائر، فإنني أقصد من وراء ذلك استفزاز روح الانتماء والمسؤولية لدى الأسرى خلف القضبان، والأسرى المحررين كي يبادر كل منهم لتدوين وتوثيق وتقديم

تجربته النضالية الاعتقالية، والحكمة ضالة المؤمن حيث نلتمسها لدى هذا الثائر العنيد تيسكورينا الذي وفور وصوله السجن شعر أنه سيمكث فيه وقتاً طويلاً، فبدأ كتابة يومياته على أوراق السجائر. فإذا كان خورخي قد عانى قبل خمسين عاماً، فإن الأسير الفلسطيني يعاني اليوم أضعافاً مضاعفة في سجون الظلم والقهر حيث تمر عليه السنة تلو الأخرى دون أن تسمح له سلطات الاحتلال بالزيارة وتحت ذريعة المنع الأمني فلم يتمكن المجاهد محمود عيسى (أبو البراء) من رؤية حتى والدته وعلى مدار أكثر من عشرة أعوام متتالية، بينما مُنِعت زوجة المجاهد عبد الخالق النتشة (أبو جبير) من زيارة زوجها على مدار فترة اعتقاله المتواصلة لمدة عشرة سنوات متتالية أيضاً، وهناك من الأسرى من منع وحرم زيارات الأهل والزوجات لأكثر من ثلاثة وخمسة أعوام أمثال المجاهدين: إبراهيم حامد، عباس السيد، حسن سلامة، محمد عرمان، محمد جمال النتشة، جمال أبو الهيجا، صالح دار موسى وغيرهم. لقد تمتع خورخي بمعنويات عالية، وبقي مُفعماً بالأمل بأن فجر الحرية قريب، وقد استطاع أن يستفيد من كل وقته في السجن، بعد أن وعي الزمان والمكان، ولم ينظر إلى أيامه الطويلة في السجن على أنها عمر ضائع، بل عمر عاشه بشكل مختلف، وهذا يتطلب الإرادة والعزيمة على عدم الاستسلام للواقع الاعتقالي وحياة السجن المرة والمؤلمة. لقد استطاع خورخي من كتابة مذكراته التي كتبها يوماً بيوم وعلى مدى أربعة آلاف وستمائة وستة وأربعون (٤٦٤٦) يوماً وهي الفترة الزمنية التي قضاها في السجن قبل أن تشرق عليه ورفاقه شمس الحرية. وما أن علمت اليونيسكو بأمر المذكرات حتى أدرجتها في سجل ذاكرة العالم لمنظمة «اليونيسكو» وهذا السجل على درجة من الأهمية حيث يرمي للحفاظ على الوثائق التاريخية ذات الأهمية في كل العالم، فهل عجزت الحركة الأسيرة الفلسطينية بكل تاريخها وسنوات عمرها؟؟؟ وهل عجزت أيضاً المؤسسات الخاصة والداعمة للأسرى

من حثهم على الكتابة والتدوين؟؟؟ ليكون هناك خورخي فلسطيني يقدم تجربة الألم والمعاناة والظلم والاضطهاد التي يمارسها الاحتلال على أسرى الشعب الفلسطيني، **فكل أسير فلسطيني بتجربته ومعاناته قصة بحد ذاته، وحكاية معاناة وألم، يستطيع أن يدونها ويوثقها ويكون خورخي**، نائل البرغوثي، كريم يونس، ماهر يونس، فخري البرغوثي، سعيد العتبة، محمد أحمد الطوس (أبو شادي الطوس)... والقائمة طويلة وكل واحد منهم أسطورة عطاء وصبر وصمود، ماذا يمكن أن يكون خورخي إلى جانب أيٍّ منهم؟! أو إلى جانب المجاهدين عبد الناصر عيسى، عثمان بلال، حسن سلامة، أو جمال أبو الهيجا، أو غيرهم من المجاهدين والمناضلين حيث أن تجربة كل منهم ذاكرة حية لسنوات منها ما زاد عن الثلاثة عقود، كما هو حال أبناء العمومة كريم وماهر يونس حيث دخل كل منهم العام الرابع بعد العقد الثالث في السادس والثامن عشر من شهر كانون الثاني الماضي.

لقد أحسنت منظمة اليونسكو صنعاً وهي تقوم بتكريم خورخي تيسكورينا قبل ثلاثة أعوام ومنحته شهادة رسمية حول مذكراته التي وصفتها بأنها ذاكرة حية لسنوات طوال من العزلة تكشف عن قوة العزيمة وصلابة الإرادة، فليس من السهل أن يقوم الأسير بتدوبن يومياته على ورق السجائر وعلى مدار ثلاثة عشر عاماً، وما قام به خورخي هو الوعي بالزمان والمكان، واستشعار المسؤولية والأمانة الوطنية، وما يُمليه الضمير على المناضل الحر والشريف، وما توجبه القيم الوطنية والأخلاقية، إنه التأكيد على أهمية توثيق وتدوين مذكرات الأسير وضرورة تدوينها وتسجيلها أولاً بأول، فأين الأسرى من هذا الواجب؟؟؟ وأين المؤسسات الحاضنة والداعمة للأسرى؟؟؟ ولماذا لا توجد مؤسسات وطنية ورسمية ترعى هذا التراث وتقدمه إلى العالم أجمع وبكل فخر؟؟ فكل التحية للأسير خالد السيلاوي الذي

امتشق قلمه وخط تجربته مستشعراً بذلك الأمانة والواجب، فبوركت الجهود، وبورك القلم، وبورك المداد.

أسأل الله العلي العظيم، رب العرش الكريم أن يعجل لأخينا خالد وكل الأسرى بنسائم الحرية، فاللهم **فك قيدهم**، وحرر أسرهم، واكشف كُرَبهم، واستر عوراتهم، وآمن روعاتهم، وداوِ جراحاتهم، وسلمهم من كل أذى، وأعدهم إلى أهليهم سالمين غانمين واجمع شملهم بأبناء شعبهم وذويهم.

**م. وصفي عزات قبها**
**جنين ـ فلسطين**

يوم الأحد ٢٤/ ٤/ ٢٠١٦م
الموافق ١٧ رجب ١٤٣٧هـ

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ناصر المستضعفين، ومذل الجبابرة، والعداة الظالمين، قاهر اليهود الغاصبين المحتلين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، الذي طهّر المدينة الطيبة من رجز وخبث اليهود، الشرذمة المفسدة الطاغية على الأرض، أما بعد:

فإن قضية الأسرى وعذاباتهم وآلامهم، تستحقُ كل جهد وعناء وعطاء، تستحقُ ذلك من كل مخلصٍ غيور، أو مجاهد مرابط، أو قائد يبتغي وجه الله، لأن الأسرى ثابت من الثوابت، ولأن قيمة الإنسان أغلى ما يملك الإنسان، وقد أخبر ﷺ؛ أن هدم الكعبة حَجراً حجراً أهون عند الله من إهراق دم امرئ مسلم، فكيف وآلافُ الأسرى خلف قضبان من الحديد، عند أرذل شرذمة وأشرس جبلة، يُسامون سوء العذاب، وتراق دماؤهم في وضح النهار عن عمد وقصد، ولا مغيث لآهاتهم، ولا مجيب لاستغاثتهم ولا ناصر لهم، وقد أوجب الله علينا نصرة المستضعفين، وإعزاز المقهورين وإخراج المأسورين؛ نعم، قد كانت هناك محاولات ومحاولات من مجاهدين مخلصين ومناضلين، فأدخلت الفرحة والبهجة على وجوه الأسرى وذويهم، وشعوبهم، وكان النصر المؤزر للأمة جمعاء، وليس لفئة أو حزب من الناس، وقد كان آخر هذه الانتصارات «وفاء الأحرار»، ولكن الأمل مستمر، والجرح لا زال ينزف، والمعاناة تكبر وتكبر، لأنها استمرت لعقود، فضلاً عن السنين، وحريّ على كل قادر أن يتحرك بكل سبيل مشروعة لإنقاذ هؤلاء المأسورين من أسرهم، والمقهورين من قهرهم، فنحن هُنا، لا ننسى أن نقدم التحية، كل التحية، والإجلال

كل الإجلال لأولئك الرجال، الذين ضحوا وما زالوا يضحون من أجل وطنهم وشعبهم وأسراهم، ثم إننا لا ننسى أن الأسرى كلهم ـ عن بكرة أبيهم ـ خرجوا لأجل وطنهم وأسراهم، فمنهم من أُسر وهو يحاول أن يأسر، ومنهم من أُسر وهو مرابط، ومنهم من أُسر وهو يقاتل، ومنهم من أسر وهو مصاب وجريح، فلأجل الأسرى صاروا أسرى، ولأجل الأقصى صاروا أسرى، ولأجل المشردين والأرامل صاروا أسرى، ودفاعاً عن الأرض المسلوبة والوطن المغتصب هم في الأسر، فحق ثم حق ثم حق، على كل قادر أن يتحرك لأجلهم ومن أجلهم، فالمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم.

أيها المجاهدون والمرابطون، إنني من خلال هذا الكتاب حاولت أن أعمل لتحرير الأسرى وأنا الأسير بينهم، وواحد منهم، وكلٌ يجاهد ويحاول على طريقته، فمن خلال الواقع الذي أعيش فيه، عقدت العزم أن أكتب ما ظننتُ أنه حاجة لأهلي وإخواني ولأبناء شعبي، وإن كنز هذه المعلومات التي تعلمتها من الواقع الذي أحياه، والمعاناة التي عشت جزءًا منها، يجب أن تروى وتذكر للقاصي والداني، وخاصة أحبة عشت الحياة في ظلهم، معًا ترعرعنا، وفي محضن الدعوة تربينا، فكان لحق الصحبة، والأخوّة ثمن، أقلهُ النصيحة والتناصح.

أيها الأحبة، إن للبعد جفوة يسكنها القلب دون أن يعلم المرء، فيكون لا بد من التواصل مع أحبة غابت صورهم، وبقيت ذكراهم مؤرقة تطلب اللقاء في كل حين، لأنها تناشد وتنشد فطرة خلقها الله في البشر.

ولقد جهدت دأبي أن أحافظ على ودٍ طال به العهد، وحالت بيني وبينه القضبان، وظلم محتلٍ كان لا بد من مقارعته ومصاولته مع معرفة بنتائج الطريق، إما شهادة أو أسر، وفي النهاية بإذن الله نصرٌ مؤزر.

هذا كتابي وهو يطلعكم على حالي وسري فتأملوا فيه، تروا أثر الدموعِ بكل سطر
ماءٌ تدفق من جفوني، وهو من نار بصدري كالعود يوقد بعضه، والبعض منه الماء يجري

أيها المجاهدون الأحرار، لقد ذكرت في هذا الكتاب ما يعيشه الأسرى لحظة بلحظة، ليلهم ونهارهم، نومهم واستيقاظهم، فرحهم وترحهم، عذاباتهم وآهاتهم، أو نكاتهم وضحكاتهم، وأحاول ذكر الدروس والعبر من خلال ما مررت به في الأسر، وعشتهُ بنفسي، فكان هذا الكتاب في تسعة فصول على النحو التالي:

**الفصل الأول**: وأتحدث فيه عن لحظة الوقوع في الأسر، والألم والأمل الذي يحدو الأسرى من كل لحظة.

**الفصل الثاني**: وفيه أتحدث عن جرائم الزنازين، ومكر المحققين، ومصائد العصافير ـ وأعتبر هذا الفصل من أهم فصول الكتاب وخاصة ما يتعلق بمصائد العصافير، وقصتي معهم، ففيها كثير من الدروس والعبر والعظات.

**الفصل الثالث**: وهو أكبر فصول الكتاب، والذي أتحدث فيه عن حياة الأسير من بداية النهار إلى نهايته، من قيام الليل ثم صلاة الفجر، ثم عدد الصباح، ورياضة الأسرى، وفحص الشبابيك، وطعام الأسرى، والنظام الحياتي، واللجان العامة التي تنظم حياة الأسرى وتضبطها.

**الفصل الرابع**: وهو من أشد الفصول وجعًا، وقهراً، وألماً، وفيه أشد المعاناة، حيث ذكرت فيه عذابات البوسطات (السفريات)، ومهازل المحاكم ومجازر السجن التي يسمونها عيادة أو مستشفى، وفيه بعض القصص المؤلمة.

**الفصل الخامس**: وهو يتكلم في جانبين؛ الأول عن التفتيشات، وأهدافها وجرائم الاحتلال من خلالها، والجانب الثاني، فهو عن القمعات وتحديات الأسرى لعربدة السجّان.

**الفصل السادس**: هو عن المعارك الخارقة، والأمعاء الخاوية، وما تحويه من قصص بطولية تشبه الخيال.

**الفصل السابع**: وهو عن زيارات ذوي الأسرى، وفيه أحزن المواقف وأغرب القصص.

**الفصل الثامن**: وهو عن المناسبات والشعائر في السجون، وفيه تحدثت عن شهر رمضان وجرائم الاحتلال فيه وعن الأعياد وعجائب الذكريات.

**الفصل التاسع**: وهو آخر فصل في الكتاب، وفيه تحدثتُ عن العزل الانفرادي وآلامه، وعن قصص من معاناة الأسرى وجب ذكرها، ثم مناشدة لإنقاذ الأسرى ثم كانت خاتمة الكتاب، وفيها التوصيات والاستنتاجات.

هذا، ويجبُ التنويه إلى أنني ما عانيتُ ولا كابدتُ أثناء كتابة هذا الكتاب، إلا ألم القهر والأسر في كل سطر، فإنني أتكلمُ وأكتبُ من وحي الواقع، وأسرد بعض ما عايشت لا كله، وإن كان من مشاكل واجهتها فهي فقط؛ شدة حيرتي وكثرة ترددي في ذكر مئات القصص التي أعرضت عن ذكرها رغم شدة مرارتها، حتى لا يصبح الكتاب كتاب قصص، وإن كانت هامة، وهامة جداً، وكذلك تركت فصولاً هامة أعتقد أن كثيراً من وسائل الإعلام لم تغفلها، وإن كانت تستحق الذكر في كل كتاب، كما كنت أشكو من قلة وجود كتابات عن الأسرى في مكتبات السجون، والتي لو وجدتها ربما غيرت وبدلت لأكتب كل جديد، وليس ما يتكرر في الكتب.

باختصار، هذا الكتاب هو من وحي الواقع ومن خضم المعاناة التي أعيش، وآمل أن ينتفع به كل من اطلع عليه، وأن تتضح الحقائق التي ربما غاب بعضها عن كثير من الناس، آملاً أن أكون نقلت صورة هي أقرب إلى حياة الأسرى، بحيث يشعر

القارئ أنه يشاهد الأسرى في أسرهم رأي العين في ظاهرهم، وما يختلج ضمائرهم من ألم، آملاً من كل قارئ ألا ينساني من خالص دعائه، فاللهم إنا نسألك حسن العمل، وحسن الثواب.

**الأسير القابع في**
**سجن نفحة الصحراوي**
**خالد خليل موسى السيلاوي**

# الفصل الأول

## من هنا كانت البداية

## فمتى ستكون النهاية؟

## أولاً: هذه قصتي أكتبها لمن أحبني:

ها هي عجلة الحياة بحلوها ومرها، بخيرها وشرها، بنفعها وضرها، تسير سيراً حثيثاً أو بطيئا، تتلون بألوان الحياة، وتتغير مثل هبوب الريح، فتارة يكون نسيماً يتغنى به العشّاق، وتارة يكون عواصف رملية ينذر بها العشاق، وأنا الأسير مع الأسرى أسير، وقد كنت بالأمس بين الأهل والأحبة طرباً وفرحاً، ودارت بي الأيام ومرت عليّ السِّنون، ولا زلت في الأسر أسير، وعلى خطى الصابرين أسير، لحظة فلحظة، وساعة فساعة، ويوماً فيوم، ثم أسبوعاً يتلوهُ أسبوع، وشهراً يتبعهُ شهر، وهكذا مرت علي الأيام والأشهر حتى أصبحت سنين ثم ها هو عام يتلوه عام، ولا ندري ما تخبئه لنا الأيام والليالي الحبالى، من مفاجآت صالحات أو طالحات فهل هناك عن قريب لقاء يسرنا ويسر الأهل والأحباب والأصحاب أم هناك فاجعة يقدرها رب الأرباب، ويتلقاها بصبر ورضى، أولوا العقول والألباب، أهي فاجعة فقد أم أو أب أو أخ أو أختٍ، أو ابن أو بنت أو عم أو خال أو عمة أو خالة، أو صاحب، أو صديق صدوق، فما أكثر هذه الفاجعات في السجن، وقد سماها القرآن الكريم (مصيبة الموت)، ونحن هُنا نسميها (مصائب)، فتجتمع المصائب معًا، وهناك من كانت فاجعته أكبر وفقد كل من ذكرنا وهو أسير، أم هي فاجعة من نوع آخر على الأهل والأحباب والأصحاب، يمرض الأسير ويشتد به المرض، ثم يحتضر فيموت، فيعذب به كل أسير، وكل حر طليق، ويتلقفه الناس مكبرين مهللين وهو في كيس أسود، مقيد اليدين والرجلين، كلا والله ما هو اليأس والقنوط، ولكنه واقع الحياة وواقع السجن، والأمل يحدونا، فعين الله ترعى عباده وتحفظ أولياءه، ولكن الحقيقة يجب أن تذكر بشقَّيها، السراء منها والضراء، يجب أن تصل الآهات والأنات، ألا تشعرون بحالي وحال الأسرى من قبلي ومن بعدي؟ ألا ترون هذا البكاء المكتوم في صدور الرجال

الأحرار خلف القضبان؟ والله إنه بكاء ليس على حالي وشخصي ونفسي، ولكني أنظر حولي فأرى بشراً من البشر، لم يعرفوا ما هي الحياة، لم يتذوقوا طعمها، لم يلمسوا أطفالها، لم يروا خضراءها ونقاءها وصفاءها، لم يصلوا في مساجدها، أو حتى يزوروا الموتى في قبورها، لم يلعبوا على شواطئها، أو يستظلوا بأشجارها، يرون لوناً واحداً من الحياة، وقد خلق الله من كل شيء زوجين، هم بشر ولكن لم يعرفوا البشرية، فهم مغيبون في غياهب السجون أو في مدافن الأحياء، أو حياة القبور، سمها ما شئت، كلها عندهم بمعنىً واحد، لأن الله خلق الإنسان حراً وسخر له الحياة وأطلق يده في عنانها، مُصلحاً معمراً عابداً راكعًا، لكن هؤلاء لم يروا إلا ثورة السجان الذي يرافقهم أينما كانوا حتى في دخولهم الحمام ـ أعزكم الله.

لم أكن أدري ما هو القدر المخبأ لي، ولم أتوقع يومًا في حياتي أن أكون بين يدي سجّان قاهر، وحشي كاسر، جبان خائن، لا يعرف الرحمة، ولا يقدم خدمة، ولا يرفع مضرة، ما كنت أتوقع يومًا أن أجد نفسي بين أربع جدران، ما كنتُ أتوقع أن تُسلب حريتي عنوة، أو تغتصب أو تنتهك، لكنها كانت وحصلت.

هي حقيقة لا حلماً، ما دمت سطوراً تكتبُ، وروايات تقرأ، فهي حقيقة واقع لا خيال وأوهام، وها هي رحلتي مع الألم والقهر، وبدأت مرحلة قهر الرجال، فأصبحت لا أسمع إلا الأوامر القذرة من قبل سجان حقير تافه، فقلت في نفسي: رأى مني ما ليس في غيري فيستهدفني، وظننت أنني الوحيد المستهدف بذلك، وتساءلت ودارت بي الظنون، وفعلت كل الهواجس فعلها، لما يعاملونني بهذا التعسف! بل قبل بنذالة وحقارة، أو خسة وسفاهة، فأجابني حرٌ سمع همسي وعلم بحالي، فقال: يا خالد، لست أنت المستهدف، واعلم أنك سترى عجباً عجاباً ولن تستطيع فعل شيء وهنا كل نفس تتنفسهُ يتم التعامل معه بهذه الطريقة، فقلتُ له في حماس: لست من يرى العجاب إهانة أو نذالة أو سخافة، ثم يبقى صامتاً، فأجابني

قائلاً: لا تتعجل ودعها للأيام، وما هكذا تورد الإبل، فأنت طيب صادق وشجاع خلوق، ولكن أدوات المقاومة والرفض هنا لها سمْتُها الخاص.

وانتهى الحوار مع هذا الحر ولكنني لم أهدأ ماذا يقصد بكلامه هل يقصد القبول بحياة الذل!؟ هل هناك عالم آخر له معالم ومفاهيم وقواعد خاصة؟! فما هي إلا أيام صحيح أنها طالت وأزعجت حتى خرجت من زنازين التحقيق من ألاعيب أرذل أمة احتقرت الأنبياء والمرسلين وقتلت منهم وتجرأت على وصف الخالق بما لا يليق بجلاله.

**الألم والأمل:**

خرجتُ من زنازين التحقيق، فإذا بي بين رجال أبطال وشجعان أطهار، ومجاهدين صابرين، أبوا أن يكونوا من الخوالف، كانوا من أهل الصفوة والصفوف الأولى، رأيت الألم والأمل بين تجاعيد وجوههم، ورأيت الحكمة والقوة والصبر مع كل شيبة اشتعلت بها رؤوسهم، ومنهم من سجن شبلاً فصار شاباً فكهلاً فشيخًا، وهو في السجن يريك صورة في ألبومه الخاص، وكيف دخل السجن وكيف هو الآن، مناظر اعتاد عليها، جمل يقولها بعفوية، لكنه الألم المعتصر لمن يسمع ولمن يرى، كيف تمر بهؤلاء هذه اللحظات؟ وهل معنى هذا أنني سأسير كما ساروا، فمنهم من مضى على اعتقاله ما يزيد عن ثلاثين عامًا، وبالطبع هناك من أمضى عشرين أو عشرة وكلها أعداد بالسنين، لا بالأيام والشهور، وتمضي أعمارهم وتشيب شعورهم وتنحني ظهورهم، والمقاومة في الخارج تعمل ببطء، وهم مع كل صباح يسمعون نشرة الأخبار، لعل خبراً مفرحاً يصلهم، ويبل ريقهم، ويروي ظمأهم، فدعوت الله لهم بصدق أن يفرج عنهم، هم الرجال الحقيقيون الذين غُيبوا في غياهب السجون، أصابهم كل شيء، قرح ومرض وشوق، حتى لا تكاد تميز بين المعاني والكلمات

في حقهم، فكل شيء عندهم بطعم واحد، وحالهم ثابت واقف، جـامد هامد ساكن، لا يتغير ولا يتجـدد ولا يتبـدل، هُنـا قدرُ الله لي أن أعيش بينهم، بين هؤلاء الأبطال، الرجال الشجعان، وما هي إلا أيام، حتى اطمأننت إلى حديثهم، وطابت نفسي بصحبتهم، وعرفت الكثير عن قرب، ولكن كنت لم أعرف أحداً منهم من قبل، لأنني للأسف يوم كانوا في السجون يتعذبون، كنت ما أزال في بطن أمي، ورأيت الحياة أول ما رأيت، فأبصرت الدنيا يوم ولدت، وكانوا هم ما يزالون في السجون وإلى اليوم، يوم التقيت بهم وقد مضى من عمري الصغير في نظرهم واحدٌ وعشرون عامًا، وبدأت أسأل عن حال السجن وأعرافه وآلامه، فمن عاش هذه السنوات الطوال، فما كان جواب أحد منهم إلا ذكرني بمقالة ذاك الرجل وهو (عجب عجاب)، فكانت حيرتي حيرات، وكانت المصيبة والألم تتسعان مع الأيام لما أرى من حولي، وها أنا اليوم أعيش وأرى، والتجربة أكبر برهان، وبدأت هذه المرحلة مع الألم، وما تزال الأعوام والسِّنون تمر ببطء، وخضت التجارب وما رأيت من الدروس والعبر يستحق الذكر والكتابة فقررت أن أكتب للأهل والأصحاب والأحباب هذا الكتاب، فاصبروا على الألم وأنتم تقرؤون واعملوا على كشفه بكل ما تستطيعون، صحيح أنها كتابة عن أسوء الأماكن ولكنها عن أطهر الخلق وأرذلهم، عن مظلومين وظالمين، عن مسجونين وسجانين، فهذه شرذمة فرعون الموجودة في القرآن، هي بأوصافها وأخلاقها، فهم إليه منسوبون وبفعله يعملون، وإن لم يمتوا له بصلة نسبٍ أو قرابة.

**وامعتصماه..**

وهُنا مرة أخرى، أجدد وأردد ما قاله الرجل (صدقت والله)، وأنا أعتذر لما قلته لك، وذلك لجهلي بهذا الواقع العسير، وهنا أدركت قولة العلماء وفتوى الفقهاء، فهمتها، وقد كنتُ أعجبُ منها، فقد قالوا من قديم: «لو فنيت خزينة الدولة الإسلامية من أجل فكاكِ أسير واحد، لوجب على الدولة فعل ذلك الواجب».

وتدرك كيف أن نخوة المعتصم تحرك جيش دولة بأكمله، لمن اعتصمت به ونادت «وامعتصماه»، ومن خلال هذا الواقع الغريب العجيب، أحببتُ أن أكتب لكم شيئاً تتعرفون من خلاله واقع السجن ومرارته، وأضع بين أيديكم تجربتي التي مررت بها، وأذكر بين السطور تجارب الآخرين، عاشوا معي أو عشت معهم، آملاً أن تكون هذه الكلمات والسطور عبرة وعظة للسامعين والقارئين والعاملين، فقد اطلعت وعلمت ما جهله غيري عن هذا الواقع المؤلم، وما رأيته أن كتم هذا الواقع، أو هذا العلم بهذه الحياة المكتومة المدفونة يجب أن يكون بين الأيدي تستلهم الدروس وتعمل بكل ما أوتيت من قوة لإخراج هؤلاء المقهورين المظلومين المعذبين المكلومين المجروحين، ومن جهل هذه التجربة وهذا الواقع فسوف تكون عاقبته وبالاً عليه، فاعلموا ثم اعلموا وعليكم الأخذ بالأسباب.

## ثانيًا: من هُنا كانت البداية!

ككل حر غيور، محبٍ لدينه ووطنه، كنتُ أعشق الجهاد، دفاعاً عن أهلي، وعرضي، وأرضي، وقدسي، وأنتظرُ لقاء ربي، وأحمل روحي على كفي راضيًا، بل ساعيًا إلى الله، أبتغي رضوانه ومغفرته وجنته، ومرت عليّ سنوات من العمل بين المجاهدين والمرابطين والمقاومين، بشتى أنواعهم ومختلف أصنافهم أبحثُ عن شيء واحد.. الشهادة! وبعبارة أدق؛ الجنة، حتى كانت ليلتي الأخيرة، وكنت أحسب نفسي أنني بعد لحظات ودقائق لا تصلُ إلى ساعاتٍ سأكون بين يدي ربي، وتنعم روحي حول عرشه، بصحبة النبي محمد ﷺ، وصحبه الكرام، فتعاملت مع نفسي وكأنني مودع، وكانت ليلة لم أنم فيها، وهل ينام من ينتظر لقاء ربه، حتى كانت الساعة في منتصف الليل، تسللت بخفة من بين أهلي وهم لا يشعرون، لألتقي بأحبابي وأصحابي، وطفتُ على الكثير منهم، في كل ذلك أنظر بعيني إلى هذه الدنيا الفانية، وأرى الآخرة بيقين، ومضت الدقائق سريعة جداً، لا أكاد أحس

بها، في عتمة الليل في هدوئه، وبينما أسير قبل الفجر بين بيوت عشقت أراها زمناً، انتابني شعور صادق، وإحساس قوي أنني على وشك لقاء ربي، وأخذت أقارن كل ما أراه حولي بالآخرة، فعشت آخر ساعاتي في الآخرة والآخرة فقط، فبينما أنظر إلى عتمة وشدة ظلام الليل، فأقول هل في الآخرة عتمة وظلام؟ أم فقط نور وضياء! وأنظر إلى البيوت وضعفها، وإلى الأشجار وصغرها، والهواء والسحاب والأرض برملها وطينها، وإلى البحر وهيجانه، وماذا سألقى في الآخرة؟

يا الله، جئتُ إليك مهرولاً راغباً زاهداً في هذه الدنيا، والرجاء يملأ قلبي والأمل يسيطر على نفسي، في هذا الليل البهيم الساكن بما يحويه، المليء بصخب الحياة، المختبئ في عتمته كل مقعد أثيم، في ذات الوقت ومع رائحة السحر الساخرة ومع سماع همسات المستغفرين، وأنين المسبحين، ويعلو صوت الأذان لأهل القيام، بترنيمته الرائعة الخاشعة، تقودني خطاي وأمشي وحيداً بين الأشجار والبيوت والأزقة، أقطع المسافات، في أي مسجدٍ سأصلي صلاتي الأخيرة في هذه الدنيا؟ وكنتُ أصلي يوميًا الفجر في مسجدي الجديد، مسجد الشهيد شادي الحبوب أو مسجدي القديم مسجد الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة، ولكني خشيت إن صليت في أحد هذين المسجدين، أن أتأخر عن لقاء ربي بصحبة بعض إخواني، وسؤالهم عني، فآثرتُ السير بعيداً نحو بيت لاهيا، الأقرب إلى موعدي للقاء ربي، ويخرج المشاؤون في الظلم إلى المساجد، في أوقات السحر، يتسابقون إلى الصف الأول، وهناك ألقيت نظراتي الأخيرة في مسجد الشيخ الشهيد أحمد ياسين ببيت لاهيا، انطلقتُ إلى سبيلي حيثُ موعدي، والطيور تغرد من كل غصن يعلو شجرة، لتستقبل يومها الجديد، وتفارقُ أعشاشها خماصاً، لتعود لأفراخها بطاناً، والفلاح يحمل فأسه ليعيل صغاره، ويكاد يبزغ من شروق الأرض شفق الصبح، وكل يسير حيث يشاء الله، الشمس إلى بزوغها، والقمر إلى منازله، ليختفي تحت حجاب الشمس، والجبال من

السحاب تتراكم بعضها فوق بعض، لينزل الغيث ويروي الأرض والنبات والشجر والدواب، فلا يتحرك في هذا الوقت من الصباح الباكر، إلا كل جديد، وباحث عن الحياة، هو وقت الرزق، ووقت الجد والنشاط، ووقت العمل والحركة، ومشيت نحو الغرب تقودني خطاي بحذر شديد، وعيني ترقب كل ساكن أو متحرك، أبحثُ عن صيد ثمين، تقرُّ به عيون الأرامل والثكالى وأرد بعضاً من مآسي شعبنا، والهدوء والسكينة تلفان المكان، ولا يتقدم في هذا الموطئ إلا من باع نفسهُ وأيقن أنه ذاهب إلى ربه، فكم ارتفع من الشهداء من هُنا، ورائحتهم الزكية تملأ المكان، وقصصهم البطولية تبعث على الإقدام، تقدمت إلى حيث لا رجوع ولا نظر للوراء، وكلما تقدمت أيقنت أكثر أنني بعد لحظات سائر إلى ربي، ولكن على أمل أن أثخن في العدو، وعيني تدور يمنة ويسرة وإلى الأمام تبحث عن شيء يتحرك خلف حجر وشجر، وكل شيء ركام، وتتعرج الأرض من أثر آليات الاحتلال وما فعلته بالأرض والحجر والشجر وكل ذلك، والشمس تكاد تبزغ والأرض ما بين عتمة الليل الشارد، أو ضوء النهار القادم، ولا تكاد تميز الأجسام من بعضها، حتى إذا كنت على وشك الظفر بالمراد وفي آخر اللحظات، فإذا بالأرض كل الأرض تهتز فجأة، وكل شيء ساكن صار يتحرك، والهدوء تحول إلى ضجيج ونار، والأصوات العالية تناديك من كل مكان، من الخلف واليمين واليسار، ورددت الشهادة مراراً وسألت الله الشهادة، ولكن كل متحرك تراه يختفي فجأة ليظهر في مكان آخر، وأشعة الليزر تملأ جسدي وكل عضو مني تعلوه نقطة حمراء من القناص، نظرت إلى اليمين فهي هي، وإلى اليسار فهي هي، واستدرت للخلف فإذا هي هي، والمنادي ينادي بالميكرفون، إنك محاصر، إرفع يديك وتقدم، وينادي بأعلى صوته: توقف، إرفع يديك، إخلع ثيابك قطعة قطعة، حتى إذا تجردت من ملابسي كاملة، قيل لي: توجه نحو السلك، نزلت إلى الأرض لأرتدي البنطال فهددوني بإطلاق الرصاص، فتوكلت على الله

وكأنني لم أسمع تهديدهم، ولبست البنطال، ولا أعلم حينها، أحقاً هذا يحدث؟ هل أنا في قبضة العدو؟ أم أنا على وشك الشهادة؟ ولا شيء أمامي، ولا فرصة تتاح لي، فغشيتني غاشية وقلت لعلي في المنام! ولكن نباح الكلاب من حولي وهدير الطائرات وارتجاج الأرض من قرب دباباتهم، أيقنتُ أنني أسير، وما هي إلا دقائق أو ساعات فإذا بي في تحقيق ميداني سريع، وقبل النقل إلى مركز تحقيق عسقلان المخصص لأسرى غزة، والجنود يحوطونني من كل جانب، ورفعت العصبان الشديدة عن عينيّ، وبقيت القيود بيديّ ورجليّ، وأنظر إلى الجزء الذي كنت أعشق أن أدخله فاتحاً مُجاهداً من أرضنا، ولكنني أدخله أسيراً مقيداً، ولأول مرة في حياتي أرى يهود رأي العين، بقبحهم ووصفهم وعتوهم وتكبرهم، أراهم لتدب فيّ روح متتالية من جديد ولو بعد حين، فمن أول لحظة تراهم، تزداد يقيناً بحقك وقناعة بقوتك، فأنا في مقتبل العمر، وكل هذا الاحتفاء والاحتفال بالقبض عليّ، ولا تكاد ترى الأرض من حولك من كثرة عددهم، وقد ألقوني على الأرض ولا يكسونني سوى البنطال، وينهمرُ المطر، ويتفرقون عني إلى حيث يستظلون من المطر، وأنا تحت المطر عاري الجسد، مقيد اليدين والرجلين، وهم ينظرون إلى بازدراء، ولكنني والله، كنت أنظر وأفرح لغزارة المطر، وشعرت وكأن الله أنزله عليّ كما أنزله على أهل بدر، وفي الموطن الذي يظنون فيه إهانتي، كنت أستشعر رضا الله، أن جعل ذلك على يد عدوه وعدوي، إنهم يهود، ثم اقتادوني إلى مركز قريب من عسقلان، وطلبوا مني رقم تليفون بيتي، إن كنت أرغب بإبلاغهم أنني في الأسر، وأعطيتهم رقم والدي، واتصلوا به وأنا أسمع صوت والدي المسكين، وأخبروه بأنني معتقل لديهم، ويتكلمون بأسلوب حقير، وسمعت والدي يقرعهم بما يكرهون، حيث كان والدي يظن أنهم يتلاعبون بأعصابه في بداية الأمر، وبعد خروجي من التحقيق حدثني والدي عن هذا الاتصال، وأنه مباشرة بعد هذا الاتصال ذهب يتحسس في

كل زاوية من البيت عله يجدني فلم يجدني، وحاول الاتصال مرات ومرات، على هاتفي الخاص، وكأن في كل مرة يجيبه بأنه مغلق، ثم ذهب ليتأكد من خبر اعتقالي، وبحث عني في كل مكان حتى يئس، فما كان منه إلا أن يصدق الخبر.. خبر اعتقال فلذة كبده.

وبعد ذلك اقتادوني إلى مركز تحقيق عسقلان ومن هناك كانت مرحلة أخرى من مراحل المعاناة والأسر، مرحلة الزنازين.

* * *

# الفصل الثاني

# جرائم الزنازين

# ومكر المحققين

# ومصائدُ العصافير

## أولاً: جرائم الزنازين:

مرحلة الزنازين، هي المرحلة الثانية من مراحل جرائم الاعتقالات الظالمة التي طالت أكثر من ثلثي الشعب الفلسطيني، إننا هُنا نكتبُ عن مرحلة غابت عن كمرات التصوير، الشاهد الوحيدُ فيها هو الأسير، ومرحلة الزنازين، هي حياة تسبقُ التحقيق، وتكون مع التحقيق، وتكون بعد التحقيق، ولم يخطر يومًا ببالي أن أبحث عن أصل كلمة «زنازين» أو معناها، ذلك أن هذا الاسم استوقفني كثيراً ولم أجد له أصل في اللغة العربية، بل وجدتُ كلمات قريبة من حروفها، وتعطيك شيئًا من مدلول هذه اللفظة، فالزن هو الضيق، والزين هو الحاقد، وكأن من يدخل الزنازين يبقى في ضائقة وكأنه حاقد، وهذه هي الزنازين، فيها ضغط وضيق وتوتر أعصاب، ولا يتلخص منه إلا بالخروج من هذه الزنازين.

**زنازينُ التحقيق:**

وحينما نتكلم عن الزنازين، فإنما نقصد زنازين التحقيق، لأن هناك زنازين عقاب في كل سجن، وهناك زنازين عزل يمكث بها الأسير سنوات.

أما زنازين التحقيق، والتي غالباً ما يدخلها الأسير في أول اعتقاله، أقل مدة يمكثها شهر، قد تمتدُ إلى ثلاثة أشهر أو أكثر، حسب نوع القضية وخطورتها، وهذه الزنازين تكون من نوعٍ خاص، يشرفُ عليها خبراء نفسانيون، يعتقدون أن هذه الزنازين بهذه المواصفات تساعدهم في انتزاع الاعترافات من الأسير، وهذه منها ما هو فوق الأرض، ومنها ما هو تحت الأرض، ومنها العلني ومنها السري.

وأسرى قطاع غزة غالبًا ما يتم اقتيادهم إلى تحقيق عسقلان الذي يبعد عن قطاع غزة مسافة عشر دقائق فقط، وعند دخولي لهذا المركز وأنا مقيد بسلاسل حديدية ثقيلة، وحراسة مشددة جداً، مررتُ بتفتيشاتٍ أمنية صارمة، حتى الجنود

الذين اقتادوني تم تفتيشهم وسحب أجهزتهم الخلوية وسلاحهم، وهكذا يفعلون مع كل أسير، ولكل سجن أسلحة خاصة، وحراس مدربين تدريبات خاصة.

**قبل التحقيق:**

عند وصولي إلى قسم الزنازين، تفتيش جديد أشد من التفتيشات السابقة، هُنا ستبدأ حياة من فصل جديد، هنا يرتفع منسوب الاستفزاز وعربدة المحتل، وانفراده بالأسير حيثُ لا رقيب ولا حسيب، فيتم تجريده من كل ملابسه حتى الداخلية، وتتم مصادرتها، وبعد تجريدي من ملابسي، ألقوا عليّ الملابس ذات اللون البرتقالي، وهي فقط قميص وبنطال، وكلها مستخدمة سابقاً وغير نظيفة، ورائحتها كريهة ـ وعليها بقع كبيرة وصغيرة ـ تشبهُ رائحة الجرذان.

ومن تلك اللحظة؛ أصبحتُ أدرك أن كل ما أملكه من الدنيا فقط هذا اللباس، وصرتُ أشعر أنني أساق ضمن خطة محكمة، مُعدٌ لها سلفاً بامتياز، وهذا ينطبق عليّ وعلى كل أسير فلسطيني وهو أن تشعر بالعذاب والانكسار والوحدة، والضعف، هنا لن تتحرك إلا وأنت معصوب العينين، ومقيد اليدين والرجلين، في هذه اللحظات، وقبل التحقيق أدخلوني زنزانة باردة جداً، وفهمت أن كل أسير يجب أن يمر بهذه المرحلة، ليتعرف على حياته الجديدة التي يعيشها بعد اليوم، هنا عذابات النفس والجسد ما لا يتحمله أو يطيقه حيوان، فكيف بالإنسان!

**وصفُ الزنازين:**

حسب الزنازين التي مررتُ بها، فإن أول زنزانة دخلتها تقدر مساحتها بما لا تكاد تتسع لفرشة واحدة وفيها بجانبك مرحاض مكشوف، ورائحتها نتنة، مغلقةٌ من جميع الجوانب، يوجد بها مضخات هوائية شديدة البرودة، تجهل درجة الحرارة في الزنزانة صفر، أو تحت الصفر.

هنا، وفي كل زنازين القسم، لا تميز الليل من النهار، ولا ترى شعاع الشمس، القسمُ شديد الإغلاق، الجدران خشنة جداً على شكل مسامير تخترق اللباس لتؤذي وتؤلم الجسد، فلا تستطيع إسناد ظهرك عليه، لون الجدران يشبه لون الإسمنت مع زيادة في السواد، ضوء الزنزانة أقرب إلى اللون البرتقالي، وضعيفٌ وذو شعاعٍ خارق متعب للبصر ومرهقٌ للعين وطاردٌ للنوم، الفرشة ليس لها وجه، هي اسفنج وسخ مليء بالبقع الكبيرة والصغيرة، فلا تعرف هل هو بول أو دم أو زيت طعام، أو... متآكلة من جميع جوانبها، ومن وسطها تهبط إلى الأرض، لونها من الوسط قريب من السواد من شدة الاتساخ، رائحتها شديدة النتانة ولا تُطاق، لا يوجد وسادة ولا شيء غير الفرشة والبطانية، البطانية قديمة مهترئة وبرها وصوفها يدخل في حلقك عند النوم فيوقظك لأنك تكاد أن تختنق منه أو يجرح الحنجرة، خشونة البطانية تشعرك أنك في حقل شوك، وفوق كل ذلك هي صغيرة الحجم لا تغطي كامل الجسم، فماذا عساك أن تفعل في جو كهذا؟ برودة قارصة مع ملابس نتنة علي القميص والبنطال، فكيف ستستدفئ بهذه القاذورات، وستضغط مع الوقت لاستخدامها لتقي نفسك شيئًا من البرودة، وستبقى أسنانك تصطك من شدة البرد، ورائحة المرحاض الكريهة والقاذورات التي تعلوها قد جفت، ولا أدوات تنظيف ولا صابون، والمغسلة التي ستشرب منها الماء سترسله إليك بضعف شديد كلما ضغطت على الكبسة لتخرج لك ماء على شكل ماء التفتوف، والمغسلة تخرج منها الديدان، ومنبع الماء الذي ستشرب منه بعض الماء تعلوه الأوساخ، والأرض خشنة، وبها حفر صغيرة تتكدس فيها أوساخ السنين؛ فكيف ستطمئنُ هنا؟ فلا حائط تركن إليه، ولا نور تستضيء به ولا لون ترتاح معه عيناك، ولا فرشة تشعر أنها ترطب لك الأرض فأين ستفر من رائحتها؟ ورائحة البطانية، ورائحة الملابس التي عليك، ورائحة المرحاض، ورائحة الأرض، فهو بجدارة مكان لبعث الأمراض، والأوجاع،

وقد صار معظم من دخل هذه الزنازين إلى مرض جلدي، فالرطوبة العالية والوسخ المتسخة به الفرشات؛ ينقل الأسير من مرض إلى مرض، فمن أين سيأتيك النوم؟ فلا أنت مع المستيقظين ولا أنت مع النائمين!

وهذه الزنازين كلها مزودة بكمرات مراقبة، لا تراها بالعين المجردة، فأنت تنظر في الزنزانة فلا تراها، ولكن إن فعلت شيئاً يلفت النظر سرعان ما تجد السجان قد وقف على باب الزنزانة، وكذا هو الحال في أغلب الزنازين بهذه المواصفات، ومعظم من التقينا بهم ذكروا نفس الأوصاف.

**زنازينٌ أخرى ونصائحُ هامة:**

في اليوم الخامس عشر تقريبًا، أدخلوني في زنزانة لا أستطيع أن أمد رجليّ فيها، وأدخلوا معي فيها أسيراً آخر لا أعرفه (قد يكونُ عميلاً، فهنا غالب من تصحبه في الزنازين احذر منه).

في هذه الزنزانة لا فرشة، ولا بطانية، الأرض على شدة برودتها هي متكؤنا، وبقينا طوال الليل ننامُ ونحن جالسين، وما هو نوم ولكنه الإرهاق والتعب، والهدف من ذلك أن أتكلم مع هذا الأسير أي شيء، المهم أن أتكلم، وهنا سيستطيعون أن يحددوا النفسية وطبيعتها، وتكونُ يومها قد مللت العزلة، وصرت في أشد الشوق لأي بشر تحدثه ويتحدث إليك، وأدوار العملاء هنا ليست لجلب الاعترافات أو سرقة المعلومات دورهم هو توطئة نفسية الأسير لما هو قادم، فيدعي هذا العميل أنه سبقك مثلاً بشهر في هذا الاعتقال، أو يدعي أنه صاحب خبرة وهذا الاعتقال الثاني أو الثالث له، ويتحدث إليك عن خبراته في التحقيق التي استفادها من مرات سابقة، مما يجعلك تتمهد للأدوار القادمة المخادعة، التي سيتم إيقاعك بها، وأحب التنويه هنا، إلى أن كل كلمة تتحدث بها في الزنزانة ستكون مباشرة منقولة بالصوت والصورة عند ضابط التحقيق، وإن كنت لا ترى شيئاً.

وهناك زنزانة جماعية دخلتها، ويدخلها كل أسير بعد مرحلة معينة، هذه الزنزانة فيها عدد من العملاء الذين سينقلون لك أخباراً من الخارج، أو يلقون إليك بمعلومات كاذبة، مثل: أنت الآن في هذه الزنزانة في المرحلة الأخيرة من مراحل التحقيق، وبعدها ستنقل مباشرة إلى السجن وهناك في هذا السجن ستجد صفاته كذا وكذا، وأميرهم ومحتلهم كذا وكذا، وهكذا تتم التوطئة لتدخل غرف العصافير، لا غرف السجن.

لقد عودتنا الحياة وعلمتنا أن من أراد أن يسْلم من شر فتنة فعليه أن يسمع ولا يتكلم، وكثيراً ما نسمعهم يقولون: «اشترِ، ولا تبع» أي اسمع ولا تتكلم، ولكن في الزنازين، وعند دخولك السجن فإن الحكمة الصحيحة هي: «لا تشترِ ولا تبع»، أي لا تسمع ولا تسمح لنفسك أن تسمع، فلا تتحدث لأن أي حديث سيكشف عن شخصيتك، وكذلك لا تسمع لأن من أهم أهدافهم أن تسمع منهم ما تجهله فتصدقه، وأنت في هذا الواقع ليس أمامك ما تكذبه، بل تجري الأمور والخطوات تماماً كما قال لك فلان وعلان.. فهنا احذر من السماع أكثر من حذرك من الكلام، وكلاهما مطلوب.

**طعامُ الزنازين:**

من الطبيعي أنه في الجو الذي لا ترى فيه إلا القاذورات والروائح الكريهة، والضيقُ يملأ عليك نفسك في هذا الجو يصعب على المرء أن يأكل أشهى المأكولات، فكيف بالأكل إذا كان سيئًا، وصفًا ومنظرًا وصحة! وكيف سيطيبُ لك الطعام؟ والصراصير والجرذان تراها بعينك، وكيف سيطيب لك الطعام إذا رأيت رغيف الخبز الصغير يأتيك وقرض الجرذان بادٍ فيه، وقد بلله ماء لا تعرف مصدره، وينادي عليك السجان عليك لتأخذ طعامك من فوق الأرض المبللة بالوسخ، وقد كدّس لك الطعام كله في إناء واحد، وكان قد مكث ساعة أو ساعتين على الأرض، ففي مثل هذه

الأجواء عفت نفسي عن الطعام، ومكثت فترة طويلة لا أقترب من الأكل، ثم اقتربت من شدة الجوع، فصرت ألتمس بعد ما قد أعتقد أنه لم يصبه بلل أو أذى، وكثرٌ همُ الأسرى الذين فقدوا أرطال من وزنهم في الزنازين بسبب رداءة الأكل، والتي أصلاً كل الكمية لا تغني من جوع، فماذا عساها ملعقة مربى صغيرة، أو لبن أو نصف حبة بندورة في الصباح، أما الغذاء فلا يتجاوز خمس ملاعق رز مع طبيخ لا تعرف ثمرة ولا نباتاً ولا شجرة لأصله، وأما العشاء فبيضة تعاف رائحتها من كثرة الرض، وأكل الحميم؛ والذي هو أكل دينهم، بحيث يبقى البيض بقشره في الطبخ لمدة **٢٤** ساعة، وهو جد مُنفّر، والمشرفين على أنواع الطعام خبراء نفسانيون، وليسوا أطباء تغذية.

## ثانيًا: مكرُ المُحققين:

وبعد أيام جاءني سجانُ الزنزانة، ووضع السلاسل في يديّ ورجليّ، وألبسني نظارة سوداء تُغطي نصف الوجه، بحيثُ لا ترى شيئاً، ويقودني من الخلف، ورجلاي ثقيلتان من ثقل الحديد، وبطيئتان من قصر المسافة بين القدمين لقصر السلاسل، وقوة ضغطها، وستسمع من اليوم كلمات كثيرة، مثل: يمين، يسار، درج، إنزل، إصعد، قف، إرفع يديك، إمشِ، كل هذه الكلمات ستصبحُ جزءاً من حياتك في الزنازين كلما قادك السجان إلى مكتب التحقيق.

### مكتبُ التحقيق:

ويبتعد مكتب التحقيق في تقديري بمسافة **٤٠ - ٣٠** متراً، عن زنازين التحقيق، ومكثتُ هناك في المكتب في جو مكيف وأنا ما زلت معصوب العينين، أسمع ضغط لوحة مفاتيح الكمبيوتر، وكل بضعة دقائق أسمع نحنحة رجل، وبعد فترة مللت فيها فإذا بالمحقق يرفع عن عينيّ النظارة وأخذ يسألني أسئلة اجتماعية تقريباً كل خمس دقائق يسأل سؤالاً، ولا ينظر إليّ بل ينظر إلى شاشة الكمبيوتر، ومضى على أول لقاء

مدة لا تقل عن ساعتين، وكل هذه الأسئلة التي سألني إياها موجودة إجاباتها بين يديه قبل وصولي، لأنك أصلاً لا تدخل زنازين التحقيق إلا بعد أن يأخذ ضابط قسم الزنازين منك اسمك كاملاً، وتاريخ الميلاد، والتلفون، والوزن، والسن، والطول، والعمل، والمستوى الدراسي، وأسئلة كثيرة يعجز المرء عن حفظها، وزيادة على ذلك تؤخذ منك عينات للاحتفاظ بها مثل: [شعرة، أو بصمات].

ولكنني أدركت أن هذه الأسئلة البسيطة، والبطيئة، يراد منها إعلام الأسير أنهم ليسوا في عجلةٍ من أمرهم، وأن المضغوط هو الأسير.

**ويجدر التنويه..**

ويجدر التنويه هنا إلى أن كل كلمة أو حركة تحدث وأنت في التحقيق، هي خدمة للمحقق ونزع الاعترافات، كل من تراه في هذه المرحلة فهو يعمل لتسهيل هذه المهمة، إذا حاول المحامي وأنت في التحقيق، فاعلم أنه مدسوس، والسجان والشرطي الذي يعمل في قسم الزنازين سيبدو عليه أنه ساذج أو حتى معتوه، وهو يقوم بدوره ينسجمُ انسجاماً كاملاً مع إملاءات المحققين، ويرفع تقريره أولاً بأول، ويراقب كل حركة منك، فليس هناك تصرفات عبثية أو أخطاء.. كل شيء مدروس! وعلى سبيل المثال؛ كثيراً ما يحدث مع غالب الأسرى في زنازين التحقيق أخطاء مقصودة، كأن يقال إن وجوك في هذه الزنزانة كان بالخطأ، وهذا غالبا ما يحدث إذا كان أسير آخر في التحقيق له علاقة بك، فكأنّ اجتماعكما صار عن طريق الخطأ، وما هو بخطأ، بل هو عن عمدٍ لأنك ربما تتحدثُ سراً إلى صاحبك ولا تدري أن كل شيء منقول بالصوت والصورة، وليس هناك أسرار في الزنازين.

وممكن أن تجتمع مع رجل لا تعرفه بالخطأ كما يقولون، يقول لك كلمتين ثم تخرجُ من عنده، فيكون قد أدى رسالته وأسمعك ما يجب أن تسمعه عن عمد

وقصد، لا جهل وغباء، وهكذا يجبُ أن تتعامل في زنازين التحقيق حتى تنجو، وإلا ستقع كما وقع الكثيرون.

**كلامٌ معسول.. وآخرُ مرذول:**

وبعد وقتٍ طويل من الأسئلة الاجتماعية، أخذ المحقق يعرفني بنفسه واسمه، وأنه هو المسؤول عن ملفي وقضيتي، وبدأ بكلامٍ لطيف ومقدماتٍ نفسية يُظهر من خلالها حرصه عليّ، وخوفه على مستقبلي، وأخذ يُسدي إليّ كثيراً من النصائح.

في هذا المكتب سأمكثُ وأعيش فيه يوميًا أكثر من زنزانتي، في هذا المكان المحقق والحاسوب وملفات تملأ الرفوف، وهو مزود بكمرات مخفية وتسجيل دقيق لكل همسة، وهذا يتضح من خلال حالات إعتقالية كثيرة، حيث لم أشعر به بنفسي، وأنا طوال فترة التحقيق سأكون على هذا الكرسي الصغير، والذي يناسب طفلاً عمره ٧ سنوات، ويديّ مقيدة للخلف ولا ظهر للكرسي لأتكئ عليه، ورجلي كل قدم منها مربوطة بزاوية الكرسي المثبت في الأرض، وهكذا سيستمر معي الحال يومياً، وقد كان ساعات طويلة وليالي كاملة، أحياناً ١٢ ساعة، وأحياناً ١٥ ساعة بشكل متواصلٍ ودون انقطاع، أما المحقق فإنه يتحرك ويغيب طويلاً، ويعود وأنا على الكرسي، وأحياناً يذهب لبيته أو للنوم ويكمل غيره التحقيق، ويبقى المحقق مسؤول الملف يحافظ على معسول الكلام ولطف التعامل، أما دور غيره من المحققين فترهيب وضرب وشتائم وسباب، وصراخ بأعلى الأصوات في أذني، وهنا أحب أن ألفت عنايتكم إلى أن كل ضغط أثناء التحقيق؛ ينزلُ الله معه السكينة على القلب، وتشعر حقيقة بمعية الله التي تثبت المؤمنين، فإيمانك بالله وشعورك برضاه في أوقات التحقيق بالذات تجعلك كلما شدّد عليك المحقق تراه أكثر ضعفاً وأشد حيرة، فأنا وأعلم أن أمامي محنة شديدة، وليس أمامي سوى الله، هنا تنزل البركات بالصبر والثبات، فتحول الروح المعنوية إلى قوة عجيبة فيها آياتُ التحدي

والصمود، وأصعب شيء في التحقيق هو الجلوس الطويل على كرسي التحقيق الصغير، وما أكثر الأسرى الذين ما زالوا يعانون من آلام الظهر، أو تدلي البواسير، نتيجة لطول فترة الجلوس على هذا الكرسي، ويشتد هذا الألم كلما طال جلوسك، وتكاد تشعر أن عظام مقعدة الرجل تختلط بالشحم واللحم، ولكن الله يُصبّر، وقد تتعجب أخي القارئ إذا قلتُ لك أن أخفّ لحظات التحقيق هي عندما يتكاثر عليك المحققون، من كل جانب، كلهم يسبُّ ويشتم، وما درى هؤلاء الأغبياء أنني في هذه اللحظات سأنسى ألم الظهر والمقعدة ويذهب كل ملل وسآمة، وتتعاظم الروح المتصلة بالله.

إن ساعات التحقيق الطويلة التي يتم إهمالك فيها على الكرسي الصغير، تجعلك في أشد لحظات الانتظار للزنزانة الطويلة التي كنت تواً أعاف العيش فيها، حتى إذا عدت إلى زنزانتي واجهني هناك البرد الشديد، وزكمت أنفي الروائح الكريهة، وأقض مضجعي ضوء الزنزانة، فما هي إلا ساعات حتى تتمنى لو تعود إلى كرسي التحقيق، ويكون ذلك تحديداً في أيام الجمعة والسبت، حيث يتوقف التحقيق وهو عيد عند اليهود، ويوم عطلة عند المحققين فتبقى تنتظر اللحظة التي ستفر فيها من الزنازين، وهذه حالة اضطراب مستمرة ويصعب عليك الاختيار بين قذارة الزنازين، أو حقارة المحققين.

**لا معلومات مجانية:**

وبعد ساعات طويلة، وأنا بين يدي المحقق، وقد فرغ من أسئلته الأولية، وكان قد توسع وسأل عن الأهل والأقارب والجيران والأصحاب، والعمل، والانتماء، ثم بدأ في أسئلته بشكل عام من غير تفصيل، لا يحدد المطلوب بشكل دقيق، ولا يظهر ما عنده من معلومات حتى يبقى الأسير في حيرة ماذا لدى المحقق بالضبط، وبدأ بإعطاء نصائح تخص الاعتراف، وأنه الأفضل والأيسر، وأن كل شيء لديهم ولا

تغيب عنهم معلومة، والأمور كلها مكشوفة، فإن ساعدتنا ساعدناك، وإن تعاونت معنا سنيسّر لك الأمور، ولن تقوم الدنيا أو تقعد بالاعتراف، وبقي المحقق طوال هذه المرحلة والمدة يتكلم وطال في حديثه، وكأنه من خبراتهم السابقة فإن مثل هذا النفس الطويل والتوطئة النفسية قد يكون لها ما بعدها في التأثير، ويستجيب الأسير خاصة أنه لا نوم، ولا استقرار إلا بالاعتراف، وأخذ المحقق الخبيث يبدي أسفه على حالي ويلومني على ما أنا فيه بسبب أخطائي، وسيحاول بكل ما يستطيع أن يساعدني بشرط أن أكون معه صادقا وفقط.. إن هذا المحقق صاحب اللسان المعسول ولطيف المعاملة، هو هو ستجده في المكتب المجاور يضرب ويشتم، وهذه الأدوار المتكاملة تنضج إذا انتهينا من التحقيق، وصار كل أسير يتحدث بما جرى معه، ويسير الأسلوبان معا، فإن شعروا أن شخصيتك تضعف وتستكين وتستجيب بالشدة استمروا وزادوا في شدتهم، وإن علموا منك الانفتاح ورغبة في الاعتراف من خلال معسول الكلام قدّموه ولو كانت نسبة النجاح ١٪ فإنها ستقودهم إلى مرادهم، وإن ظننت نفسك أفقه منهم، هي الكلمة الأولى إن خرجت، خرجت ودمرت.

وبالمناسبة فإن هذه المرحلة بشقيها؛ الترحيبية والترغيبية تكون غالبة محدودة النتيجة، والاعترافات فيها قليلة، ولكن ثبت عن المحققين من خلال كثرة تجاربهم وتوارثها أن إظهار حب السلام ومعسول الكلام وخداع الألفاظ أنفع وأجدى من الشدة والتعذيب.

**وقفة وتأمل:**

أحبُّ أن أنوه إلى أنني أتكلم عن أساليب التحقيق التي حصلت معي، وإلا فإن أساليب التحقيق كثيرة وتختلف من شخص لآخر، ولكنني أعتقدُ أن من خلال قصتي ستكون هناك عبرة وعظة، فمن خلال قصتي أدركت أن المحتل لا يعرف كثيراً عن معظم الأسرى قبل اعتقالهم، وإنما يستدرجهم ببعض المعلومات العامة، ويستغل

النواحي الاجتماعية، فيصف للأسير بيته وجيرانه والأماكن التي حوله، ويظن الأسير أن هذه معلومات هامة، وكيف يعرف كل التفاصيل، وما دري هذا المسكين أن الطائرات التي تحوم حول غزة تصور كل شيء، وأحيانا يتم ذكر بعض الخصوصيات التي ربما تحدث بها الأسير على الجوّال، ويتم استرجاع معظم مكالماته من خلال بصمة الصوت، وهنا أفضل شيء أن نتعامل مع كل معلومة منه على أنها طبيعية، وإن كانت تتعلق بك وتضر بك، فأنكرها من غير تردد، ونعيد ونكرر احذر ثم احذر وأنت مع المحقق كذلك، فلا تتكلم ولا تبتسم، سيناقش المحققون الأسير في كل شيء، في السياسة، في الدين، في الفكر، في العلم، في الرياضة، في أي مجال تبرع فيه، وتحب الخوض فيه، ليس لأنهم خبراء في كل شيء، وإنما مرادهم أن تكشف عن شخصيتك، وكل كلمة هنا محسوبة عليك، واعلم أنك كلما تكلمت، تأخرت في التحقيق، وكلما صبرت وصمدت، خرجت من التحقيق أسرع، وكلما تكلمت عاقبوك بالمكوث في التحقيق فترة أطول، لأنهم يأملون بمزيد من الكلام يأخذونه منك، ولأنك إذا تكلمت علموا أن شخصيتك لا تطيق الصبر وستعترف أكثر، وهم يعتمدون على النفس الطويل، لذلك إذا مكثت شهراً فاعلم أن هذا التحقيق طبيعي، وأنه غالباً ما يستمر شهرين أو ثلاثة، أما في أول شهر تكلمت أو لم تتكلم، ستمضي هذا الشهر في التحقيق وهي أقل مدة، وفي بداية الأمر سيطلب منك الاعتراف عن أمور بسيطة ويصغرها لك ويهونها، هذه الكلمة التي ستصغر خطورتها، سيعولون عليها كثيراً لأنها ستجر الحبل، ومن قبِلَ أن يتساهل في كلمة فسيتساهل في جمل وعبارات وصفحات، وما يدري هذا الأسير أن كل كلمة يفصح عنها، وكل عجلة عنده، وقلة الصبر، كل ذلك معناه الحياة الطويلة في السجن تحت قهرهم واضطهادهم.

وهكذا سيستمر الحال، تنتقل من الزنازين إلى مكتب التحقيق، ثم من التحقيق إلى الزنازين ثم بعد ٢٠ يوماً، أو شهر، أو أقل أو أكثر المهم بعد الفترة التي يرون

أنك قد تهيأت فيها للمرحلة القادمة فسيبدأ معك شيء آخر، ونسبة النجاح هنا في هذه المرحلة محدودة، أما الأخطر والأشد ألمًا إلى نهاية العمر؛ هي المرحلة القادمة التي سيعترف فيها الأسير لا محالة، إلا القليل القليل الذي تعلم وقرأ واطلع ودرس من قبل هذه المرحلة، فقط هو من سينجو، فهذه المرحلة سيقر الأسير بنفسه، ومن غير ضغط، ويعترف بكل شيء، أو أغلب الأمور، ولكن بطرقٍ ناعمة، ومخادعة، وهي ما يطلق عليه «مصائد العصافير» أو «غرف العار».

## ثالثًا: مصائد العصافير:

للأسف، هنا انزلقت رجلاي، وانفلت لساني، وسأذكر هذه الحقيقة المرة، ليتعظ بها، كل من يقرأ قصتي، وإن كثيراً من الأسرى من شدة هول الاعترافات، يكتم أمره، ولا يقر أن الخديعة قد انطلت عليه، وهذه في حد ذاتها مصيبة، لأنه لو أن كل أسير وقع في هذا الفخ الخطير سطر تجربته وروى قصته ليتعظ بها غيره.

**اختبار:**

تبدأ حكاية العصافير من عند المحقق، الذي سيفحص مدى معرفتك وخبرتك، وعلمك المسبق بهذه الخديعة، وما الذي تعلمته بالضبط حتى يستطيع أن يتغلب على نباهتك وذكائك، يعرف ذلك من خلال عميل كان معك في زنزانة، لأنه قبل أن تذهب إلى سجن العصافير ستكون هناك مرحلة تمهيدية، وذلك من خلال تنقلات في زنازين التحقيق من زنزانة إلى أخرى، ستلتقي بأسرى آخرين لا تعرفهم، وقد يكون منهم من تعرفه، قد تدخل عليهم أو قد يدخل أحدهم إلى الزنزانة التي أنت فيها، واحتمالية العمالة فيمن ستلتقي بهم في زنازين التحقيق كبيرة، وهذا ما حدث معي، فبينما أنا جالس فإذا بالباب يفتح ويدخل عليّ شاب أسير مثلي، وقد بدا عليه الوهن ويظهر في ثوب مسكين وبسيط، ولا يتحدث إلا قليلاً، حتى ليشعرك أنه يخشاك ولا

يطمئن إليك، ودار بيننا حديث محدود، وبينما هو ينظر يميناً ويساراً، وكأن كلاماً مكتوباً على باب الزنزانة قد لفت انتباهه، وهو عن العصافير، يقرأ هذا المسكين فلا يفهم شيئا (أو هكذا يريد أن يشعرني)، فسألني ما المقصود بهذه العبارات، وماذا يقصدون بقولهم «احذروا العصافير»، وهنا يبدأ الأسير يشرح لهذا الذي يظهر بثوب الجاهل المسكين، ويعطيه ما توفر لديه من المعلومات عن العصافير إن توفرت، وربما تكون صحيحة، وربما خاطئة، لكن المقصود هنا من كل هذا الفيلم فحص مدى قدرتك على كشف العصافير، وعند عودتك للمحقق يكون قد عرف تمامًا ما لدى الأسير من معلومات عن العصافير، ويبدأ المحقق يرتب أوراقه بناء على هذه المعرفة.

**الخداع المكذوب:**

بعد فحصِ ما لديك من معلوماتٍ عن العصافير، فإذا كنت تجهل أي خبر عنهم، ولا تعرف شيئا، فإنه سيرسلك مباشرة إلى العصافير الذين ستظن أنهم أسرى مجاهدين، وتقع في الفخ، ولكن إن كانت لديك معلومات بسيطة عن العصافير، فسيرسلك إلى غرف صغيرة فيها أسرى، لتتأكد أن هؤلاء عملاء عصافير، ولتظن أنك كشفتهم، وعند عودتك من غرفهم إلى مكتب التحقيق سيقول لك المحقق وهو يظهر غضبه وانزعاجه الشديد منك، سيقول لك إنك ذكي وقد اكتشفت العصافير، والآن سنحاسبك بطرق أخرى إن لم تتعاون معنا، وأنه سيتركك في السجن سنين، ويقول لك من الكلمات ما يشعرك أنك قد انتصرت عليه، وأن التحقيق انتهى ولكنه سينتقم منك في المحكمة، وينادي على الشرطي الذي سيكمل الدور، وسيشعرك هذا الشرطي بتغير الحال وقرب الخروج من السجن، من خلال التخفيف في الإجراءات والقيود، فيدخلك في زنزانة جماعية، بها أسرى يتراوح عددهم ما بين ٥ إلى ١٠ أحيانًا، وسيمكثون سويًا، ربما يومين أو ثلاثة، وغالب هؤلاء الأسرى

عصافير عملاء، ويدور حديثهم عن السجون والانتماء الذي سيختاره كل أسير، ويقولون الحمد لله سليمة، ربنا يسرها، ويتحدث بعضهم لبعض، إلى متى نحن هُنا؟ ويجيب آخر أن هذه الزنزانة يتم فيها تجميع الأسرى الذين تم إنهاء التحقيق معهم، ليتم نقلهم إلى السجن جماعة، ويتحدث إليك أسير مثلك يوهمك أنه خبير سابق، ومعتقل متمرس، والأسير الجديد الذي يجهل كل شيء سيصدق ولو بعض الشيء، ويستمر الحديث بغزارة عن السجن والأقارب المتواجدين فيه، وأي سجن ستختار، وعن المحاكم و...الخ، وبعضهم يصف لك السجن وطبيعته، وما فيه، فيقول لك هناك ممثل الأسرى وهناك موجه فتح، وأمير حماس، ويتحدث عن الغرف وعن الفورة وعن كل شيء ستراه بعد ساعات، حتى ستكون في هذا المكان وتصدق هذا الأسير الخبير (الكاذب الحقير العميل)، وينادي الشرطي على أسرى قبلك، ويبدؤون بالخروج من الزنزانة أسيرًا أسيراً، ويعطيك الشرطي أغراضك كاملة، وهو يبتسم إليك وكأنه صديق تعرفه من دهر، ويقول لك: الحمد لله على سلامتك، إن شاء الله حكمك خفيف، ثم تخرج بلباسك الذي اعتقلت فيه ومعك أسير أو أسرى أو لوحدك، تخرج من الزنازين إلى السجن، والذي قد يكون في نفس مكان التحقيق أو في سجن آخر حسب التوطئة النفسية السابقة، وقد ذكرنا من قبل أنهم قد يرسلون الأسير الذي عنده بعض المعلومات عن العصافير، يدخلونه على غرف صغيرة بها عدد من الأسرى قد يتجاوز عددهم عشرة أسرى في زنازين مفتوحة على بعضها أو غرفتين ويتم استقبال الأسير كبطل، ومباشرة يدخلون بشكل ساذج وبسيط في الأسئلة الأمنية للتأكد من هويتك، ويسألونك أسئلة كان يسألك لها المحقق، وبالطبع ستكون في ريبة من أمرهم، وهذا دورهم أن تكون في ريبة من أمرهم، وتمكثُ عندهم مدة ثلاثة أيام تقريباً وقد تزيد، ثم تعود إلى مكتب التحقيق إلى حيث كنت، ليعترف لك المحقق بالهزيمة، ويقر لك بأنك ذكي وقمت بكشف

العصافير، وهذا كله قبل الزنزانة الجماعية، وبعد يأس المحقق الذي يظهر لك أنه يئس منك وهو كاذب، حيث هو يمهد لما هو قادم وللعصافير الحقيقين.

ويبدأ المحقق ويبدأ المحقق بتغيير أسلوبه، وكأنه مصدوم ومهزوم لأنك كشفت العصافير، ولكن ما بهذه السهولة والبساطة تسيرُ الأمور، ويكمل الدور أصحاب الغرفة الجماعية والتي قد هيأتك لدخول السجن (العصافير)، وإذا كنت ذهبت للعصافير المكشوفين فسيعترف بعضهم أمامك أنه قد اعترف عندهم، ووقع في المصيدة، وهو كاذب، كل هذا الفلم تمهيد للعصافير الحقيقيين والخديعة الكبرى.

**إلى العصافير الحقيقيين:**

كل ما مضى هو تمهيد لمرحلة العصافير الخطيرة، فالعصافير في المرة الأولى حتى تظن أنك ذهبت إليهم وكشفتهم، ثم اعترف المحقق أنك كشفتهم، ثم قال الأسرى في الزنزانة الجماعية والذين هم في الغالب عملاء، فمنهم من قال كشفهم ومنهم من اعترف أنه وقع، وكل ذلك كذب، ثم يأتي الشرطي ويعطيك أغراضك كاملة ويتم إدخالك إلى قسم خاص في نفس السجن، أو في سجن آخر (نؤكد هو ليس سجناً، ولكنه مركز تحقيق بلسان عربي مبين من غير مكاتب ولا حواسيب)، وسيكون هناك ضابط القسم الذي سيأخذ منك المعلومات ويعطيك بعض الملابس وكأنك ذاهب إلى السجن حقيقة، ويأتيك أسير ويدعي أنه ممثل الأسرى، ويرحب بك أجمل ترحاب، ويقول: أهلاً وسهلاً بك بين إخوانك، ويدخلك القسم (والذي هو مكان لتجمع العملاء العرب الذين يعملون مع المحتل وهم من يطلق عليهم «العصافير»)، ويصطف هؤلاء الأسرى ويستقبلونك استقبال الأبطال، من كل الفصائل الوطنية، فهذا أمير حماس، وهذا موجه فتح، وهذا ممثل الجهاد، وهذا لقبه كذا وكذا، وسيقولون:

إنك في غرفة أو غرف وطنية، وأحياناً يظهرون كأنهم من لون وفصيل واحد، ويهنئونك بالسلامة وستأتيك الهدايا، وتأكل ما لذ وطاب من الطعام، ويتبرع من حولك بملابس جديدة، كلٌ يمدك بشيء، فهذا يعطيك بنطال، وهذا يعطيك قميص، وثالث يعطيك ملابس داخلية، وستأتيك رسائل على أنها من أصحاب لك في السجن، إن كان هناك أسرى من نفس المنطقة أو أقارب، ويبدؤون معك بسرد واقع حياة السجن والتنظيم، ويعملون حلقة تعارف، وستراهم يتابعون الأخبار في التلفاز ويتفاعلون معها، وهذا يشتم الظالم فلان، وهذا يلعن الأنظمة الظالمة، وهذا يتضايق لأن المحتل قد اعتقل قريباً له، وهذا يتأفف من طول سجنه، وهذا عنده عشرات الكتب على البرش، ومنهم من لا يفارق المصحف، وعندهم نظام حديدي صارم وسمع وطاعة، ويسألونك سؤالاً عابراً عن القضية، والحمد لله أنك صمدت، ويثنون عليك ويقولون لك: هكذا هم الرجال، ويتحدث عن المحتل بأشنع الأوصاف، ويصفهم بالجبناء، والأغبياء ويصفون الأسير بالألقاب الفخمة، وأنهم سيستفيدون من تجربته، وهناك من يوهمه بأنه من منطقته، فيسأله عن الحياة، وعن فلان وعلان، وهل بقيت الحديقة أو شجرة الزيتون، وعن العمارة القديمة الفلانية، وعن الشوارع، بحيث يشعر الأسير وكأن هذا الأسير يعرفه عن قرب فيطمئن إليه، والأسير الجديد بحاجة شديدة إلى من يطمئنه ويشعر به، ويخفف عنه، ويحدثه عن السجن وكيف يتعامل معه، وكيف يكسب وقته وينظم حياته من اليوم، ويعملون سوياً برامج خاصة.

**أمير سجن كاذب [عصفور]:**

ثم يأتيه أسير (عميل) يدعي أنه أمير السجن «المزعوم»، والناس من حوله توقره وتجله، ويتعرف هذا الأمير الكاذب على الأسير المستهدف، يتعرف عليه شخصياً، ويسأله عن أمور هامة، ويعرفه بما له وما عليه من حقوق وواجبات، وعن لجان السجن الثقافية والإدارية والخارجية والأمنية، من هو مسؤول كل لجنة،

وعن اللجنة الأمنية سيتوقف، ولا يذكر اسمه، فإن مسؤول اللجنة الأمنية سيبقى سريًا، وسيتواصل مع هذا الأسير برسائل سرية عند الأمير المزعوم، والتواصل معه ضروري جداً حتى يتم اكتشاف الخلل وعدم الوقوع في الزلل، كما يدعي الأمير الكاذب، وبالطبع فإن هذا الأمير سيلبس ثوب الناصح، ويقول للأسير المستهدف: لا تتكلم مع أي أسير في قضيتك لأن اليهود يزرعون بين الأسرى عملاء، فاحذر أن تتكلم مع أي أسير، اللهم إلّامع أمير حماس، أو مسؤول اللجنة الأمنية فقط، وربما تمضي أيام من غير سؤاله عن قضيته، وتجري أمامه بعض حالات تحقيق وهمية مع عملاء أو اكتشاف معلومات هامة، وربما استخدموا الأسير في مناصب وهمية يزعمونها، فيكون شاويش قسم أو أمير غرف، أو مسؤول أسرة، وفي هذه المرحلة يكون الأسير في شبه غيبوبة، لشدة ما يرى من الاحترام والجلسات المتنوعة في الفقه والعقيدة والسيرة والقرآن والسياسة والأمن، حتى ليخيل إليه أنه بين شرفاء أنقياء أتقياء يقومون الليل ويقومون النهار، ويقرؤون القرآن، وربما أحدثوا مشاكل مع السجان، وهكذا يستمر الحال ربما لأيام.

**الأسئلة الحرجة:**

وبعد أيامٍ ستأتيهِ رسالة من مسؤول اللجنة الأمنية، يسلمها الأمير العام بنفسه، ويطلبُ منه تعبئة استبيان أسئلة يقولون عنها مهمة، وهذه الأسئلة هي من التنظيم في الخارج (وكل ذلك كذب وافتراء)، ويطلبون أن تكون الإجابة في ورق، وربما استدعى الأمر جلوس الأمير العام نفسه، أو أحد أعضاء اللجنة الأمنية المزعومة، فيقول للأسير المستهدف إنك في ورطة ويجب أن تتعاون معنا لأن هناك بعض الشكوك حولك، ثم يسألون الأسير المستهدف، فيمن تشك في المنطقة من عملاء؟ ومن هو وراء قضيتك واعتقالك باعتقادك؟ ومن هي الدائرة المحيطة بك؟ والتي كانت على علم بخروجك في المهمة الجهادية؟ ومن هم المقربون إليك جداً، من

شباب المسجد، وشباب المناطق الأخرى؟ لأن هناك شبكة عملاء يجري البحث عنها، ومَنْ مِن الناس تثق فيهم يمكن سؤالهم والاستفادة منهم؟ ومن يملك عنك معلومات تؤكد أنك منتمٍ للتنظيم بحيث نسأله عنك؟ وفي مراحل كثيرة قد يصلون معك على أنك عميل وهم الشرفاء، وستكون مقاطع ومشبوه وحولك شكوك، وهنا لا يكون من الأسير المستهدف المسكين المخدوع إلا أن يدافع عن نفسه ويذكر ما له وما عليه، وعلى الأقل سيقول اسألوا عني فلان وفلان، وما دري هذا المسكين أنه وقع في المكيدة، وانطلت عليه الحيلة، فيبدأ يكتب، وكلما كتب تورط أكثر، وبعد ساعات سيكتشف أن هذه الأوراق الموقعة باسمه بين يدي المخابرات، وأن من كان يجلس معهم ما هم إلا رجال مخابرات (عصافير)، لا رجال فصائل وأحزاب وطنية.

**الدرس الذي يجب عليك أن تتعلمه:**

إن الذي يجب أن تتعلمه بمجرد دخولك السجن، بل من لحظة الاعتقال، أنك مستهدف، وأن العملاء من أمامك ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك، ويجب ألا تتكلم، وأنه لا يسألك عن قضيتك إلا عميل مدسوس، لذلك أول ستة أشهر على الأقل يجب أن تحذر، ثم تحذر، والحذر يستمرُ معك إلى آخر سجنك، وهناك عملاء مزروعون في كل زاوية.

باختصار.. لا تثق بأحد، فأنت ما تزال في التحقيق، وكل أفلام السجن ممكن أن يتم تطبيقها عليك، فيشعرونك أنك قد أنهيت التحقيق وها أنت تخرج إلى المحاكم، وكل ذلك كذب وتضليل وصيد في الماء العكر.

**قصتي مع العصافير:**

أخي القارئ، أختي القارئة، إليكم قصتي وما حصل معي من قلب العصافير (العملاء)، وهو مسلسل طويل متراكب الخطوات، وأنتم تقرؤون قصتي سترون أن

كل كلمة أو حركة كانت قد أعدت من قبل إعداداً محكمًا وأُبرمت بامتياز، وهي أشبه ما يكون بفيلم متكامل الأجزاء، وهو فلم حقيقي، يقوم بتنفيذه جهاز المخابرات الصهيونية ويشترك فيه مع رجال المخابرات، شرطة تحقيق، وشرطة زنازين، وعملاء في الزنازين (بثوب أسرى)، وعملاء في الغرف (عصافير).

إن كل محاولات المحققين معي لم تجد سوى أمرين استخففت بهما، وذلك لشيوعهما وقلة خطرهما من وجهة نظري، كما ظننت أنني لا أستطيع إنكارهما، لاحقاً وبعد خروجي من السجن أيقنت وتعلمت أن أي دليل أو خبر عني ولو حقيقي لا يثبت إلا بعد إقرار المتهم نفسه، والقضية التي لا تعترف بها أهون ألف مرة من أن تعترف بنفسك، وعلى مدار شهر كامل تقريبًا لم يكن عندي سوى هذين الأمرين.

**الخطوة الأولى:**

وبعد ملل كامل من المحقق، جاءني شرطي النيابة الصهيونية، ليكتب التقرير، والذي يجب أن يسمعه مني مباشرة، اعترافاتي تكون أمامه وكل التهمة الموجهة إليّ تكون بين يديه قبل أن يراني، لكن حسب قانونهم يجب أن يسمع مني شرطي النيابة ويكتب التقرير بتوقيعه، وهذا غالباً ما يكون بعد انتهاء المحقق من مهامه، ولكن هنا هذه الناحية تُستغل، فأول خطوة للتمهيد للوقيعة في فخ العصافير هذا الذي يكتب التقرير النهائي، وأخبرني أنني مسؤول عما أقوله وأن ما أقوله أمامه هو الذي سأحاكم عليه، وأن هذا آخر شيء في التحقيق وبعدها سأخرج إلى السجن مباشرة، وبعد أخذ أقوالي، قال لي: قبل أن تخرج إلى السجن بقي عليك أمران، الأول هو أن توقع على أقوالك، وبالمناسبة هو يكتب باللغة العبرية ولا أعرف أصلاً الكلام الذي يكتبه، أما الأمر الثاني فأخذ بصماتي كاملة، وجعلني أوقع بها، والبصمات لليدين كاملتين، والأصابع العشرة مع الكف، ويبقى أثر الحبر على يدك لمدة ثلاثة أيامٍ على الأقل، وهذا مقصود وله هدف ستعرفونه لاحقاً.

**الخطوة الثانية:**

هنا يأتي شرطي الزنازين، والذي بدوره أخذني ووضعني في زنزانة فيها أسير لا أعرفه، تعارفنا وتحدثنا، وادعى أنه من منطقة الشيخ رضوان، ثم نظر إلى يدي، ورأى الحبر الأسود قد ملأهما فقال لي: وقعت الآن؟ وأخذوا منك البصمات؟ فقلت: نعم، فقال: أنت الآن انتهيت من التحقيق، وقد كان عرفني عن نفسه من قبل وأنه قد اعتقل من قبل، وهذا هو الاعتقال الثاني، وعنده خبرة من التحقيق الأول، فهم عاجزون عن نزع أي اعتراف منه، وأخذ يرشدني بحكم خبرته السابقة (وهو كاذب وعميل)، ويعطيني نصائح، احذر كذا وكذا وكذا، واعمل كذا وكذا، وكل ذلك تمهيد لما هو آتٍ، ثم قال لي: إنك الآن أغلب الظن ستخرج إلى الأقسام إلى غرف السجن، وستلتقي بالأحبة والمجاهدين، وستشعر براحة كبيرة.

**نصيحة الثعلب:**

وقال لي: أريد أن أنصحك نصيحة هامة، الآن أنت أنهيت التحقيق، وسيأتيك الضابط ويعطيك الملابس، فإن جاء الضابط وأعطاك ملابسك الخاصة والأمانات الخاصة بك، فاعلم أنك ذاهب إلى السجن، وهذا أكيد، لكن احذر، احذر إن جاءك الضابط وأعطاك ملابس السجن (ملابس شاباص، زي خاص للأسرى)، فأنت ذاهب إلى عصافير، وهؤلاء عملاء احذرهم، ثم صار يصف لي السجن، ومن نصائحه في السجن قال: احذر أن تتكلم بكلمة واحدة مع أي شخص عن قضيتك، وستجد هناك من يسألك، فلا تجبه، إلا الأمير العام (هنا الفخ)، فإنه يجب أن يعرف عنك كل شيء، وإذا لم تقل له ويطمئن إليك، فإن له اتصاله بالحركة خارج السجن، وسيأتي بكل التفاصيل عنك، أما إذا سألك غير الأمير أي شخص آخر، مهما كان، إذا سألك عن قضيتك فاحذر منه وابتعد ولا تجبه، واذكر ذلك للأمير مباشرة، لأنك يا خالد، لا بد وأن تعرف أن العملاء في كل مكان، وفي السجن يتم دراسة كل القضايا، كل أسير

يدخل السجن يجب أن يتم دراسة قضيته وملفه، وهناك تنسيق كامل بين الحركة في السجن، والحركة خارج السجن ويجب أن تصل الحركة في الخارج تفاصيل كل ما حدث معك، حتى يتمكنوا من متابعة العملاء، وفي الآونة الأخيرة قد تم كشف مجموعات كبيرة من العملاء، ويعود الفضل في ذلك إلى العمل داخل السجون، ودراسة القضايا وإرسالها للخارج، وهناك في السجن سيأتيك الأمين العام، فيجب عليك أن تعطيه كل شيء عن قضيتك، فسيعرف من أين الخلل؟ وأين يكمن موطن الضعف والزلل؟ ثم أخذ يكثر من نصائحهِ وصار يصف لي السجن، وأنه أول ما يدخل الأسير يحصل معه كذا وكذا، وكل ما يصفه لي (هو مكان العصافير، القسم الخاص بالعملاء) وليس السجن الحقيقي، وبذلك يكون دور هذا العميل انتهى إلى هنا، وهذا الدور مهم جداً، ومن الجدير ذكره، أن هذا الرجل من عذوبة كلامه وشدة حرصه، وكثرة نصائحه بكلام لا تشعر فيه أي غرض، فقط هو ينصح ولا يأخذ منك معلومات، ولكنك من حيث لا تدري تنطبع في ذهنك الصورة التي ستراها تتحقق بعد قليل، ورأفة بحال هذا (العميل)، وما كنت أظن أنه عميل، أخذت أدعو له عندما خرجت من عنده وأنا أحبه وأشفق عليه، لعنه الله.

أرأيت أخي القارئ؛ كيف أن مجرد السماع في السجن مؤذٍ ومهلك ومقصود.. فلا تسمع لأحد.

**الخطوة الثالثة:**

حيث جاء ضابط الزنازين إلى زنزانتي، وكان الرجل (العميل) ما يزال بجانبي، فأعطاني الضابط ملابسي الخاصة التي اعتقلت بها، وأماناتي، وقال لي: جهز نفسك والبس ملابسك لتنتقل إلى السجن، وهنا نظر إليّ الرجل نظرة الفرح بهذا الخروج، وقال: اطمئن أنت الآن ذاهب إلى السجن، فلا تقلق، وودعت الرجل وأنا أدعو له.

**الخطوة الرابعة:**

وتم نقلي من تحقيق عسقلان إلى سجن السبع، وهناك تم عرضي على دكتور وأجرى لي فحوصاً طبية، وسألني عن وزني وإن كان يوجد عندي أمراض، ثم اقتادوني إلى ضابط شرطة، والذي بدوره أعطاني إرشادات السجن مكتوبة في ورقة، ما يحق لي وما هو محذورٌ عليّ في جو تشعر تماماً كأنك منقول إلى سجن فعلاً، وهذا الذي يجري بعض ما أخبرني به العميل الذي في الزنزانة، تماماً كما قال، وصارت نفسي تحدثني عمّا سأراه في السجن، وصرت أتهيأ كاملاً لدخول السجن، حتى أرتاح من عناء طويل، وحدثتني نفسي عن أسرى طالما سمعت عنهم وحلمت أن ألتقي بهم في الخارج، وها أنا ذا سائر إليهم عما قليل، وقد كنت قبل اعتقالي أعلم أن هناك اتصالات من داخل السجن من الأسرى مع ذويهم، فهل سأتحدث الآن مع أهلي، هذه هي اللحظات الحاسمة والأجواء الساخنة التي أفكر فيها، وتتسارع خطاي وتكاد عقارب الساعة تتوقف وأنا أنتظر اللحظة التي سأطمئن بها أبي وأمي، كنت في أمس الحاجة إلى الاتصال بأمي الحنونة وبجميع أهلي، لأطمئنهم أن الأمور بخير، وأنني على ما يرام، وأن قضيتي خفيفة إن شاء الله.

**الخطوة الخامسة:**

وبينما ضابط السجن يقتادني، وأنا مقيد اليدين والرجلين، وأدخل من باب وأخرج من باب، حتى وصلت أخيرًا إلى القسم الذي قالوا عنه إنه قسم المجاهدين والمناضلين، وهنا تبدو مشاعري غريبة جداً، والفرح بداخلي يتعاظم، حتى خُيّل إليّ وكأنني على وشك الإفراج، ثم فتح الضابط باب القسم، ونادى على ممثل القسم (والعادة أنه في كل سجن هناك ممثل للأسرى، وكذلك في كل قسم)، وعند الباب، سلّم عليّ ممثل القسم ورحب بي أجمل ترحاب، وانظروا هنا كيف تدار اللعبة باحتراف عالٍ جداً، أقوى ألف مرة من تمثيل الأفلام والمسلسلات، ويعانقني ممثل

القسم بشدة، وينادي بصوت عالٍ داخل القسم وهو يقول: قادم جديد يا شباب، رحبوا فيه، أهلاً وسهلاً بك بين إخوانك، وتبدو ابتسامته عريضة جداً، ومن شدة العناق حتى كأنه يعرفني من أمدٍ بعيد، ويضرب بيده ضربات خفيفة على ظهري وكتفي، كضرب المحب لحبيبه، ويقول: تفضل، أدخل، ونمشي سوياً، فلا يدخلني إلى الغرف، بل إلى ساحة كبيرة وهي ما يطلق عليه في السجون اسم (الفورة)، وهي مساحة تقدر غالباً بـ **١٢** متر طولاً و٨ متر عرضًا، وينادي يا أبا فلان، يا فلان، جاء قادم جديد، ونسيت أن أذكر؛ أنني عندما دخلت سجن السبع كنت قد التقيت بأسير جديد ونحن داخلون إلى القسم حيث كان قادماً من سجن آخر، ونحن متوجهان معاً إلى ما يزعمون أنه أقسام المجاهدين (وهذه تكملة لفصول هذا الفلم، فأن تجد في طريقك من هو قادم جديد إلى هذا السجن، فإن معنى ذلك أن يترسخ لديك اليقين أنك ذاهب إلى السجن ولا يدخل إليك الشك مطلقاً).

**عناقٌ تتمنى ألا يكون بعده فراق!:**

وهنا وفي مشهد رهيب وعجيب، يتجمع الناس، الشباب، كأسرع ما يكونون في اشتياق إلى قادم، ويلتفون على شكل دائرة، وكلهم يبتسم للقادم الجديد، وقد أعدوا أنفسهم ليكونوا أشبه ما يكونون بأسرى الفصائل، ويبدؤون المعانقة بعد التسليم واحداً تلو الآخر، وكلما عانقت أحدهم يشدني إلى صدره، ويضمني إليه ضماً، وكلهم يبتسم، وبعد هذا العناق والترحاب، وما يزالون يتجمعون حولي، وكل واحدٍ يسأل من جهته سؤال الجاهل، سؤال الذي يجب أن يتعرف، من أي منطقة الأخ؟ من غزة، ومن أي سجن أتيت؟ أنا من زنازين التحقيق، فقال كبيرهم، عفواً كنا نظنُ أنك قادم من سجن آخر، يا شباب، الأخ قادم من زنازين التحقيق، وليس من سجن آخر، دعوه ليرتاح، وهم يقولون ذلك بصوت عالٍ لكي أسمع، يقول أحدهم وهو يسمعني: الذي يأتي من التحقيق يكون تعبان جداً، ويأخذني شاويش القسم

إلى الغرفة التي فيها سأنام وأستقر، ويقول لي: ارتاح، ويبتسم بحرارة ويجلسني بجانبه، ويعرفني على برشي، ويبدأ في ترتيب البرش.

**كرم الذئب:**

وينادي الشاويش على الشباب، يا شباب، من عنده أغراض وملابس يتبرع بها لأخيه، ويبدؤون بكرم عال، هذا يفتح شنطته ويخرج وجه فرشة، وآخر ملابس، وثالثٌ هدية، وهكذا، وفي لحظات صارت تتقاطر عليّ الهدايا، وقدموا لي مباشرة المشروبات الباردة والساخنة، ثم قالوا لي: يظهر عليك التعب الشديد من زنازين التحقيق، هذا برشك جاهز، خذ راحتك، ادخل الحمام واغتسل، فإن الاغتسال مفيدٌ ومريح للجسد، معنوياً ونفسياً، ثم استلقيت على البرش، وقد كنت فعلاً في أشد حالات تعبي، فالإعياء والإرهاق من المكوث الطويل على كرسي التحقيق والحرمان من النوم، والصراخ الشديد، كل ذلك كان قد فعل فعله فيّ، وكنت بالذات أتوجع وأتألم بشدة من أسفل ظهري، عند آخر فقرة في العمود الفقري، فبعد هذا التعب الشديد أجد هذا الترحاب والاحتضان والإكرام والاحترام بما كنت محروماً منه، حتى من الماء الصافي، وكم كنت أتمنى أن أتذوق شيئاً حلواً، وكل ذلك فجأة ينهال عليّ مرة واحدة، وكأن الألم قد زال، واستلقيت على برشي، واسترخيت، حتى ما كان ألذ وأحسن منها من نعمة، ولا أطيب راحة، ثم ذهبت في نوم عميق، وذهبت الكوابيس التي كانت تطاردني، وكلما استيقظت من نومي شعرت أنني بأمس الحاجة إلى مزيد من هذه الراحة، والشباب (العصافير) من حولي يبدون أشد الاهتمام براحتي، وتركوني على مدار يومين كاملين على هذه الحال، عطاء ومساعدة، وحملوني على أكف الراحة، ثم أعدوا احتفالاً خاصاً بقدومي على طريقتهم، ثم رأيت عندهم من جلسات العلم ما يشرح الصدر، وأخذت أتنفس هواءً طيبًا لهذا الجو المملوء بالجلسات المتتابعة، وخلية تدوي من كثرة قراءة القرآن،

والمسابقات المتنوعة، ثم جرى هناك تعارف، والكل يعرفني بنفسه، فرأيت معظمهم من غزة، وبعضهم يقول: أمضيت عشرين عاماً، وآخر يقول **١٥** عاماً، وثالث عشرة أعوام، وهذا أقل وهذا أكثر، ولأنني أسير جديد، فالكل يظهر لي بأنه يريد أن يمشي معي ويسألني عن الخارج وعن إمكانيات المقاومة، وبعضهم يسألني عن القضية التي اعتقلت من أجلها، وأنا لا أجيب أحداً.

ثم في اليوم الثالث جلس معي أمير الغرفة، وأخذ يرشدني ويطلعني على قوانين السجن، وحقوقي وواجباتي، وقال لي: لا تحدث أحداً مهما كان عن قضيتك إلا أمير السجن، فهو الوحيد المسؤول عن قضايا الأسرى (والذي سيكون رجل مخابرات بلسان عربي مبين)، وبذلك وجدت توافقاً بين كلام أمير الغرفة، وبين رجل الزنازين (لعنه الله)، فأصبحتُ أتحسس أكثر وأكثر عن أي سؤال بخصوص قضيتي.

**بداية الحسم في إدارة اللعبة القذرة:**

صرتُ أكثرُ من الجلوس وحدي، ولا أجلسُ مع أحد، جفّت العلاقة وصارت أقرب للقطيعة، رأيت وجوه القوم وسادتهم يكثرون الجلسات الخاصة في الغرفة، وبعضهم ينظر إليّ، ويهمسون لبعضهم بطريقة تشعرني أنني منبوذ، وأنهم يرتابون مني، ويشكّون في أمري، وصارت نظراتهم المصطنعة تجاهي تعني أنني غريب ومدسوس، وفجأة صرت أمشي في الفورة وحدي، وفي الغرفة وحدي، ولا أحد يكلمني، أو يسلم عليّ، حتى أثناء فترات الطعام لا أحد يدعوني وصرتُ مقاطع، وهنا ضاقت عليّ الأرض، وأصابتني كآبة شديدة، وهمٌ وغمّ، وصرت أفكر في هؤلاء الذين يقاطعونني ويشكّون بأمري، وكيف سأجعلهم يطمئنون إليّ، حتى الصلاة لا يدعونني إليها وكأنني أصلاً غير موجود، فما غمرني من فرح سرعان ما تبدد، وكانت زنازين التحقيق وكرسي التحقيق أهون عليّ ألف مرة من هذا الموقف، وصرت أحسب ألف حساب للأيام القادمة، ولماذا يتعاملون معي بهذه الطريقة.

**وفجأة جاء الفرج:**

وفي اليوم التالي والحال يضيق، والكآبة لا تنقطع، وبينما أسير في الفورة أمشي وحيداً، وفجأة رأيت هدوءاً عمّ، لفت انتباهي، ثم رأيت الأسرى جميعهم يتوجهون باتجاه باب الفورة ولا أعرف ما الخبر؟ فهمس أحدهم في أذني: هذا أميرنا لقد وصل هيّا، تعال سلّم عليه، وتوجهت مثلهم، وكلهم يقوم إليه باحترام ويعانقونه رجلاً رجلاً، وهمس أحدهم في أذني: هذا أمير السجن من بيت حانون، واسمه أبو حازم، وكنت آخر القوم، وحينما وصل دوري في السلام والمعانقة، نظر إليّ وهو يبتسم، فقال: أنت أبو الوليد؟ أهلاً أبو الوليد (وهذه كنيتي القديمة، أما الآن فهي أبو عز الدين إن شاء الله)، وعانقني عناقاً شديداً، ولكم كانت فرحتي وهو يضمني إليه ويرحب بي، وكنت متفاجئاً جداً، وفي ذات الوقت فرح، بفرج الله عليّ، وأول سؤال سألته بين الأسرى (العصافير) أتعرفني؟ فقال: بالطبع، أعرفك جيداً، وأعرف كل شيء عنك، وأعرف أخاك تامر وهو صاحبي، ثم ازدادت فرحتي لأنه يعرف أخي تامر

**أمير حماس (المزعوم) يمدحني على رؤوس الأشهاد:**

ثم أخذ يمدحني بين الأسرى (العصافير) بسمعهم، فما كانت فرحة أشد عليّ بعد غمٍ مثل هذه الفرحة، خاصة أنه كبير القوم وأمير حماس العام (الكاذب لعنه الله)، ورأيت كأن الناس ينظرون إلي بإعجاب وكأنه يندمون على قطيعة كانت منهم، وأكثر من ذلك قال لي وهم يستمعون: أنا جئت خصوصاً من أجلك وخاصة لمعزة أخيك تامر ثم مشى معي والناس من حولنا يمشون وهو يتحدث إليّ وإليهم، فشعرت بعلو مقامي بعد يأس سيطر علي وكآبة نفس ملأت مشاعري، ثم قال لي ـ معتذراً يطلب الإذن ـ: الآن سأذهب وأجلس مع الإخوة في التنظيم لبعض الوقت، وقال: سنجلس طويلاً نتحدث فكم كنت أتمنى أن أرى أحداً من أهلنا في غزة لنسمع

عنهم كل جديد (صدق وهو كذوب) والحديث على مسمع الشباب له خاصة بعد ما مرَّ بي فلست أطيق المدح لكن أن يأتي في قوته ويرفع عني الظنون فهنا سأفرح وبعد جلوسه مع رجال التنظيم (العصافير) قال لهم بصوت أسمعه ويسمعه بعض من حولي: سأذهب ألى أبي الوليد وأجلس معه، وجهزوا لنا يا شباب كاستين نس كفيه، فانظر أخي القارئ، كيف تسير الأمور سيراً محكماً معداً له سلفاً؛ كل حركة كل كلمة كل فقرة، أدوار يكمل بعضها بعضاً، أما مسؤولي العمل سأذهب إلى أبي الوليد، وكأنَّ أعباء العمل التنظيمي تسير ويجب الجلوس مع أعضاء العمل التنظيمي قبل أي فرد أو محسوبية ومن هنا تدرك أخي القارئ كيف أن معظم الأسرى يقعون في هذا الفخ وفي هذه المصيدة والمكيدة.

**ولي مكرمات خاصة:**

ثم جاء الأمير (العميل) وجلس بجانبي على البرش وأخذ يكلمني بحرارة واشتياق وحب، وجلسنا طويلاً نتكلم عن كل شيء وبعد جو ملبد بالشبهات شعرت هناك من يعرفني عن قرب ويحضنني باحترام كبير وصرت بعد ذلك دائماً بجانبه وأمشي معه وقد أخبرني أنه عادةً في زيارته للقسم يمكث ساعات ويغادر القسم إلى غرفته في القسم الآخر ولكن لأجلي سيمكث أربعة أيام في هذا القسم وقد طلب ذلك من إدارة السجن ووافقوا له ثم ذكر لي أنه تواصل مع التنظيم في الخارج وقد أوصوه بي كثيراً وأن الدنيا كلها في الخارج قد انقلبت بعد اعتقالي، وهناك أطراف خيوط.

**قصص بطولية مع أخي تامر:**

ثم صار هذا الأمير (العميل) يذكر لي أموراً عن منطقتي أعرفها وهي حقيقة ومنها ما هو عام ومنها ما هو خاص ولكن الغريب يذهل حتى عند ذكر أمور عامة القريب البعيد عن منطقته وبين قوم لا يعرفهم سيعتبر من يحدثه ويذكره بمنطقته

وسكنه وبيته سيعتبر هذا الرجل قريباً منه يأنس به وهذا ما كان لي من هذا الأمير المزعوم حيث وصف لي بيتي بدقة وذكر لي شدة علاقته بأخي الكبير تامر، وأنه شرب الشاي على سطح بيتنا، حينما كان يزور تامر، وأخبرني أنه شارك مع أخي تامر في عدة مهمات والغريب أنه ذكر أموراً أعرفها بدقة والباقي لا أعرفه وهذه الأشياء التي ذكرها لي جعلتني أرتاح إليه بل وأثق به خاصة بعد الاحتضان الشديد بعد يأس وعزل وشبهة وصدق كل ما قاله لي وأصبح موضع ثقتي وصرت أتحدث إليه بحب واحترام وأريحية وما بين الفينة والأخرى لا يفتأ إلا ويذكر اسم أخي تامر وأن عليه واجباً كبيراً تجاهي لأجل أخي تامر ومن خلال هذه القصص التي يرويها صرت لا أفارقه وتبين لي حقاً أنه يعرف أهلي وبيتي وإخواني وحارتي وسألني عن فلان وفلان ويقول: رحم الله فلان ونسأل الله الشفاء لفلان قصص كلها من حارتنا وشوارعنا وأشخاص أعرفهم.

**لا تتفاجأ:**

وهنا لا تتفاجأ أخي القارئ من هذه المعلومات التي ذكرها فهذه معلومات بضغطة زر على الانترنت ستعرفها بكاملها وبالطبع بيتنا وبيت إخواني وأخواتي كل شيء مرصود في السجل المدني وكل شوارع غزة وعماراتها وأشجارها وتفاصيلها موجودة عند يهود، فهم كل يوم يصورون قطاع غزة ولكن الذي يجهل هذه الأمور يتعلق بقشة عند قوم لا يعرفهم ولا يعرفونه ويطرب لذكر منطقته وحارته وأصحابه وخاصة إذا كان كبير القوم (كبير العصافير فيما بعد) مع التأكيد على أنه لا يمنع أن يكون عندهم بعض المعلومات التي يجمعونها من عملائهم في المناطق، وهنا ليس بالضرورة يطلبون من عملائهم معلومات أمنية عن المنطقة بل أمور اجتماعية لأنه سيستفيد منها وكلك من خلال مراقبة شبكات الاتصال المختلفة والإنترنت مع التأكيد أن المحقق في مكتب التحقيق لا يكشف كثيراً من هذه المعلومات ويتركها

لهذه المرحلة (مصائد العصافير) لأنه سيلبس لباس الوطنية وينطق بلسان حارتك وعشيرتك ويذكر لك ما تجهر بذكرها، ثم إن هؤلاء العملاء (العصافير) لا يدخلون في القضية مباشرة ولا يسألون عن تفاصيل مملة بل يذكرون لك من بعيد مما تضطر معه لذكر القريب فتكون اعترفت بنفسك لا بضغطه وسؤاله المباشر ولا بالطبع سينكشف أمره ويفتضح زيفه ويفشل في مهمته.

**كبير العصافير حريص على كشف العملاء:**

ثم بعد ذلك أخذ هذا الأمير المزعوم يتدرج معي شيئاً فشيئاً حول القضية، وذكر طبيعة السجن وكيفية دراسة القضايا والضربات، والخلايا التي يتم قصفها أو اعتقال أحد أفرادها فيجب دراسة القضية من شتى جوانبها حتى تؤخذ العبرة لعدم الوقوع في الخطأ، وحتى يتم محاسبة المسؤولين عن هذا الخلل، وإن كان هناك عملاء يجب ملاحقتهم وفضح أمرهم وكشف حقيقتهم وطرقهم في العمل، فمن أجل الحفاظ على المجاهدين وكشف العملاء يجب دراسة كل قضية وحتى تكون الأمور في موضع الثقة فهناك لجنة أمنية عليا تدرس ذلك وتتواصل مع الخارج ولا يتواصل الخارج إلا مع الأمير (ويقصد نفسه) ومما تجدر الإشارة إليه هنا إلى أن حديث هذا الأمير المزعوم مرصوص ومرتب وعالٍ ومقنع حتى يخيل إليك وأنت تستمع إليه وهو يأخذك بمعسول كلامه وصدق حديثه وكأنك أمام قيادي وطني مجاهد من قيادات فلسطين وتتحسر على وجوده في السجن.

**سؤال مفاجئ وخطير:**

وأثناء سرد هذا الأمير المزعوم عن قصص الأبطال وكيف أن كثيراً من المعتقلين دوخوا المحتل في الخارج، وهنا في التحقيق كذلك، واتضح أن المحقق الإسرائيلي ضعيف ولا يملك معلومة ولا يستطيع أن ينتزع الاعترافات من أبطال

الشعب الفلسطيني، وبينما هو يتحدث قطع حديثه وهو ينظر إليّ وسحب نفساً كبيراً ثم قال: بس ما تكون اعترفت واستمر في حديثه، أنا أعرف عائلة السيلاوي بشجاعتهم وقوتهم وصلابتهم، وسكت وهو ينظر إليّ، فسارعت قائلاً بالطبع لا، فقط شغلات بسيطة أمور خفيفة، فسحب نفساً كبيراً وقال: الله يستر، والله خايف تكون اعترفت على كل شيء فقلت له وأنا ابتسم، اطمئن الأمور بخير، وبدأنا الحديث فيما اعترفت فيه، وهو من خلال حديثي، كان يسأل أسئلة في ظاهرها عادية، ولكن بالمحتوى والمضمون ستكون مليئة بالمعلومات، ثم صار يذكر لي تفاصيل في طبائع الفصائل، وأن الخط الفلاني في التنظيم الفلاني أفضل من الخط الفلاني، مما نعرفه في المنطقة، فقلت له: أيش يعرفك في مثل هذه المواضيع؟ وأنت منذ زمن لا يقل عن سبع سنوات تقبع في السجن!! فقال: من القضايا التي تأتي وندرسها، وكم حذرنا من الخط الفلاني لأنه مخترق ولكن لا مجيب للأسف أو الاستفادة قليلة، أو كذا وكذا، ونحن على تواصل مستمر مع الحركة في الخارج، وهناك أمور كثيرة للأسف موجودة من الاعترافات ولكن الشباب يخجلون من ذكرها، فنبقى نحن المجاهدين (لا تنس أنه عميل) في غفلة من أمرنا، وعندهم من التفاصيل ما نجهله لذلك يا حبيبي خالد، كل شيء حصل وحدث معك تحدث عنه بالتفصيل حتى لا تقع ويأتي مزيد من الشباب.

**آهات العميل الوطنية:**

وبالعودة إلى موضوع الحديث تحدثت إليه عن بعض القضايا بشكل طبيعي، وسألني عن أخي الشهيد عبد الحافظ (رحمه الله) وسبب قصفه، وقد ذكر لي معرفته بقضيته بالتفصيل، وسألني عن بعض الأمور التي لي بها علاقة مباشرة، وقد كنت أثق بسؤاله لأنه بريء من طلب المعلومة في ظاهره، ويسأل سؤال المستبشر بالخير، الباحث عن الأمل المنتظر، والخبر السار المفرح للفرج عنه، وعن عدة الحركة وعن

الصواريخ ومداها وقوتها وقدرتها وتطويرها، ليسأل عن أي شيء يسر الصديق الأسير ويغيظ العدو، فصرت أذكر له ما يطمئن به على حركته وعلى المقاومة بشكل عام، وفي حديث متصل أخذ يتكلم عن تذمره من الاعتقال وطول عذاباته وأن شباب الحركة شابوا في السجون، وكل محاولات التحرير للأسرى تفشل، والأموال التي يرسلها الأسرى من جيوبهم بهذا الخصوص (موضوع الخطف) لا نعرف أين تذهب، الحركة في الخارج تهتم بالصواريخ وأما نحن هنا، فيجب أن نعمل لأنفسنا كي نخرج من السجن، يجب بذل كل ما نستطيع لنتخلص من هذه المحنة حتى يتم تحريرنا وإلا يا خالد لا سمح الله ستضيع عليك سنوات وأنت في الأسر، ونحن هنا جاهزون لدفع أموال باهظة المهم أن نخرج من السجن فإن كنت تعرف رجلاً ثقة ذا قوة وبأس وأمين وشجاع فجيد أن تساعدنا، وبالطبع تفاعلت مع طرحه وذكرت له أسماء يمكن الاعتماد عليها في هذا الدور وكان ينوع في حديثه ما بين السجن والخارج ويدخل في موضوع ويخرج من آخر حتى ليبدو الحديث وكأنه يسير سيراً طبيعياً وقال لي أنت هنا ثقة وأي أمر تحتاج أن تقدم فيه نصيحة أو لا ترتاح إليه فقط أخبرني وأي شخص يتكلم معك عن القضية اذكره لي وأي انتقاد على الشباب فقط أشر ونحن سنقوم بالواجب.

**حتى في المسابقات يسرقون المعلومات:**

ومما أحب ذكره ما جرى معنا، أنه جرت مسابقة ثقافية، وكان الأمير المزعوم موجوداً والأسئلة التي في المسابقة متنوعة، ولكنها في مجال واحد وهي تدور في تنوعها عن المقاومة والشهداء والجهاد، ومن أسئلتهم على سبيل المثال ما هي المادة التي يصنع منها الصاروخ؟ والسائل يقول: هذا سؤال صعب، فيبادر الأمير، على خالد ليس صعباً هذا سؤال يعرف جوابه كل شبل في غزة، وهنا على بساطتي وثقتي بالأمير المزعوم، أخذت أجيب عن أسئلة المسابقة بامتياز، وخاصة ما يتعلق

بتركيب الصاروخ، وكأنني فارس الميدان، خاصة وأن الأمير المزعوم يشجعني ويفرح لإجاباتي، وأنا أفرح لفرحه بي.

**حقائق مؤلمة:**

أخي الحبيب، والله إنني أكتب هذه الكلمات والقلب يعتصر ألماً على ما حصل لآلاف الأسرى وهم طليعة الشعب الفلسطيني، والله إن المرء ليخجل من ذكر هذه الحقائق المؤلمة، لكن الأصعب والأمّر والخطيئة الكبرى أن يكتم الأسير هذه الحقائق خوفاً من الفضيحة إنني أذكر هذه القصة بوضوح، مبتعداً عن كثير من التفاصيل خوف السآمة والملل، والله يا إخواني لا يكاد ينجو من هذه الخديعة من كل مئة مجاهد خمسة مجاهدين وقد لا أبالغ إذا قلت لكم كل من سمعت قصته عند العصافير، كانت مؤلمة وكانت حزينة وبعضهم تعرض للإغماء من هول الصدمة عند اكتشاف الحقيقة، وبعضهم فقد الذاكرة، وبعضهم أصيب بأمراض عضوية شديدة تبعاً لمرضه النفسي الناشئ عن هذه المكيدة.

**ما أصعب أنين الأحرار:**

في قصتي هذه ألم ومعاناة، وأنا اليوم، أدفع من عمري ١٨ (ثمانية عشر عاماً) والأمل في الله أن يكون الفرج قريباً، وقد دفع غيري عشرات السنوات وما زالوا في الأسر وأن هذه الخديعة من قديم جداً وما تزال تنطلي على كثير من الشباب وإلى اليوم، وكم من أسير صمد شهوراً تحت السياط والعذاب، فما لانت له قناة ولا أخذوا منه كلمة، فلما وقع في فخ هؤلاء العصافير، أحب أن يكمل مشواره الجهادي وهو لا يدري أنه في مصيدة، حتى يتفاجأ بالوقعة الكبرى والسقوط الأليم، وما أشق وأصعب وقعة الحر الأبي، والله يا أحبة إنني أذكر لكم العبرة والعظة في قصتي حتى لا يقع غيري هذا أهم هدف في كتابي مع تذكيري لكم بأن أهم قسم في التحقيق هو

قسم العصافير، وهؤلاء يتم تدريبهم سنوات، ومعهم مؤهلات تمثيلية وعلمية، وهم ضباط كبار في المخابرات الصهيونية وهذا القسم الخاص له دراساته وأدواته التي تتجدد كل يوم، وقد كتب في هذا الموضوع عشرات الأسرى وما يزال الأمر كل يوم يزداد غموضاً وتعقيداً ونجاحاً للعدو، فبماذا ستخرج أخي القارئ من كل هذه الكلمات والآهات وهذه المعاناة وهذا الألم، إن استطعت أن أقنعك بألا تتكلم في السياسة، ولا في المقاومة ولا في قضيتك مع أي رجل فقد نجحت، حتى لو كان هذا شيخ المجاهدين وزعيم المرابطين إن استطعت أن أقنعك بذلك، فسأكون قد نجحت في مرادي وفي هدفي، وإن كانت الأخرى فقد أعذر من أنذر، لا تثق بأي فرد ولو بعد شهور، وليس هذا معناه الظن السيء بكل من هو حولك وأن تعيش على الريبة والشك وإن كان لك ينفع ولا يضر ولكن احذر والكلام في السجن يؤذي ولا يفيد يقتل ولا ينفع حتى داخل السجن الحقيقي فهناك آلاف قطع التنصت والتصوير السرية وكل شيء في السجن هو تحت سيطرة هذا العدو اللعين، فاحذر ثم احذر ثم احذر.

## خامساً: المرحلة الأخيرة:

الآن وقد اكتملت خيوط المؤامرة، وانطلت الحيلة على من صمد في التحقيق لأيام طويلة، وقد ظهر لهم ما خفي عنهم ولو بالفتات اليسير من الكلام فإن ما أخذ بالخداع والمكيدة لا يعتبر في قانون أي بشر اعتراف وإقرار من المتهم بل يجب أن يكون الإقرار صريحاً والاعتراف كاملاً وهذا ما يسعى إليه المحقق الجبان، فإنه لم تعد تعنيه المعلومة فهي الآن بين يديه أو على الأقل أطراف منها ولكن ما يستلذ به هذا الوحش البشري هو العقاب والحرمان بل الحقد والانتقام وإن ما حصل عليه من معلومات حتى هذه اللحظة لا تشبع غليله فيسعى لقطف الثمرة وقد نضجت وإلا

عوقب بحرمانها كلما تأخر الوقت وقد كنت وأنا أظن نفسي في سجن المجاهدين (ولما ظهر لي بعد حقيقتهم وخيانتهم) قال أميرهم المزعوم يوم الأربعاء ستنقل يا خالد إلى الأقسام الأخرى لتلتقي بفلان وعلان وذكر أسماء ممن أعرفهم وذكر لي أنه سيكون هناك اتصالات من تلفونات مهربة وقد صرت أنتظر الغد المأمول لأفرح فرحتين فرحة الاتصال مع أمي وأبي وفرحة الانتقال إلى الأقسام بين المجاهدين وكدت أطير من قوة الحنين والشوق للأهل والأحباب ثم قيدت يدياي ورجلاي وتم اقتيادي إلى سجن عسقلان من جديد وإلى هذه اللحظة لا أدري ما يفعل بي وهناك تم اقتيادي وأنا معصب العينين من جديد إلى غرفة التحقيق إلى المكان الذي سأمته لأيام وليالٍ طويلة هنا ستكون المفاجأة هنا ستكون المصائب هنا ستشتد الكربات وتتفاقم العذابات والويلات هنا انهار كثير من الرجال وخارت كثير من العزائم ولا صبر ولا طاقة إلا من ثبته الله وحفظه بمعيته وعنايته كذلك هنا تبرز أخلاق يهود الرديئة هنا يبرز أشنع استغلال يعرفه التاريخ هنا كل شيء يعتمد على أقوال واعترافات هي أقرب إلى الهذيان منها إلى الحقيقة، ولكنه على كل حال يبقى بلسان وقلم الأسير في هذه اللحظات وعند دخولي إلى المحقق سيحتشد كثير من المحققين ويوحدون سهامهم إلى قلب مكلوم مصدوم مظلوم وإلى عقل ما عاد يفكر أو يعقل وقبل أن يصحو من غفوته ويستدرك على زلته يجب أن يستغلوا عنصر المفاجأة، هكذا يتهامسون فيما بينهم ويدخلون والابتسامات الصفراء من كل جانب، وقد تبدت من خلفها أنياب الحيوانات المفترسة.

**فبهت الذي مكر:**

ولكن المفاجأة كانت عليهم لا لهم، واقتحامهم ارتد في نحورهم فقد ألهمني الله ثباتاً لم يسبق وهدوء بال لم يمر رغم شدة المفاجأة وهول الموقف فقد قابلتهم وقد عرضوا علي أوراقي بخط يدي، والمعلومات التي لا يستطيع إنكارها أحد، هنا

كانت مفاجأتهم الشديدة وذهولهم العجيب، وهم يرونني أضحك ضحكات عالية في مشهد لم يمر عليهم من قبل وامتدت أعناقهم ينظرون ويعجبون وينتظرون مني كلمة أقولها وأنا ما زلت أضحك بقهقهة عالية فصار فضولهم يدفعهم إلى ما وراء هذه الضحكات أم هو نوع جديد من الصدمة يكتشف لأول مرة وبعد مضي وقت وهم ينتظرون مني كلمة واحدة قلت لهم في ثبات ويقين هذا كله كذب وتضليل ولا حقيقة فيه البتة وأنا أنكر كل ما بين أيديكم وكأن صاعقة أصابتهم وجُن جنونهم حتى ليخيل إليهم أن عصفوراً عميلاً تاب ولقنني هذه الكلمات والتي يعلمون يقيناً أنها ستكون لي لا عليهم، ولا محاكمة لأي كلمة مخادعة وبعد ساعات طويلة أرجعوني إلى الزنازين فاستمر الحال إلى قرابة العشرين يوماً وكل ما يأملونه هو الإقرار بما تم قوله عند العصافير فبقيت مصراً رافضاً التوقيع عليه أو الإقرار به.

**نكسة من جديد:**

وبعد يأس شديد وأنا ما بين مكتب التحقيق وقاذورات الزنازين فأرسلوا إلي عصفورهم من جديد في ثوب أسير مضرم قد عانى ما عانى من اعتقالات سابقة وصمد في تحقيقات كثيرة ليقول لي موهناً من عزيمتي في هراء متراسل وثرثرة كاذبة التوقيع لا يضرك ولا يقدم ولا يؤخر بل عدم التوقيع يضر وعدم الإقرار بما كتبت يداك سيكون عليك لا لك يقول هذا المخضرم (العميل) كان الأجدر بك إلا تنطلي عليك الحيلة أما وقد وقعت في المكيدة فما عليك إلا الإقرار وأخذ يسرد من القصص الغابرة والعبر الماضية كثير من الدروس والعظات والآن أهم شيء يا خالد، هو التخلص من استغلال المحققين لأن عدم التوقيع منك هو فرصتهم والعناد منك هو أملهم وبإمكانك الإنكار في المحاكم ولن تضرك كل هذه الأوراق والاعترافات هنا وقد مكث فلان كذا وكذا من قبل ثم اضطر إلى التوقيع وفلان أصابه كذاب في مؤخرته وآخر في ظهره وثالث عاجلته المنية ورابع قد فقد عقله

ويقول اللعين البارز في ثوب الأسير الناصح، لو مكثت خمس سنوات فستبقى هنا في الزنازين لا شمس ولا قمر ولا هواء ولا طعام ولا شراب وستفقد عقلك وهو أغلى ما تملك وهذه هي الفرصة التي ينتظرونها أن تبقى على موقفك وهم يشمتون بك كل يوم ذهاباً وإياباً وهؤلاء القوم يحبون امتصاص الدماء واللعب بالأعصاب فلا تسمح أن تنطلي عليك خداعاتهم ويوهمونك أنهم يريدون التوقيع والاعتراف ولكنهم في الحقيقة يريدون الانتقام والثأر منك.

**ووقعت مرة أخرى:**

وقد تبدى بعض المنطق في قول هذا (العميل) وصارت النفس تضطرب والعقل يحار ويفكر، ويوزن في الأمور، وصرت أحدث نفسي أمكث خمس سنوات ويصيبني كذا وكذا من الأمراض والأسقام والأوجاع الفتاكة والمزمنة وأنا الذي بأمس الحاجة إلى سرعة سماع صوت أمي وأبي إذاً سأنكر أمام المحاكم كل التهم الموجهة لي ثم تبدى لي في غفلة من أمري وغاشية علت قلبي وعقلي، أن أوقع على الورق الذي كتبته بيدي عند العصافير فذهبت هذه المرة إلى مكتب التحقيق لا ككل مرة سابقة فقد ذهب العناد ووافقت وأقررت وجاء شرطي النيابة وهو جاهز في كل لحظة عند أول اعتراف فكتب تقريره ووقعت عليه وما دريت أنني بذلك سأدفع أغلى لحظات العمر وسأكون بعيداً لسنوات يقدرها الله بعيداً عن أهلي وأحبابي وأقاربي وما درى الأسير ذو التجربة المحدودة الطيب المحتسب الذي أراد الجهاد والاستشهاد وغفل عن هذا اليوم والذي سيعض فيه أصابع الندم في يوم لا ينفع الندم.

**إنما النصر صبر ساعة:**

هل وعيت أخي الحبيب هذا الدرس، الذي وقع فيه أخوك فإنني لو قدر الله

وصبرت ساعة فإنما النصر صبر ساعة لكنت خرجت منتصراً انتصاراً يخفف هزيمة الانكسار عند العصافير ولكن قدر الله غالب حتى أكتب هذه الكلمات إليك أخي، والسعيد من اتعظ بغيره فالدرس الذي يجب أن تعيه أخي هو عدم الثقة بأي إنسان مهما كان طالما أنت في السجن ولو قدر ووقعت في الفخ كما وقع أكثر الأسرى المجاهدين فلا تقر ولا تعترف إذا كشفت لك الحقيقة وتبين لك زيف العصافير الذين ينتحلون صفة المخلصين وهم أكذب الكاذبين.

هذه قصتي وهذه حكايتي مع العصافير (العملاء) بقدر ألمها فإنني أكتبها وإن كنت أتألم لكل حرف فيها ولكن عيني واتجاه عقلي وقلبي نحوك أخي ألّا تقع أسيراً وإذا وقعت وكل شيء محتمل أن تصبر وتصبر ولا تتكلم من بعيد ولا قريب ولا تسمع أيضاً لأنه يتضح من خلال قصتي أن السماع ضربني وقادني إلى التكلم، وباختصار دور المحقق أن يواجهك بالمعلومة التي تقر بصدقها وتتأكد من حقيقتها هذا دور المحقق، أما دورك أخي المجاهد هو الإنكار ثم الإنكار ثم الإنكار ولو دفعت شيئاً من وقتك وراحتك وعذاباتك فإنه أهون ألف مرة من أن تبقى تتعذب طول حياتك في سجن المحتل الذي يجازيك على اعترافك في كل يوم بطريقته الخاصة بأسلوبه النذل، اضطهاد وعقاب وحرمان وعدم استقرار.

❊ ❊ ❊

# الفصل الثالث

# إلى الأقسام

# وسرد الحياة للأيام والأعوام

## أولاً: تعاريف ومصطلحات:

الآن وقد زالت الغمة، والتقيت بالمجاهدين، ولطالما سمعت عن أسماء لم أرها من قبل، فدخلت إلى أقسام السجن وانتهت محنة مضى عليها عشرات الأيام، فلم يعد هناك معاناة في كل لحظة كما كنا قبل دقائق ونحن في الزنازين، أو هكذا ظننت الأمر في البداية حينما يخرج الأسير من زنزانته إلى ما يسمى «المعبار» وهي قاعة انتظار لكل من يقدم السجن أو يخرج منه أو يدخل التحقيق أو يخرج منه.

في هذا المعبار، تبدأ ترى وجوهاً من السجانين جديدة، كل شيء غريب تنظر إلى كل شيء باندهاش، إلى الأبراش، إلى الباب، إلى الشباك الصغير، إلى أرض المعبار، إلى سقف الغرفة وجدرانها المليئة بالكتابة ممن سبقوك، وكل يحفر اسمه في الجدار أو يخطه بقلمه أو ظفره وتكاد تشعر بالفرح الغامر، حيث بعد دقائق ستلتقي بالمجاهدين الأسرى ورموزهم ومن كنا نسمع عنهم في منابرنا وعلى الإعلام.

### عقوبة الانتظار التي ستكرر كل يوم:

إن أتفه شيء بحق الأسرى عند السجان هو الوقت، وأكبر عقوبة عند الأسير هي الانتظار، فبين الانتظار المتلهف وبين إهدار الوقت المتعمد ببطء شديد تسير الحركة، وتمضي ساعات وأنت تنتظر وإن كان معك أسرى قد خرجوا من التحقيق، فستبدأ تظهر الأمنيات وتحدد الانتماءات، فإلى أي فصيل ستذهب أنت؟ وهناك من يتردد لأنه في حقيقة الأمر لم يجاهد ولكن المحتل يعتقل كل معاند، وبعضهم يقول هنا الأسير الرمز الفلاني، وآخر يقول هنا أخي وهنا ابن عمي، والكل ينتظر على أحر من الجمر، ثم بعد هذا الانتظار الطويل وضجر الأسير ومن معه، تصبح تجيش في النفس الخواطر، وبعضهم يقول لعلنا سنذهب إلى عصافير آخرين ومن يدري؟

فكل شيء تحت أنياب المحتل مشكوك فيه فأنت أخي لا تستغرب فقد تذهب إلى العصافير مرة ثانية وثالثة ورابعة، وكل مرة بصورة جديدة وعدد أكبر.

**مقابلة الطبيب، ثم ضابط استخبارات السجن:**

ثم جاء ضابط السجن واقتادني الى عيادة السجن، وتم فحصي عند الطبيب ومعرفة إذا كنت أعاني من أمراض واخذوا وزني ومقياس طولي.

ثم اقتادني الضابط إلى مكتب استخبارات السجن، وجلست أمامه عدة دقائق يتعرف على شخصيتي من خلال الملف الذي بين يديه، وأخذ يتحدث معي ليعرف شخصيتي وليونة موقفي أو صلابته ويتلطف معي في الكلام، هذا دور ضابط الاستخبارات في كل سجن ستدخله، لأنك في السجن ستكون تحت سلطته ومراقبته، وسيبقى يتلقى التقارير عني وعن كل أسير من خلال سجانيه أو مساعديه ومعاونيه، الذين يعيشون بيننا وهنا سألني هذا الضابط عن الفصيل والحزب الذي أرغب بالعيش تحت ظله فليس هناك في السجون الأمنية الصهيونية إلا عيش تحت ظلال الفصائل حيث كل فصيل يهتم بأعضائه ويوفر لهم المال والرعاية ويحافظ على معنوياتهم، وهنا عند ضابط استخبارات السجن يجب أن تختار الحزب أو الحركة التي تحب أن تعيش في كنفها، وليس هناك غرف مستقلين، قد يكون هناك أسرى ليس لهم بالمقاومة لا ناقة ولا جمل ولكن يهود يتلذذون بعقاب كل مسلم وتلفيق التهم له، وهؤلاء يجب أيضاً أن يكونوا تحت ظل أي تنظيم، لأنه لن يجد المكان الذي يعيش فيه إذا قرر أن يعيش وحده إلا في الزنازين الانفرادية، فيضطر الأسير هنا أن يختار الفصيل الذي ينتمي إليه أو يحبه أو ينسجم مع أفكاره وأفراده.

**البدايات لا تنسى والذهول لا يتوقف:**

هذا هو بالتمام حال الأسير ولما يدخل بعد إلى الأقسام، وهذه اللحظات

وهذه البدايات لا تنسى لأنها عادة ما تكون الأشد للفت انتباه الأسير فكل شيء عنده جديد وغريب وعجيب، فهو تماماً كمثل رجل من غابر الأزمان قبل آلاف السنين وفجأة خرج من قبره فأخذ ينظر إلى هذا العالم من حوله.

أول ما تصل إلى القسم يكون أول المستقبلين هو ممثل السجن (وهو أسير قد اختارته الفصائل داخل السجن ليكون ممثلاً عن الأسرى عموماً، أما السجان ويطلق عليه بين الأسرى لفظ (دوبير) أي ناطق ومتكلم باسم الأسرى، فهو الذي يبلغ مدير السجن أو ضابط أمنه أو ضابط استخباراته بالمواقف التي سيتخذها الأسرى، خطوات تصعيدية أو مسالمة وسكون، فإن الأسير إذا شعر باضطهاد فقد يدفعه ذلك إلى ارتكاب مغامرة، وهذه يحسب لها السجن ألف حساب، وكذلك الأسرى، لأن معنى ذلك إذا حصل فهو توتر وعدم استقرار وضرب وتنكيل وحرمان من كل شيء، فالخط الفاصل هو أن يكون من قبل الأسرى ناطق باسمهم ومعبر لرأيهم وممثل لموقفهم، في المقابل يكون من قبل السجان ضابط الاستخبارات الذي غالباً ما يكون لبقاً في التعامل للوصول إلى القاسم المشترك في حياة الاستقرار.

وعند دخولك الأقسام يستقبلك ممثل السجن أو القسم، وغالباً ما يكون عدد القادمين الجدد جماعي، ثلاثة، أربعة،.. فيأخذ أسماءهم ويشاور رؤساء الفصائل في المكان الأنسب الذي سيعيش فيه هؤلاء الجدد، فالممثل أمام إدارة السجن ناطق باسم الأسرى، وأمام الأسرى هو منفذ لرأي الفصائل واتفاقهم، وغالباً ما تكون إدارة السجن ممثلة بضابط الاستخبارات قد أخبرت الممثل من قبل، بعدد القادمين الجدد وتحديد انتمائهم، حسب القضية أو حسب رغبة الأسير في اختيار الفصيل الذي سيعيش تحت مسؤوليته، وهذه أمور ومصطلحات ومفاهيم لا تفهم في يوم وليلة، بل سنأخذ وقتاً طويلاً لذلك فالأسير الجديد ما يزال ينظر إلى كل شيء ومشاعر تنتقل مع كل صورة، فهو أولاً في ريبة وشك وثانياً وفي نفس الوقت

في فرح وسرور، لأنه ربما يكون قد انتقل إلى عصافير جدد، وما يزال تسيطر عليه خديعة العصافير، وكثيراً ما يحدث هذا، يأتي القادم الجديد وهو يحمل الشك تجاه الأسرى عموماً، وكان قد وقع قبل أيام عند العصافير، وهو في ذات الوقت شعور فرح لأنه يرى أناساً يعرفهم من قديم، وغالباً ما يكون في القسم الواحد **١٢٠** أسيراً وقد يرتفع إلى **١٤٠** أو ينخفض إلى **٨٠** أسيراً، وكل شيء جديد.. فهو يرى أسرى في غرفهم يضحكون ويلعبون ويرى أسرى خارج غرفهم في الممر والذي يطلق عليه لفظ (مردوان، ومن يعمل فيه يطلق عليه أيضاً مردوان، فكلمة مردوان تطلق على الممر بين الغرف في القسم وعلى الأسير الذي يخدم الأسرى وهو في الممر).

ويرى السجان الذي لم يتعود أن يراه إلا في الدبابة يضرب بالقذائف الحمم على أهلنا وشعبنا أو بالطيارة يقذف الصواريخ، ها هو الآن بيننا وبينه أمتار، شيء غريب.

**ويستمر ذهول الجديد وتحسر القديم:**

وينظر الأسير الجديد إلى الأسرى من قبله، أعمارهم، ألوانهم، ملابسهم، ينظر في الغرف، الأبراش، الحمام، الطعام، الجدران، ويدخل الأسير وكأن عليه غاشية، فقد اجتمعت عليه هموم الزنازين ونكد العصافير، إلى غرابة كل شيء، فيبقى الأسير مندهشاً في كل حركة وتصرف، ويسمع قاموس من الكلمات والمصطلحات لم يألفها من قبل، فيسمع كلمة (مردوان): وقلنا هي اسم للممر وللعامل فيه، وكلمة (دوبير): أي ناطق باسم الأسرى، وكلمة (سفيرا): أي مكتبة، وكلمة (سوراقيم): أي فحص شبابيك، وكلمة (فورة): أي الساحة التي يمشي فيها، وكلمة (سفيرا): أيضاً بمعنى عدد، قاموس جديد سيحتاج إلى أشهر لمعرفة مدلول هذه الحياة العجيبة الغريبة، تماماً هذا هو حالي عندما دخلت السجن، وعند دخولي القسم يكون كل ما أملكه من الحياة هو شنطة لأغراضي، والتي لا أملك سواها فيها بنطال وقميص

بلون بني لا غير، انظر إلى الغرفة فأراها عامرة وكأنها حياة كاملة اختصرت في غرفة صغيرة، يعمل الأسير ولا يمل وهو يعد الفطور أو العشاء لإخوانه الأسرى، فينعم الله عليهم بطعام شهي وهو بسيط، يؤذن المؤذن، تقام الصلاة، يصلون في جماعة في غرفهم، منهم من يدخل الغرفة ويخرج منها وأنا أنظر ومنهم من ينام ومنهم ومنهم الخ!! ما هذه الحياة..؟؟ بمجرد دخولي الغرفة تبدأ حياة التعارف، أهلاً وسهلاً، يعرفونني بأنفسهم وأسمائهم وأعمارهم وأحكامهم والسنين التي مضت عليهم في الأسر ومكان سكناهم وإلى آخر هذه المعلومات، ويبدأ أمير الغرفة يرشدني إلى المكان (البرش) الذي سأرتاح فيه وأنام عليه، ويكون هو نصيبي من الأرض الشاسعة المغتصبة، وإلى ما قالوا أنها خزانة لملابسي الخاصة وهي عبارة عن لوحة خشبية معلقة في الجدار ويكون لك منها موضعين أو ثلاثة، كل موضع أشبه ما يكون ببيت الحَمام (تنكة الزيت) تماماً، ويقوم أمير الغرفة بجمع بعض ملابس من الأسرى الذين حولك، بنطال، بلوزة، ترنق، ويرشدك إلى الحمام لتغتسل وترتاح من وعثاء السفر وعناء التحقيق ونكد الزنازين، وهكذا كانت البداية وكل بداية لا تنسى، وأنا بفطرتي ابتسم لكل شيء ولا أعرف قابل الأيام ولا مُر السنين وهي تمر، وينظر إلي القديم بعطفه وشفقته، ويأسف لحالي وأنا لا أدري أحياناً يتهامسون كما علمت فيما بعد، يقول أحدهم ما درى هذا المسكين ماذا ستفعل الأيام به يبتسم للمجهول، أعانه الله لقادم الأيام يقولون في أنفسهم كنا يوماً تبين نواجذنا من الضحك وتتهلل، أسارير أنفسنا مفعمة بالحياة، يا الله، اجبر بهؤلاء المساكين، اللهم لا تجعل أعمارهم كأعمارنا ولا حياتهم كحياتنا هكذا رأيتهم فيما بعد، واسمع حديثهم كلما جاء قادم جديد هذا الأسير البريء الجديد يدخل السجن وهو يبتسم للقاء إخوانه ولخلاصه من عذابات المحققين، هذه هي الحياة التي سأتحدث عنها في هذه السطور مختصرة موجزة كيف يعيش الأسير يومه؟ حياته من فجره إلى ليله؟ من استيقاظه إلى نومه،

الحياة هي هي، غير أنها في اليوم الأول تختلف عنها في اليوم الألف فقط في الطعم والاستقبال، فالبيضة المسلوقة في أول يوم لها طعم خاص تتذوق من خلاله حياة خاصة ولكنها بعد ألف يوم ستأكلها لأنك كل يوم تأتيك هي هي، وليس أمامك غيرها فهل طعمها بعد ألف يوم أو بعد خمسة آلاف يوم سيكون بنفس طعم اليوم الأول، وملعقة الططلي في أول يوم لذيذة المذاق حلوة الطعم لكنها بعد ألف يوم فمصيرها إلى النفايات فلم تعد النفس تطيقها.

## كل يوم خس وجزر:

عادة ما تكون الحياة الروتينية مملة في حقيقتها، وإن كانت قصيرة أو لأمد محدود فإن استمر الحال على ما هو عليه كل يوم فول وعدس، فلا بد من التجديد في البرنامج الحياتي الذي يحدده المرء لنفسه ويستمر في تجديده حتى يصل إلى مقصوده، إلا الأسرى فمن أين لهم التجديد حياتهم هي هي، تكرار عادة مألوف فكيف ستصبح الحياة ذات اللون الواحد في كل شيء، كل شيء لك نصفه والنصف الآخر أنت محروم منه وحتى يشعرك السجان بنصف الحياة واللون الواحد، ولعلها عندهم مدروسة فمنذ وقت الزنازين حصتك من الفاكهة نصف حبة تأتيك مقسومة وهكذا حبة البندورة يأتيك نصفها لا غير، وحتى الأشياء التي خلقها الله كاملة يراد منك أن تأخذ نصفها وتدع النصف الآخر قهراً لا اختياراً.

## من الذي اخترع السجن؟

إن في اعتقادي أن أقسى إنسان قلباً على وجه الأرض هو من اخترع عقوبة السجن، وقد ذكرها القرآن في آياته لكن على لسان الكافرين، وهي خلق غير المؤمنين ففرعون يقول لـموسى ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، ويوسف مكث في السجن بضع سنين، وقد تلقينا عن الرسول ﷺ نظام

العقوبات، فهل فيها شيء اسمه سجن؟؟ كلا هل كانت في حياته سجون؟ نعم كانت قبله وكانت بعده وكانت في حياته ولكن كانت من قبل الكافرين، أما الأسرى الذين ورد ذكرهم في سورة بدر وما بعد المعركة فقد رأينا عتاب الله لنبيه، أما المشركون في زمنه فقد سجل القرآن حرصهم على قتله أو نفيه أو سجنه، ولكن الله سلم قال تعالى ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] فأول عقوبة كانت عندهم وأعظمها هي السجن.

**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك:**

المعنى الحقيق لكلمة يثبتوك لا يفهمه إلا الأسير، ولماذا لم يستخدم كلمة ليسجنوك أو ليأسروك، والمتبادر الى الذهن أنها على نفس الوزن الموسيقي، والمعنى كلا فإن كلمة ليثبتوك لها معنى يختلف عن أي معنى من معاني السجن، فالأسير حياته واقفة صامدة أي ثابته لا تتحرك، فالأسير الذي دخل السجن بعمر ٢٠ عاماً، سيبقى يتذكر الوجوه كما هي، ولو بعد سنين كل الدنيا من حوله تتغير الصغار يكبرون والكبار يموتون والقلة تكثر وكل شيء يتطور، والأسير يظن أن كل شيء كما هو فلا يتخيل الأسير أخاه الصغير وقد تركه وهو ابن عشر سنين، ستبقى الصورة ثابتة لا تتغير وما يدري بعد سنين أن أخاه قد نبتت له لحية وخط له شنب وضخم جسمه وبرزت عضلاته.

وهذا هو حال الأسير حياته تتشابه أيامها، بمعنى أنها واقفة لا تتغير كل شيء على ما هو عليه كل شيء لا يتغير إلا تاريخ اليوم، هذا ما يتغير ويبقى الأسير على هذه الحال إلى أن يكتب الله له فرجاً، وحينها ستكون أول خطوة تتغير منذ دخوله السجن وخروجه فكيف بك أخي الحبيب بإنسان يصحو كل يوم، فلا يرى من صاحبه تغيراً في حياته فالأشياء التي يراها كل يوم هي هي، الوجوه لا تتغير السجان الظالم هو

هو لا يتغير، بيض وبندورة بطاطا وبصل كل يوم الملابس هي هي، حتى التلفاز القنوات الهدامة هي هي، تخدع وتضلل وكل شيء في السجون هو هو لا يتغير، فاللون الأزرق القاتم والأبيض (وهو علم يهود هو هو في كل السجون، الجدران لونها أبيض والأبراش والشبابيك الأبواب لونها أزرق قاتم).

**الكف الناعمة تقاوم المخرز الحاد السام:**

وحتى تكون الصورة كاملة من وجوهها ويظهر الصراع على حقيقته صراع خفي لكنه علني في بروز المطالب يسعى السجان أن يجعل حياتك من لون واحد، وصنف واحد حياة الوقوف المستمر، والروتين القاتل والتكرار الممل، ويحاول الأسير أن يصنع من العدم حياة متجددة متحركة، وهذا هو صراع الأسير مع سجانه وسنرى أدوار هذا الصراع من السجان في أساليبه وقوانينه لترسيخ هذا الأمر ولو بالقوة، في المقابل سنرى دور الأسرى في محاولات التجديد والإبداع والابتكار حتى في الأمور التي لا تتجدد وهذا هو الاسم الآخر بصراع الاستقرار، فالاستقرار كما ذكرنا من قبل عنوان وهدف يسعى إليه الطرفان السجان والأسير، فالاستقرار عند السجان في قانونه جمود الحياة ووقوفها بينما الاستقرار عند الأسير هو تجديد الحياة وطرد كل ألوان السآمة والكآبة والملل، وكل من الطرفين يسعى لفرض سيطرته، والسجان أداة المخرز والأسير سلاحه الكف الناعمة الطرية، فهل ستقاوم الكف الناعمة هذا المخرز الحاد المسموم، أثبتت أيام ووقائع السجن نجاح ذلك في كثير من الأحيان، ولكن هذا النجاح له نسبة لا يتجاوزها وتبقى عين الأسير تنتظر الفرج الذي سيحققه الله على أيدي بني جلدته وإخوانه في المقاومة، فهو يصبر ويصابر ويرابط وينتظر الفرج، فالأسير عليه إعداد الخطط للحفاظ على نفسية الأسير ومعنوياته، ويدعو ربه بقرب الفرج والمعركة شديدة وكلما استمرت المعركة وطالت الأيام تحتدم الأفكار وتتلاطم الأمواج وتعلو، ويكاد الأسرى يغرقون من

شدة هولها وقوة بأسها، ويصرخون وأزيز الرصاص فوق رؤوسهم وبوارق السيوف تضرب في الرؤوس ويصرخون بأعلى أصواتهم (متى نصر الله؟) (متى نصر الله) قل: عسى أن يكون قريباً.

## ثانياً: حر الصيف اللاهب وبرد الشتاء القارس:

حينما وطئت قدمي سجن نفحة الصحراوي تعجبت من هذا الاسم لهذا السجن، وكان ذلك في أشد الشهور حراً، شهر تموز ٧، تذكرت مباشرة قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [الأنبياء: ٤٦] فهل يقصد يهود، أن نكون هنا في عذاب الحميم قبل أن يذوقوه في الجحيم، حر شديد يتلوى فيه المرء من غير أن يعرف قراراً أو استقراراً، هواء ساخن يشبه هبوب النار من عرق ينزف من جميع أنحاء الجسد، كيف يجتمعان؟ هواء مع عرق!! في الدنيا بأسرها لا يجتمعان، أما في سجن نفحة في البقعة النائية من الأرض الساخنة فإنهما صديقان ويجتمعان، أما في سجن نفحة هو مكان لقاء بين المتناقضات، ذلك أنه على سفح جبل عال في وسط الصحراء القاحلة، فلا ترى عن يمينك أو يسارك إلا الجبال الشاهقة حتى ليتخيل إليك رغم أنك على قمة جبل أنك في قعر هذه الجبال لكثرتها، وكأن الشمس تبعد عنك أمتار من شدة لهيبها، هل يستطيع المرء أن يمكث تحت شعاعها أو نارها المتقدة ولهيبها النافح؟؟ هل يستطيع امرؤ أن يصمد واقفاً دقيقة واحدة؟؟ كلا.

صلاة الجمعة في هذه الساحة إذا جاء حر الصيف ورغم وجود غطاء خفيف فوق رؤوسنا إلا أننا لا نستطيع الصبر أكثر من خمس دقائق، وجدت مرة في سجن السبع وهو يبعد عن سجن نفحة ما يقارب ٤٥ كم، أن الأسرى أرادوا أن يتوجه الخطيب إلى غير القبلة، إلى الجهة التي فيها الظل ورغم تطمين الأسرى أن الخطبة لا تتجاوز ثلاث دقائق، إلا أنه صمد أمامه ٤ أسرى أما جميعهم فيقف خلف الإمام يستمع للخطبة لا أمامه، أي أنهم يرون ظهره لا وجهه وقد صدرت الفتوى أنه لا

يجوز للإمام وهو يخطب أن يخالف القبلة، فيجب أن يكون ظهر الخطيب للقبلة والسامعين وجوههم نحو القبلة، ولكن لشدة الحر لا يستطيع الأسرى حتى أن يصبروا على الحر ولو بمقدار دقائق، وعادة ما يكون في ساحة الصلاة فوق رؤوس المصلين غطاء يحجب عنهم أشعة الشمس، ولكن للأسف هذا الغطاء يجر مزيداً من الحرارة لأنه أسود اللون، ومعلوم أن اللون الأسود يمتص الحرارة ويحتفظ بها، إضافة إلى أن أشعة الشمس من شدة حرارتها ولهيبها تخترق هذا الغطاء هذا في الساحة، فما هو شأن الذين يبقون في غرفهم؟؟ حرارة الغرفة بشكل متواصل فلا تطمئن أن الأمر في الغرف سيهون، كلا فغرف السجن من شدة الاحتياطات الأمنية يوضع فوقها زفت الشوارع، والتي تتفاعل مع حرارة الشمس وتعمل على زيادة حرارة الغرفة بشكل متواصل، الليل بالنهار.

يسمح للأسرى المتواجدين في الغرف اقتناء مراوح، ولكن لكل أسيرين مروحة واحدة، ولكن الأسرى يلتفون على هذا القانون ويهربون مراوح إضافية بطرقهم الخاصة، حتى يكاد كل أسير تكون له مروحة خاصة، ولكن هيهات لا تنفع من حر ولا تفيد في تخفيفه لأن هواءها ساخن لاهب، حتى لتكاد تشعر أنه لا يخرج منها إلا الحميم، وما أصعب الأمر إذا اشترك أسيران في مروحة، وكل منهما له مستقره، فأين ستتوجه هذه المروحة وإلى أين سيتوزع هواؤها، ولا تظن الأمر بهذه البساطة فمع الحر لا نوم، ولا استقرار، ولا حركة، ولا حتى لهو، هو الملل السآمة فلن تستطيع النوم في مثل هذا الحر، ولن تستطيع السكون والاستقرار في مثل هذا الجو، ولا حتى الحركة لأن كل حركة ستكلف مجهوداً يعمل على مزيد من صب العرق، ولا حتى اللهو لأنه لا متعة مع هذه الحرارة، هذا هو الحال في الصيف الجسد يتأقلم، يتعود، يألف هذه الحياة، صحيح، ولكن ذلك كمن يألف الحياة مع المرض المزمن معه، فإذا انتقل إلى جو آخر أدرك الفارق الكبير بين الأمرين.

**حوار بين الصيف والشتاء:**

وحينما حل الشتاء استبشرت خيراً، وقد كنا من قبل نختلف في نقاشنا وحوارنا أيهما الأفضل الصيف أم الشتاء؟ وأنا أميل إلى تفضيل فصل الشتاء، حيث لا عرق يعمل من الروائح ما لا تطيق، ولا حرارة، ولا ملل، رغم قول صاحبي المحب للصيف على الشتاء، حيث يقول لي ليقنعني بحجته أنني في الصيف ألبس الخفيف من الثياب، أدخل الحمام وأغتسل في اليوم الواحد مرات ومرات، وبذلك أكون أكثر نظافة وحيوية ونشاطاً، والجسم يخرج ما به من أمراض مع هذا العرق، المفيد قطعاً للصحة والجسد، ويذكر عن نفسه أنه كان لا يفارق شاطئ البحر في الصيف، وهل هذا له أمتع من السباحة، أو تنسم هواء البحر الصافي، في وقت غروب الشمس، ثم ذهب صاحبي بها يهاجمني بذم الشتاء أنه انكماش وانطواء في الفراش، وثقل في الحركة والمشي، لأن المرء يلبس كثيراً من الثياب التي تشل حركته أو تقيدها، ولا اغتسال إلا قليلاً وهو فصل الأمراض والأوجاع وهو هكذا، كنا نتناقش ونتحاور وأنا أدافع بشدة عن فصل الشتاء، قلت في نفسي وأهمس همساً في تخفي وحرج من صديقي أين أنت يا صيف أين أنت يا صيف؟؟ فما شعرت يوماً بمثل هذه البرودة، وكأن الشتاء يغدرني وهو يقرصني، أدركت اليوم لماذا يسمون البرد بالقارس، القرس حقيقة، وبينما اتدبر آيات القرآن قرأت ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] في جو بارد جداً مع ريح عاتية وزوابع تضرب بقوة في الجدران، حتى ليخيل إليك أن أجساماً صلبة كبيرة تتقاذف على الجدران، حتى لتكاد تشعر أن السجن سيقتلع من جذوره فقلت؟ هل هذه هي الريح الصرصر عذاباً، فندعو الله النجاة من شدة هذه الريح وشدة برودتها، فأقول في نفسي ربما لو زادت قليلاً ستكون تماماً مثل ريح عاد، وإذا أردت معرفة ذلك والتأكد منه، فإن علماء الجغرافيا الطبيعية يقولون: إن الارتفاع عن الأرض يزيد في البرودة، فكلما ارتفعت عن الأرض مئة متر انخفضت

درجة الحرارة، درجة حرارة واحدة، وقد قلنا من قبل: إن سجن نفحة على قمة رأس جبل، ومعروف أن المناطق الجبلية شديدة البرودة، خاصة إذا كانت قليلة المطر، فإن المطر إذا نزل ستشعر أن البرودة قد خفت حدتها، وإن سقطت عليك الثلوج هو برد غير قارص، طالما أن المطر والثلج ينهمر، أما إذا لم يكن هناك أمطار، فإن البرد يقرس قرساً، فكيف بك وأنت على قمة جبل عالٍ؟ فمن ذا يوقف هذه الريح العتيد غير هذا السجن العنيد.

كنا في مأوانا في أرض العافية، كما يقولون نستتر خلف الجدران والريح تسلل من شارع إلى شارع، ورغم شدة الريح فإنك لا تشعر بها أي بقوتها، لأن العمران والأشجار تخفف وتحد من سرعتها، وقوتها فكيف بك وأنت الشامخ في قمة الهواء في ذروة الجبل فستضطر لإغلاق الشبابيك، ولن تستطيع تحمل فتحها، ولو بمقدار سنتمتر، ولن تستطيع حتى ولو لثواني، ثم إذا بقيت على هذه الحال والجو المغلق فإن أنفاسنا تتحول الى بخار يتقاطر على الجدران، وتتحول إلى ما يشبه العرق الذي ينزف وينزل من الجسد، هكذا تراه على الجدران وعلى زجاج الشباك، وهنا ستكون بأمس الحاجة إلى تغيير هواء الغرفة، والأسرى يختلفون عن بعضهم في قدرتهم على التحمل، فهي تختلف من أسير إلى أسير، الغريب أن الشمس في الشتاء تحتجب وراء الغيوم الكثيفة، حتى ليشتاق المرء لرؤيتها فلا يكاد يراها من الغيم الذي يتكاثف، فيما يشبه الجبال المتزاحمة وهذا السحاب القريب يجر معه البرد والصقيع ويحجب الشمس ولا تنتفع بخير، فلا تسقط الأمطار في أرض نفحة، وكأننا حتى رؤية المطر والغيث الذي كنا نتمتع برؤيته هنا في أرض الحرمان هو علينا حرام، والمصيبة الأكبر أن عليك وزر الشتاء من برده وصقيعه وقرسه، فلا تستطيع دفعه ولا تملك أدوات ذلك حتى البسيطة منها، وقد كنا في أرض العافية يكفينا ويقينا من البرد غطاء شتوي واحد، لكن هنا في أرض نفحة

فإن ثلاثة أغطية من النوع الثقيل لا تجلب لك دفئاً إلا إذا انغمست بكامل جسدك من رأسك الى أخمص قدميك تحت هذا الفراش، لأنه لو ظهر وجهك أسنانك ستصطك، وأن أذنيك وأنفك سيكونان في أشد حساسية لعدم تحملهما هذه البرودة القارسة، وقد علمتنا برودة نفحة أنه طالما كانت الأذنان أو القدمان تواجهان البرودة وحدهما فإنهما ستتعبان كامل الجسد، وكأن ثقب الأذن هو ما يحمل هذه البرودة، أو كأن حاسة البرودة والحرارة هي في الأذن، لا نعلم إن كان هناك شيء علمي يتعلق بهذا الخصوص، لكن التجربة تقول ذلك وأحب أن ألفت الانتباه إلى أن القليل من الأسرى من يملك ثلاثة أغطية شتوية، فإن ذلك في قانون السجان ممنوع بل المسموح غطاء واحد، وبعد العناء الشديد والمماطلة القاتلة سيسمح لك بآخر، إضافة لما سبق فإن الأسير في فصل الشتاء سيلبس كل ما يتوفر لديه من ملابس دفعة واحدة فكثير من الأسرى من يلبس ثلاثة بناطيل وأربعة فانيلات (بلايز)، ويقول وهو يضحك في وسط هذا الألم «الدفا عفا»، القول المشهور على ألسنة الكبار، والمصيبة وهي حقاً مصيبة هي لحظات الوضوء، فما أشد ساعات الوضوء حرجاً وضيقاً حتى أنك لتحسب هم الوضوء من صلاة إلى صلاة، وهم التغلب على هذا الماء الذي لا تستطيع تحمل برودته، وإذا ذهبت لتتوضأ بالماء الساخن الذي لا يتوفر دائماً ستصيبك الأمراض، والتشققات الجلدية في اليدين والرجلين والوجه، وهي أطراف الجسد المكشوف المعرضة للماء الساخن، فلا تعرف بأي حال تكون وأي حال تختار، هل تتحمل الماء البارد أو تقبل التشققات؟رغم أننا نجمع بين صلاتي المغرب والعشاء وكذلك الظهر والعصر عند هذا البرد الشديد، وأنا أكتب هذه السطور في البرد الشديد، أرى بعض إخواني الأسرى وهو ينام ويلبس ثلاثة بناطيل وكل ما لديه من فانيلات وفوقها الجاكيت (سويتر)، وينام والبوت في قدميه، والله هذه هي الحال وهنا بطبيعة الحال ستطول ساعات النوم لأنك تتغطى بعدد كبير من

الأغطية وأنت تحت الفراش، فهل يستطيع من يشعر بدفء الفراش أن يترك فراشه، وستبقى في النوم والفراش وإلا لدغك قرس الشتاء، وعضتك ريحه الصرصر، ما أصعب التفتيش والهجوم على الأسرى في هذه اللحظات والتي سأتكلم عنها في فصل التفتيشات، وأننا أحياناً لا نخرج لساحة الفورة لصلاة الجمعة من شدة البرد وبعضنا يمكث أسبوعاً أو أسبوعين لا يخرج لهذه الساعة من شدة البرد، هنا في الجو المغلق ستكثر الأمراض وتكون الانفلونزا شديدة على الأجسام، وسريعة في نقل العدوى وبطيئة في فراق الجو المغلق، أما العذاب الأكبر في الصيف وفي الشتاء، فذاك في سفريات البوسطة وهذا ما سنكتب عنه في فصل البوسطات.

**الفصول الأربعة في يوم واحد:**

وربما يخطر ببالك تساؤل هذا الشتاء وهذا الصيف، أما هنالك ربيع بديع وخريف ظريف؟ أقول: من دخل نفحة يعلم أن الفصول الأربعة التي تمر في السنة على منطقة واحدة تمر على نفحة في يوم واحد، فيكون صباح اليوم صقيع ثم ترى هواءً جميلاً ما تكاد تفرح به حتى ترتفع الشمس وكأنك في الصيف، وهذا الجو ضارٌّ جداً ويبعث كثيراً من الأمراض، والتغيرات السريعة في اليوم الواحد تؤذي الجسم وتمرضه، وهذا لأنك تظن أن اليوم هو يوم صحو غير ممطر وشمسه حارة فتلبس الثياب القريبة من الصيف، وتخرج فورة فإذا بالأمور ليست على ما يرام، وإذا بالجو فجأة كتل من الهواء والريح البارد تنصب عليك، وأنت في هذه الحالة لا تستطيع العودة إلى غرفتك فتلبس الثياب، ولا تستطيع إلا الانكماش على نفسك ومحاولة الوقاية من البرد، وأنت أعزل وهنا ستتيقن أنك عائد إلى غرفتك بمرض الانفلونزا، أو الرشح، أو الكحة والسعال، وتبدأ المعاناة لأن هذا المرض معدٍ ويجب أن يطال باقي إخوانك، فأنت ستشعر أنك لست بأمان من عدوك، كما أنك لست بأمان من الجو المتقلب الذي تعيشه برداً وصيفاً في يوم واحد، إن هذا لعمري

غريب وعجيب، والله هذا هو الواقع في نفحة أعاذكم الله منها في الدنيا والآخرة، اللهم آمين

## ثالثاً: نهار الأسير واستيقاظه وقت السحر.. وحتى نومه بعد السهر:

وهنا أتحدث عن الأسرى بشكل عام وعن أسرى حماس بشكل خاص، لأنني عشت بينهم متفيئاً تحت ظلهم، وكوني عضو منضم تحت جناحهم، وما عشت إلا بينهم ومن ماء حماس ارتويت، ومن لبنها رضعت، وعلى موائدها تربيت، فأعجبت أيما إعجاب بشباب هذه الحركة، وفي مقابل ذلك رأيت العجب العجاب من عدوهم فسأسطر هذه الحياة بحلوها، ومرها، بفرحها، وترحها الممل منها والشائق، ولا أزيد ولا أنقص.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]:

يبدأ اليوم عند أسرى حماس مع السحر وقبل بزوغ الفجر، كما قيل في وصف فريق من المؤمنين «نظر الله إليهم في جوف الليل محنية أصلابهم على أجزاء القرآن، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، فلا تخلو غرفة من غرف حماس إلا فيها قائم بين يدي ربه يصلي، وإذا وجدت غرفة ليس فيها لله قائم فهذا شذوذ وأمر غريب ويصدق عليهم قول الله ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨] وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا * وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤-٦٦].

فهذه تربية رجال حماس ومدرستهم في قيام الليل، وهنا لا أتحدث عن شهر الصيام، فذاك حديث آخر ما أروعه، إنما أتحدث عن ليال برغم شدة سوادها وحلكة ظلامها، برغم هذا الليل المعتم القاتم لا قمر ولا نجوم ولا كواكب في وسط

صحراء قاحلة وجبال شاهقة، رغم كل هذه العتمة فإنه ليخيل إليك أن الشمس تضيء الأرض من هنا، وكأن نور القمر يملأ الأرض استقراراً وطمأنينة من هذه الأكف الضارعة إلى ربها، والدموع الهاطلة والخدود التي غسلتها دموع الخاشعين، في هذه الأوقات أوقات الرحمات، أوقات الإجابة ترى سكينة الله تتنزل على عباده المبتلين المظلومين، فكأنهم ما خلقوا إلا للعبادة، وكأنهم ما عرفوا من الدنيا إلا الله، فما الذي يقض مضاجعهم وما الذي يذهب بنومهم إلا شوق سيطر وتربع على قلوبهم، وإلا خوف القوي العزيز، وأمام حب الله والشوق إلى لقياه والتضرع إليه يذهب كل بلاء ويفني كل هم وغم، هذه هي الليالي الأولى من سجني، أراقب، أنظر، أعيش هذه الأجواء أشعر بجنة الله في الدنيا، بنعمة الله وكأن الأرض كل الأرض صارت مرتعاً لي، اسبح فيها بحياتي وفكري ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠- ١٩١] وكأن هذه الدموع الزكية، هي ماء الحياة وإشراقة الروح، فأخذ كل ما حولي وقد علته ابتسامة الرضا وارتسمت على محياه، فأضاءت يومه ويقظته وحياته، وصرت أجول بخاطري عبر الزمن البعيد لتزول مفاجأة صعقتني عند أول تعارف، فما الذي يصبر هذا الذي مضى على فراق أهله وأحبابه عشرات السنوات غير هذه الركعات، وما يزال يبتسم ويعلن في كل حركة وكلمة رضاه التام بقضاء الله وقدره، بسبب هذه الركعات، وتنتقل هذه المعاني ببهائها وجمالها لتخترق قلباً طالما تعطش وانتظر هذه الحياة، فقد زال الهم وكان بحسب ظن البشر وحسابهم أن يكون كبيراً ولكن تجلت رحمات الله بهذه الركعات، فصرت كما الناس من حولي، أنافسهم في قيامهم وأحوال سباقهم في القيام، وهم المربون والأساتذة والرجال أحاول أن أنهل من هذا المنهل العذب وهكذا هي حياة أولئك الرجال وهذا هو صباحهم وهكذا هو استيقاظهم وهذا هو

حالي عندما رأيتهم ومن هنا يبدأ صباحهم وسحرهم هل كلهم على حال واحدة بالطبع لا، فمنهم القوي، ومنهم الضعيف، وفيهم الكبير، وفيهم الصغير، ومنهم المتعلم، وقليلهم جاهل، ولكن أغلبهم يتوق لذلك ويرغب بالمنافسة ويتأسف لحاله إن قصر، ويكفي نفوسهم طهارة هذا الحساب وهذا العتاب.

**أذان الفجر الأول كأنه الثاني:**

حتى إذا ما رفع الأذان الأول، رأيت معظم الشباب كان قد استيقظ إلا القليل، وينشغل الأسرى بعد قيامهم بالذكر والتسبيح وقراءة القرآن، فما تمر لحظة بعد منتصف الليل إلا وفيها قائم لله أو قارئ للقرآن، أو ذاكر للرحمن وبعضهم يبدأ بأكل لقيمات يقمن صلبه، يتسحر مع المتسحرين لأنه بعد قليل سيكون في عداد الصائمين، وما رأيت غرفة من غرف أسرى حماس يرفع فيها أذان الفجر إلا وكل شبابهم كانوا جاهزين منتظرين، وقد فرشت أرض غرفهم بالمصليات استعداداً وانتظاراً وتهيؤاً لصلاة الفجر، ويرفع أذان الفجر في الأقسام، ينادي المنادي صاحب الصوت الندي أن حي على الصلاة حي على الفلاح بصوت عذب صافٍ هنا تتذوق معنى حديث النبي ﷺ: «أطول الناس أعناقاً يوم القيامة هم المؤذنون»(١) وكأن أصواتهم بصفائها ونقائها تخترق هذه الظلمات وتصعد إلى بارئها تخترق الآفاق إلى عنان السماء لا تسمع إلا صوت الأذان وبعد الأذان مباشرة، وسؤال الله الوسيلة والصلاة على النبي وصلاة ركعتي سنة الفجر ما هي إلا دقائق معدودة لا تتجاوز الثلاث دقائق أو أربعة حتى، وكأنك في خلية نحل تسمع دوي القرآن وترانيمه بأصوات الخاشعين المرتلين تخترق الصمت من كل غرفة، فالصلاة في السجن جماعة باستمرار لكن كل غرفة بأعضائها عشرة أسرى أو ثمانية أسرى، وفي القسم الواحد يكون ١٢ غرفة تقريباً فمع برودة الفجر وسكينة السحر ونسمات الهواء الرطبة تتسابق هذه

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٤) (٣٨٧).

الأصوات في جو إيماني رهيب كيف لا؟ وهم في ليلهم وقيامهم ينتظرون هذه اللحظات فما تقرب عبد إلى الله بأحب مما افترضه عليه، لكنهم قد حرموا من المشي في الظلم إلى المساجد، فقاموا في مكانهم ينتظرون ويتخيلون المشي في الظلم حتى يحصلوا على الأجر وينالهم النور الموعود من كثرة السجود هي الصلاة الأولى، هنا لن تجد إلا قائماً مصلياً في جماعة لا تفوت صلاة الجماعة إلا من انشغل في غسل الجنابة، أما غير ذلك فلن تجد متأخراً عن الصلاة في كل أسرى حماس أسيراً واحداً، فلا أسير واحد لحماس في السجون إلا ويقوم ويصلي الفجر جماعة حاضرة في أول وقتها في صف واحد لا يفصل بين الأذان والصلاة إلا ركعتي السنة، فلا صلاة لمنفرد إلا صاحب غسل أو عذر، وغالب الأسرى يمضي سنوات اعتقاله وما ترك يوماً صلاة الجماعة وخاصة صلاة الفجر، فليس هناك من يبقى في فراشه وقت صلاة المصلين، إلا كان غريباً عن حماس وليس من حماس، ما بعد الفجر، في الشتاء كان في الصلوات وخاصة الفجر يتفاوت فيها الشباب ما بين ملتزم بها، أو مستعجل إلى الفراش، الشدة والبرد، أما قراءة المأثورات، فيلتزم بها معظم الشباب ولو كل شاب على برشه تحت فراشه، وحتى لا تصبح كالفرض فإن قراءتها جماعة تكون كل يومين وليس كل يوم، ومن رغب بقراءتها فليقرأها وحده في غير أيام القراءة المسموعة الجماعية، والمأثورات هي من الالتزامات التي يعرفها الداني والقاصي عند الإخوان، وهي عبارة عن أذكار المساء والصباح، وتقرأ صباحاً ومساءً وأما بعد قراءة المأثورات، فيختلف حال الأسرى من أسير إلى آخر، ففي الشتاء، لشدة البرد القارس فإن غالب الأسرى في فراشهم، يلتمس الدفء، ويبحث عما يقيه من أمراض الشتاء، حيث ستكون هناك فتحة صغيرة في شباك الغرفة لتغيير مجرى الهواء ولطرد الرطوبة وتنظيف الغرفة من الروائح الخاصة بالنوم، ولطرد روائح الطبيخ وزيت القلي و... هذه الفتحة الضرورية ستجعل الأسرى يلتحفون غطاء الشتاء، فيغلبهم النعاس ويغطون في نومٍ عميق إلا من استفزازات يهود التي لا تتوقف وخاصة التفتيشات

التي غالبها يكون بعد صلاة الفجر، بينما يبقي عددٌ من الأسرى لا بأس به وهم من أهل العزائم، فهؤلاء يلفون أجسادهم بكثير من الثياب، ليقرأ القرآن أو يطالع الكتب أو يكتب لطلابه أو لأهله، فيكون هذا الوقت هو فرصتهم في اكتساب وقتهم، وهذا هو أفضل الوقت عند الأسرى الذين يودون الاستفادة من وقتهم ويحرصون علي كل دقيقة، هذا الوقت هو وقت نزول البركات وخيرات، ولعلك تعجب إذا علمت بعد ذلك أن حركة نشاط قيام الليل هي أشد من حركة النشاط بعد الفجر، تعليل ذلك أنه لربما من طول فترة قيام الليل عندهم فإنهم يجدون هذه الساعة بعد الفجر ليريحوا بها أجسامهم، حيث بعد سيكون هناك عمل جديد.

**ما بعد الفجر، في الصيف:**

وأما في أوقات الصيف، فلا يكاد يكون وقت بعد صلاة الفجر، وبين وقت العدد والرياضة، لذلك تكون حركة النشاط بعد الفجر أكثر منها في الشتاء، لأن من يريد ممارسة الرياضة، فعليه أن يبقي متأهباً وجاهزاً، لأنه إذا فاتته فرصة الرياضة، فلن يسمح له بمزاولتها بعد ذلك، وهنا يبقي على استعداد، يشغل نفسه بما هو نافع ويفيد، كترتيل للقرآن أو قراءة كتاب أو تلخيص محاضرة أستاذ، ولكن تبقى طائفة من الأسرى تحافظ على وقت ما بعد الفجر، حيث الهدوء التام والفائدة الكبيرة، فإن صاحب الخبرة في القراءة والمطالعة وكسب الوقت ليؤكدون أن الدقيقة الواحدة بعد الفجر أغلى من عشر دقائق في وضح النهار وضوضائه وصخبه، فوقت ما بعد الفجر في عرف كل مجتهد هو بداية العمل، وهو الوقت الذي ينسم فيه مع المخلوقات بأسرها، فتكون الشمس تتأهب للشروق، والطيور تغرد ليوم جديد، وما تكاد ترى على وجه الأرض لحظة وقبل الشروق من مخلوق إلا وقد فتح عينيه وحرك جسمه ليبدأ في كد يده وإطعام نفسه ـ اللهم ـ إلا حيواناً قد خلقه الله ليعيش في الليل مع الكلاب الشاردة أو خفافيش الظلام، أو إنساناً كسولاً خاملاً، وأن الله بارك للأمة في

بكورها، أي في أول كل شيء، أول النهار، وأول العمل، وأول القراءة، وأول وقت الصلاة، فلا شك أن يوم المسلم لعمله وتعبه ونصبه في هذه الحياة سيبدأ بعد صلاة الفجر، أما ما قبل الفجر فهو لذه الوقوف بين يدي ربه، وأما ما بعد الفجر فهو لذه العمل لكسب رزقه، ورزق الأسير هنا، هو مزيد من القراءة والمطالعة، لأنه يعلم أنه سيكون يومٌ قريبٌ سيحمل الراية ويدعو للرسالة، وهذا يتطلب منه الكسب الدائم، والرزق الخير من هذه الكتب الوافرة بالعلوم الزاخرة، وهنا يكون ثمة تنافس بين المجاهدين، وتسابق بين المتعلمين، وتواص بالصبر على حلاوة هذه الأوقات التي من ذاق طعمها وتلذذ بحلاوتها، فإنه لن يستبدلها ولو بالدينار والدرهم.

## رابعاً: المعاناة اليومية في حياة الأسرى:

### تاريخ بشع:

إنني ومن خلال هذه السنين التي تمر ازداد قناعة يوماً بعد يوم، ويتأكد بداخلي كل يوم خبث هذا العدو حتى صرت أشعر أنه صنف من غير البشر لبشاعة تفننه اليومي واللحظي بتعذيب الأسرى، وعادة البشر المحترمين وفي علاقات الدول على مر التاريخ للأسير أحكام وأعراف واحترام وتقدير وخاصة أسرى الحرب، وهكذا رأينا الأسرى على طول التاريخ الإسلامي بين أطراف الصراع لقد قرأنا في التاريخ قصصاً كانت واقعاً لا خيالاً وتاريخاً يروى ويدرس لا قصص وهمية وأكاذيب خرافية، فهذا أسير من الروم يقع في أيدي المسلمين في زمن معاوية، فيكرمه ويطّلع على أمور المسلمين، ثم لمّا تأخر فداؤه تركه وسبيله ليعود ليروي لقومه حسن تعامل المسلمين مع الأسرى، وهكذا كان صلاح الدين ـ اللهم ـ إلا شريحة واحدة من البشر إنهم يهود فأينما نزلوا وأينما رحلوا تركوا أثراً سيئاً وسمعة قذرة فقد طردهم الله من رحمته، وقال موسى لربه عنهم: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ

ٱلۡفَٰسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٢٥- ٢٦]، وحصل لهم السبي البابلي على جرائمهم من قديم في الأرض المقدسة، وطردهم رسولنا الكريم ﷺ من بني النضير وأجلاهم عنها وقتلهم في بني قريظة وطردهم الأسبان قديماً وحديثاً من أرضهم، وطردهم وقتلهم هتلر وأدرك الغرب هذه البشاعة في نسلهم، فرمى بهم العالم الاسلامي فهل يرجى من هذه الشرذمة المطرودة من رحمة الله المطرودة من البشر المذمومة بين الخلق، هل يرجى منها خيراً وقد قال الله عنهم ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣]، والله إن هذه الآية بمعناها الكامل والشامل لنعيشه يومياً في سجن المحتل المغتصب، وقال تعالى ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] وهذا نحياه ونلمسه في كل كلمة من السجان وهل هناك أعلم من الله بهم وهو القائل ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢]، وهل أنزل الله هذا القرآن يتلى إلى يوم القيامة عن أمة بادت وماتت؟؟ أم يقول ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ وهذا في كل مكان وزمان، فلا يطمئن إليهم إلا جاهل بالقرآن، جاهل بالتاريخ، جاهل بسيرة الأنبياء والمرسلين، ومن هنا فقد اقتنعت كاملاً أن هذا السجان الماكر لا يتحرك حركة ولا يتكلم إلا عن خبث ودراسة معمقة، وهو يفكر كيف ينال من هذا الأسير المعزول وكيف يستفرد به ليوهن من عزمه ويستعبده، ويستذله، من عاش في السجن يدرك هذا بقوة وبقوة أكبر من عاش في عزل الزنازين أياماً وشهوراً وسنين، سيرى هذا العدو الماكر على حقيقته وستتبدى لك أنيابه بوضوح، وما تشعر حولك إلا مفترساً لا يحترم فريسته كالذئب تماماً في حقارته، وكالثعلب تماماً في فكره، وكالخنزير تماماً في نذالته وقذارته، وصدق الله ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] أبعد كلام الله كلام؟؟.

وسأذكر هنا كيف أن هذا السجان الماكر الحاقد الحاسد تتجلى صور حقده وبغضه وحقارته، في تصرفاته كلها عن يهود هنالك ما يزعمونه قانوناً للأسرى، وهو في حقيقته جرائم بشعة تجلس قيادتهم وتضع الخطط في أدق التفاصيل، تقود حركتها داخل السجون بناءً على هذه الخطط المدروسة، والتي يشارك فيها علماء نفس وخبراء اجتماعيين، والهدف سلخ هذا المقاومة، والمجاهد عن دينه ووطنيته وشعبه وأمته، وحياتنا معهم طويلة وسنتكلم عن هذه المعاناة في مواضيع متفرقة، لكن هنا سأريكم كيف ينفرد هذا المجرم السجان بهذا الأسير المعزول عن العالم، وكلما ضعف الأسير أمامه اشتدت شكيمته، وما يرده ويصده عن وحشيته إلا تواجد الأسرى وتحديهم وصمودهم وهنا سيكون لهم ألف حساب قبل أن يقدموا على جرائمهم.

**صباح الشيطان مزيد من الطغيان:**

كل سجين في العالم ولا سيما أسرى الحرب، يمكثون فترة اعتقالهم بعزة وحرية داخلية، ما لم يكن هناك تمرد أو عنف، فالأمر يعالج بحدوده وعلى قدره إلا عند هذا المحتل، فالأمر أكبر ففي كل صباح ومن أول يوم تدخل فيه السجن، أول لقاء بينك وبين هذا السجان، هو ما يطلق عليه بالعربية (عدد) والعبرية (سفراً)، وفيه يقوم ضابط السجن بالتأكد من عدد الأسرى في كل السجن، وهذا العد يكون غالباً في الساعة السادسة صباحاً، فأن يتم التأكد من عدد الأسرى فهذا سهل، وهذا أمر طبيعي ولكن الاستفزاز اليومي في هذه التساؤلات، لماذا هذا العدد الضخم من الضباط والجنود والشرطة؟ وبهذا الصخب القوي وبهذه الضجة والأصوات المفتعلة، ومعهم عتادهم، وعدتهم، وسلاح وغاز، وآلات شغب، واستنفار شديد، وكل ما لديهم من أسلحة يوجه ويصوب تجاه الأسرى، في شكل استعراضي استفزازي في اليوم الواحد ثلاث مرات، ما هذا الغباء؟ أهكذا يصنع الجبن بأهله؟ أم هي الحقارة بعينها؟ لماذا هذا الهوس الأمني الكبير؟ لماذا يتم إغلاق النوافذ

والأبواب بشكل استفزازي جداً؟ وبضرب عالٍ على النوافذ والأبواب؟ إن ضابط الأسرى يستطيع أن يقوم بعدِّ الأسرى من خلف الباب المغلق بالقضبان الحديدية، على شكل مربعات، وبالمناسبة هو أصلاً يقوم بعدِّ الأسرى ويسميه عدد أمني أكثر من عشرات المرات يومياً، دون هذه الضجة، إذن يستطيع أن يعد الأسرى بهدوء فلماذا كل هذا الاستعراض؟ وهذه العنجهية؟ وهذا التكدس والتكتل من الشرطة؟ وكلهم يرمقك ببصره، ويرمقك بحقده، في اتجاه واحد حتى لا ترى آخرهم عن أولهم، وليت الأمر يقف هنا وهم يزعجون الأسرى في استقرارهم وهدوئهم بل ونومهم، لأن غالب الأسرى في هذه الساعة يكونون قد تعبوا من قيام الليل وصلاة الفجر وقراءة المأثورات، فبعدها يتأهب كثير منهمليناموا ساعة أو ساعتين هنا يحلو لهذا السجان اقتحام الأقسام، بالفوضى والصخب، ويكون قبل ذلك قد أرسل سجانه ليستفز الأسرى من نومهم فيضرب بخفقات قوية على باب كل غرفة بالقفل المعلق بالباب، وفي كل باب يكون قفلان أو ثلاثة وقبل العدد يمر السجان شرطي واحد على هذه الأبواب، فيقوم بفتح هذه الأقفال استعداداً لعدد الصباح، ولكن عند فتح هذه الأبواب يحدث فرقعة وضوضاء، وهو يضرب القفل بالباب، والقفل الذي يحتاج فتحه ثانية أو ثانيتين أحياناً، يمكث فيه السجان دقيقة أو دقيقتين، وهو يجرب المفاتيح وهو كاذب في هذا الفعل، لأن الأقفال لها أرقام وكل مفتاح عليه رقم القفل فكيف ستفسر هذا الاستفزاز، وإفزاع الأسرى من نومهم؟؟ وكثيرة هي التوترات والتصعيدات التي تحدث من خلف هذه المفرقعات المصطنعة، والأدهى والأمر عند العدد وقبله بدقائق، مرة أخرى يقوم السجان ويضرب الأقفال، ويسحب سحاب الباب بقوة كي يفزع الناس، والحُجة هنا والذريعة الكاذبة هي كي يتهيأ الأسرى للعدد، وماذا سيفعل المغلوب على أمره؟ سيبادله بالصراخ عليه ويرفع صوته في وجهه يتوعده، وربما شتمه وسبه وتحمل جراء ذلك عقوبات أقلها أيام

في الزنازين، وهذا كله بقصد لأن مردوده على الأسرى سيكون فقد الاستقرار والهدوء وتوتر الأعصاب، وهذا هدف يسعى السجان له كل لحظة وهذه لحظات يتشفى فيها كبيرهم قبل صغيرهم وحقيرهم، ويأتي الضباط على الوصف الذي ذكرنا والطريقة التي عرضنا، وحالة من الأمن الكاذبة وكأن موكب الملك قد مر من هنا وهنا يأتي دور العدد، فيفتح السجان باب الغرفة، وهكذا سيفعل في كل غرفة ويتقدم الضابط مسافة تقدر بمتر داخل غرفة الأسرى، ومحاط بجنوده وعتاده وآلاته الواقية، وسلاحهم الموجه المصوب تجاه الأسرى، وحركاتهم في اليمين واليسار، وتنقلات عيونهم من خلف الأقنعة التي يلبسونها على رؤوسهم، والله لو كان الأمر هنا لكفى ولهان، وما يقوم به من استفزاز وهو عليه لا علينا ويقهر نفسه ولا يقهرنا، وسيوتر نفسه ويتعب جنده، وإن أشبع غليله وحقده، وهذا ما سنتوقعه في كل لحظة من هذا السجان... ولكن!!!

**وقوف يراد به الركوع:**

ولكن الذي لا استسيغه ولا أستوعبه من يوم اعتقالي، وإلى اليوم ولن أستوعبه ما دمت في الأسر، وما دام هناك أسرى هو الوقوف على العدد حيث يطلب منك أن تقوم واقفاً على قدميك معتدلاً إلى أن يأذن لك بالجلوس، أو ينصرف ولا يعيرك اهتماماً، جلست أو لم تجلس ويكون ذلك عند وقوف الضابط ليعد الأسرى على باب الغرفة وهذا الوقوف إجباري وإلزامي رضيت أم أبيت، يجب أن تقف إن كنت نائماً ستقف، إن كنت جالساً ستقف، وإن كنت على الأكل ستقف، وإن كنت في بيت الخلاء ستقف، وقد نهينا في ديننا الحنيف عن الوقوف حتى من باب الاحترام، فكيف إذا أريد بهذا الوقوف الذل والهوان، ويجب أن يستمر الوقوف حتى ينتهي هذا الضابط من عده للأسرى، وقد يكون الضابط جاهلاً، أو أمياً، أو غبياً، فيجب أن تنتظر واقفاً وبجب أن يقف جميع الأسرى عن آخرهم، فلا يقبل أن يقف بعضهم

ويتأخر بعضهم، ولو تأخر رجل أو كان في الاغتسال أو كان نائماً، يجب أن تبقى واقفاً حتى يقوم آخر أسير واقفاً، ويجب أن تكون الوقفة الجماعية معتدلة على القدمين والرجلين، وعلى الأرض وليس على برش، أو كرسي، أو أي شيء آخر، يجب على الأرض، وهذا لا يقصد من ورائه إلا مزيد إمعان في الذل، وأنك يجب أن تشعر كل لحظة أنك في الأسر وأن هذا الهوان والذل في كل صباح يجب أن تتذوقه كل يوم، ويجب أن تقوم واقفاً رغماً عنك، وإلا تعرضت لما هو أنكر وأطغى، يجب أن تقوم واقفاً كل صباح وتعترف للسجان أنك أسير ضعيف ومهزوم، وهو قاهر وغالب، يجب أن تقوم واقفاً كل صباح لتعلم أنه لن ينفعك أحدٌ من البشر، وأنك يجب أن تتحمل مسؤوليتك وعقابك، ولن يقف بجانبك أحد وكان يقول في كل صباح وقد خرج الناس لرزقهم وعملهم وسعيهم، وتخرج الطيور لتغرد وتفرح بكل إشراقة يوم جديد، هذه هي الحياة لكن هنا يقال لك مع كل صباح أين حزبك، ورفاقك، وجماعتك، وحركتك، وأصحابك الذين كانوا يزعمون بأنهم رفاق الدرب؟ أين أين وأين؟؟؟ هذا ما أفهمه من هذا العدد الصباحي، من هذا الصباح الذي يصبحك فيه الشيطان، وهل صباح العدو ومساءه كل يوم إلا صباح الشيطان الذي ينتظر أعوانك عند صباحك عند نومك.

**ذو النوم الثقيل، يرتكب الكبائر:**

أما علمت أننا نام في السجن على أبراش، وهذا البرش عبارة عن لوحين حديد أحدهما يعلو الأرض بـ ٤٠ سنتمر تقريباً، واللوح الحديد الآخر يعلو اللوح الأولى بمسافة ٩٠ سنتمر تقريباً، وبذلك فإن الذي ينام على البرش العلوي يرتفع عن الأرض بمقدار ١٣٠ سنتمتر، وهنا يجب على الجميع ـ وقت الصباح والناس نيام ـ الوقوف بسرعة لا تتجاوز الثواني، وعلى صاحب البرش الأعلى أن يقفز بسرعة إلى الأرض ليكون الجميع واقفين إلى من يقفون؟ إلى من ينهضون قياماً؟ إلى أرذل

الخلق وأعداء البشرية، وإذ الذي ينزل من البرش العلوي ربما تزل قدمه على البرش الأرضي، فهنا يجب أن تكون القدمان على الأرض، وهذا موقف إن تكرر حدوثه تعرض الأسير للعقاب والعقوبة، قد تكون زنازين أو عقوبة مالية أو حرمان زيارة أهل أو أي عقوبة، وشرطها أن تكون مهينة، والذي يتأخر في النزول إلى الأرض فإنه المسؤول عن نفسه وعن تأخره، وتكمن المشكلة بشكل أكبر في أسير ثقيل النوم، وبعض النائمين لو صرخت بجانبه أو ألقيت قنبلة صوت، لما استيقظ من نومه وهذه طبيعة بشرية، ولكن هذا السجان لا يعرف الطبيعة البشرية، فالمسؤول هو النائم وهو مرتكب الكبيرة بنومه، وهو الذي يخالف الأوامر بنومه، ويجب أن يستيقظ وإلا إن تأخر عوقب، وسمع أصدقاؤه، وزملاؤه، ورفاقه، وإخوانه، من الكلام المقرع، ما يزيدهم ضيقاً وحرجاً، وماذا عساهم يفعلون، وبمرور الأيام وكأنَّ صاحب النوم الثقيل هو المذنب، وهو مرتكب الجريمة ويجب أن يقاوم نفسه ويعودها على النوم الخفيف، حتى لا يحصل الحرج له وللأسرى ويحصل التوتر، وهنا لا تتمنوا لقاء العدو تصبح شعاراً للبعض، وإن كانت في غير موطنها وما النوم هو السبب، ولا الاعتراض هو السبب، ولكن البقاء في الأسر يجب أن ينتهي.

**بيت الراحة صار بيت إهانة:**

ومن إحراجات العدد الخطيرة المهينة، أنه ربما كان أحد الأسرى في بيت الخلاء، أو في الحمام ويجب أن يكون، فهنا يجب عليه أن يربط حزامه، ويقطع بوله، أو غائطه، أو اغتساله، إن كان يغتسل ليخرج بنفسه ويراه الضابط على هذه الحال، وإذا تأخر إلى أقل من عشر ثوان وهو في الحمام تلقى عقابه وتم سحبه من بين إخوانه إلى الزنازين، ليمكث هناك معزولاً مستفرداً فيه أسبوعاً كاملاً، كل هذا الهوان والعذاب لماذا؟؟ أهو أمن؟؟ كلا.. فلو جاء جيش بأكمله قد يستعصي عليه اقتحام السجن لشدة أسواره وعظم الاحتياطات الأمنية، جدار وكلاب وأسلاك وأسوار وأشواك،

وباطون مسلح وخط سير أول، وخط سير ثاني، وأسلاك منها كهربائية، ومنها عادية، وأقفال وأبواب وسلاح وعتاد.. فمن ذا يستطيع أن يخترق هذه الأسوار؟ إذن فماذا عساهم يريدون من كل ذلك؟ لا نوم، ولا قضاء حاجة ولا استقرار.

قوات، ضجيج، وقوف كامل في آن واحد، لعدو حاقد والله لو كان هذا يحصل كل صباح لكفى ذلاً واستصغاراً لهؤلاء العظماء، ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل، وعساه يأتي اليوم الذي فيه يفك أسرنا وتغشانا الحرية بظلالها وبهائها، ونصحو من نومنا صحواً طبيعياً عادياً على حنان أم، أو رحمة أب، أو لمسة طفل ناعمة، لا على أصوات السلاح والقهر والذل، وفوق كل هذا يجب أن تقوم واقفاً إلى أن يؤذن لك بالانصراف، وكم من الشباب المقهورة المأسورة يتمنى لو يفرج عنه فيكون صباحه ومساؤه من غير وقوف، يراد به الإذلال، كم سمعتها من شباب صابرين ولكنهم يقولونها بوجع وألم، متى يأتي اليوم الذي ليس فيه وقوف للعدو، وليس فيه صباح شيطان وعدد قاهر.. متى يأتي.؟!

**وإذا الشيب أهين:**

وإذا هان عليك كل ما سبق فإذا عساك تفعل مع شيخ كبير قد بلغ الستين أو السبعين وآلمته ركبه ومفاصله، فما هو بالشاب حتى يفز واقفاً، ولا هو بالقوي حتى ينهض سريعاً، أيهون عليك أن ترى ذا الشيبة وقد كان يعلو المنابر وتزحف إليه الركب، أيهون لك أن ترى كبيرنا وزعيمنا ورفقاء الياسين في تأسيس دعوته أيروق لك أن تراهم واقفين رغماً عنهم تحت إرادة يهودي قاهر مستكبر متعجرف.

**وإذا المريض قُهر:**

وكيف ينام الحر على جنب، وهو يرى أخاه الأسير المريض لا يستطيع واقفاً إلا وهو يتهاوى بين يدي إخوانه، يتكئ عليهم ويتوكأ على أكتافهم، ولا يرضي هذا

اليهودي ولا يشبع غروره إلا أن يقف وإلا عوقب، وهنا ما يكون من إخوانه إلا أن يحملوه على أكتفاهم حملاً ويرفعونه حتى يقف على قدميه ويديه على أكتاف إخوانه لأنهم لو لم يفعلوا ذلك سيأخذونه بل سيسحبونه من بين إخوانه ومساعديه ومن ذا سيساعده وهو معزول في زنزانته؟؟ ومن ذا سيقوم بأمره اذا كان بمفرده؟؟ وكل ذلك من أجل أن يقف مكسوراً، سامحونا هذه هي الحقيقة المُرة التي تخفيها تحت عبارات الصمود نحن صامدون صابرون متوكلون على الله... ولكن!! أيرضى هذا الحال حُر غيور على أهله وشعبه.

**أرياضةٌ هي أم ترويض:**

في كل يوم يسمح للأسير أن يخرج من غرفته إلى ساحة ضيقة تُسمى (فورة)، هذه الساحة يخرج إليها الأسرى من غرفهم صباحاً ليمارسوا الرياضة، وماذا عساه تتسع لممارسة الرياضة وعدد القسم ١٢٠ أسيراً، فأين سيذهبون في هذه الساحة الضيقة؟ وكيف سيمارسون رياضتهم، اللهم إن خرج عدد قليل يصل إلى العشرين، أما أكثر من ذلك فلا تتسع لهم هذه الساحة وهنا ألوان العذاب كثيرة وإِشكال الهوان كبيرة، وانظر إلى اليهودي كيف يتفنن في إذاقة أسيره كل ألوان المهانة وأشكال العذاب، (أنت في السجن) هذه الكلمة ستسمعها من اليهودي السجان عشرات المرات، كلما صنع شيئاً قال (أنت في السجن)، وكأن خبراء النفس قالوا لهم: ذكروهم كل لحظة بأنهم في سجن، ذكروهم بلسان الحال وذكروهم بلسان المقال، ذكروهم ورددوا على الأسرى هذه العبارة «أنتم في السجن»، وحتى يعيش هذه المهانة والاستفزازات اليومية يجب أن يتقبل ذلك لأن هذا معنى السجن عند يهود، وهنا ستبدأ الحكاية لهذه العبارة بلسان الحال من بداية صباح الشيطان، ثم عندما يأتي وقت الرياضة وسيخرج الأسرى للرياضة والذي سيخرجك من الغرفة وحتى ساحة الرياضة هو السجان، يأتي السجان ويقف على باب الغرفة ليسأل

بصوت عال يوقظ من كان نائماً من سيخرج رياضة؟؟ وبينما الشباب يتجهزون يقوم السجان بفتح الباب فيخرج من تهيأ للخروج أسير.. أسيران وبينما الأسير الثالث يستعد ليلحق بإخوانه فإذا بالسجان الحاقد يغلق في وجهه الباب بطريقة استفزازية يريد من ورائها الإهانة لا غير والذريعة والحجة أنه تأخر، ويجب أن يكون جاهزاً وهو بعد لم يفتح الباب سوى ٥ ثواني والغريب أنه لو كان الأسير واقفاً على الباب وينتظر دوره فإن السجان هنا سيبقي الباب مغلقاً ولن يفتح للثالث إلا بعد نصف دقيقة على الأقل، بحجة أنه يمنع الخروج جماعة بل اثنان اثنان، فلو كان جاهزاً فلن يفتح إلا بعد نصف دقيقة ولو لم يكن جاهزاً ولو خمس ثوان فسيحرم من الخروج للرياضة، وفي كل الأحوال يراد من هذا الفعل المتكرر كل صباح أن تشعر وتحس وتتألم فأنت مقيد، وفي سجن ولست حراً ولسان حال السجان، يجب أن نتدخل في كل شؤون حياتك وهنا بالطبع ستكون ردة فعل من الشاب الذي أغلق في وجهه الباب ومن ثم سيكون بعدها توتر وأعصاب ومن ثم عقوبة ووقفة الشرطي على الباب هي وقفة للاستفزاز فقط، ذلك أن هذا السجان يمسك الباب بيديه فيفتحه ثم يجعل مكاناً ضيقاً للأسير ليخرج منه، وباستطاعته أن يفتح الباب كاملاً أو نصفه على الأقل، وإليك قصة متكررة بل استفزاز مكرور، فهذا أسير قادم جديد وليس عنده بوت رياضة فيخرج بحذائه (صندل أو شبشب)، فهنا يأتي دور السجان الخبيث فيأمر هذا الأسير بالبقاء في غرفته، ولن يسمح له بالخروج لماذا؟! لأنه لا يملك بوت رياضة، فيقول الأسير وهو مندهش وما دخلك في ذلك؟ فيقول السجان ممنوع هذه رياضة وليست مشي ويبدأ سجال طويل ونكد كبير ليجلس الأسير بعد طول انتظار وقد شفى هذا السجان غليل نفسه وأشبع نفسه هواها من الصباح الباكر، وهو يتلذذ بهذا الموقف وبعد هذا الصباح المعطر بهذه الأجواء، ستنتظرك مجموعة أخرى من السجانين على مسافة عشرة أمتار ليقوم بمهمة أخرى؛ إنها التفتيش هو

فقط للاستفزاز في كل صباح وبسهولة جداً في جو ملبد بالغيوم السوداء، وفي علاقة حساسة جداً، قد تتوتر وتستنفر في أي لحظة هذه فرصة أخرى لهم للاستفزاز فيتقدم هذا السجان نحو الأسير بحجة التفتيش ليلصق جسمه بجسم الأسير أو المبرم بين الأسير والسجان، وهي ما يحيط بأعضاء الأسير الحساسة، وهنا سيدعي الذي لا يكذب ولن يلام على فعله سجان، وهذا ما يجعل الأسير يشعر أن كل فعل مستفز هو عن عمد مفتعل أو افتعال متعمد، المهم هنا عند السجان ألا يمر هذا الصباح دون نكد على الأسير، ولا بد من تعكير صفو الأسير ولنفترض أن كل شيء صار على ما يرام حتى هذه اللحظة، ووصل الأسرى ساحة الرياضة، فهنا ستحصل أمور أخرى ضمن المنهاج الاستفزازي المعد سلفاً، حيث ستتفاجأ بضابط السجن بعد هنيهة من وصول الساحة، وما كاد الأسرى يبدؤون بممارسة الرياضة فإذا بصفارة الإنذار وحالة الطوارئ تدق، وعلى الفور يجب على جميع الأسرى العودة إلى غرفهم تحت حراسة مشددة من غير نقاش ولا اعتراض، وأنت أسير وأنت في السجن، وهنا بالطبع ستضيع عليك فرصة ممارسة الرياضة وهذه الأزعكاه (صفارة الإنذار) ستكون أداة استفزاز أحياناً في اليوم الواحد ٥ مرات، فأنت أيها الأسير في سجن، وأنت في حالة طوارئ دائمة، ويجب أن تتعذب وتهان وكل ذلك تحت حجة واهية وهي دواعي أمنية.

**ما معنى الرياضة عند يهود:**

ولنفترض أن كل الأمور سارت بسلام، وبقي الأسير يمارس رياضته فهل يمارسها؟ كلا.. فأنت في السجن، فسيأتيك الضابط ليوقف أي تجمع رياضي فهذا ممنوع، وسيحذر الأسير من ممارسة رياضة ما وهي حركات لياقة عادية، لكنه هو رب السجن وسيتدخل ويمنع ويراقب، ففجأة سيتدخل ويوقف أسير عن

الرياضة، والحجة أنه يمارس حركات كراتيه ممنوعة، والتدريب بمثل ذلك معناه العزل لشهور، ولكن ما هو مفهوم الكاراتيه عند هذا السجان ليحلو له كلما أراد أن ينغص الأسرى، أن يفعل ذلك وهذا يختلف من سجن إلى آخر وكل شيء متعمد مفتعل، ففي إحدى المرات بينما أسير يمارس رياضته، جاءه ضابط القسم وحذره من ممارسة الكاراتيه، والذي كان يفعله الشاب ببساطة تمارين لياقة، يرفع قدمه إلى أعلى كي يعمل على تليين مفاصل وسطه، والشاب أصلاً لم يمارس كاراتيه في حياته كلها، حتى يمنعه هذا الضابط بهذه الحجة، وهل أصلاً هذا الضابط يفهم ما هو الكاراتيه، لو كان يفهم لاحترم مهنة الكاراتيه، وما أهانها ببعض الحركات البسيطة.

ونحب هنا أن ننوه إلى أن كل هذه الاستفزازات لا تمر دون تحد من الأسير، ولكن الحقيقة كذلك أن الأسير سيعيش لحظات سجنه في أعصاب متوتر باستمرار، وسيكون هناك تفاهماً بين الأسير والسجان، ولكن اليهودي السجان يبقى حقيراً وناكثاً لكلمته، ووعده وصدق فيهم قول الله تعالى ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ [البقرة: ١٠٠]، وهذه آية ما أروعها وما أصدقها فيهم والله هم كذلك بحذافير هذه الحروف، ففي كل يوم يحصل ذلك فلا تمر ساحة سجن ولا قسم إلا وتجد هذه الآية فيهم، فعند حصول إشكالية ويتم التفاهم والوعد بعدم التكرار، وبسهولة جداً سيتنصل هذا السجان من كلمته وهو يبتسم ابتسامة صفراء قائلاً الأمر ليس في يدي، الأمر أعلى ولو كان المسؤول عن السجون بكاملها هو قائلها فسيقول الأمر خارج إرادته وسيطرته، وهذه أمور تتعلق بالأمن أو الشاباك، ولو أردت الحديث عن الوعود الكاذبة أو الكلمات التي يدعي فيها أنه عند كلمته لعلمت أن هذه هي أرخص أمة ولا تنصاغ إلا تحت النعال، أما بالاحترام وهؤلاء لا يعرفونه، والله إنك لتجد فيهم خسة الطبع، وسوء المعاملة، والبغض الذي يخرج من أفواههم ليس لأننا أسرى بل لأنهم هم في حقيقتهم كذلك.

**سرقة الوقت:**

وهذه ساعة متكررة حيث يجب إدخال الفورة أو إخراجها سواء للرياضة أو غيرها، كل حركة يجب أن تكون بإذن الضابط وليس الشرطي، فعند الخروج للرياضة ستتأخر عن الموعد المحدد والأسرى ينتظرون والأبواب مغلقة ولن تفتح، إلا عند مجيء الضابط الذي هو في مكتبه يلهو أو يلعب، أو يتلذذ بانتظار الأسرى، وهو يسرق وقتهم حتى إذا ذهب نصف الوقت جاء ليسمح للأسرى بالخروج للرياضة، وهذا معناه أن الرياضة ستكون نصف ساعة أو ثلث ساعة، وليس عند القارئ هنا مشكلة لكنه ما يدري أن الاستفزاز والعجرفة الملازمة لذلك هي التي تقهر، وستحدث إشكاليات ستترتب على ذلك، المهم هنا عند الضابط هو توتير الأسير، المهم هو أن يتدخل في تفاصيل حياة الأسير في كل شيء في إخراج الأسير من الغرفة وفي طريقة الذهاب وطريقة المشي، واعتراض الأسير في وسط الطريق، فهو السجان وأنت أسير مسجون، وهنا عند هذه الشرذمة لا يعنيهم الوقت لأنه وقت الأسير، أما هم فيتقاضون راتباً على فعلهم هذا بالأسرى بل يترقى كلما أمعن في حياة الأسرى بامتياز حيث هذه هي مهمته، وهي إرباك حياة الأسير ووقته وأمنه واستقراره حتى حريته المسلوبة أصلاً.

**دقيقة للاغتسال:**

وعند عودتنا لغرفتنا ستبدأ حكاية أخرى في حرب الوقت، وحرب الدقائق، أو حرب ألّا وقت ولا دقائق، حيث على الأسير الذي تواً كان يركض أو يمارس الرياضة، وقد تعرق جسمه عليه أن يغتسل إن أراد الخروج للفورة والخروج ضروري فيجب عليه الاغتسال في دقيقة واحدة، وإلا فاتته الفورة وقد لا يدرك القارئ الحرج هنا، ولكنه إذا كان في الغرفة عدة رياضين فسيحصل على نوع من المشقة والضيق والحرج ينعكس على حياة الأسرى بمرور الوقت، والسبب هنا

قيود وقوانين السجان وليس الشباب، وإن بقيت في الغرفة فالأمر لا يختلف كثيراً في المعاناة، فهي نفس الساحة التي تواً كنا نمارس فيها الرياضة، فهي موطن الرياضة وهي للمشي وهي لتجميع الأسرى عند الطوارئ وعمليات التفتيش والقمع، وما قلناه من سلبيات الخروج، الأسير الذي يفترض أن يخرج إلى الفورة الساعة الثامنة فسيبقى ينتظر ممكن نصف ساعة وأحياناً خمسين دقيقة، وهذا الوقت هو وقت ميت لأنه مضطرب وليس مستقراً وقد يقول قائل فما على الأسير لو أمسك مصحفه، وكان يقرأ القرآن هذا صحيح ولكن اللعب في الوقت مشكلة أكبر من ذلك، فسيأتيك السجان في اليوم التالي قبل الثامنة بدقائق والشباب غير جاهزين مرة أخرى، هنا يترتب كثير من الفور بين السجان والأسير والذي يسعى إليه السجان هو هذا الجو المشحون بالنكد على الأسرى ولن يستطيع الأسير تجاوز هذا الفعل الحقير وإلا تمادى الشيطان في ألاعيبه.

**فورة بقيود وسلاسل:**

حتى إذا كنت في الفورة وتجاوزت الحقارات والحواجز النفسية القذرة، فلا تطفئ نفسك أنك قد سلمت وأمنت فأنت تحت المراقبة، ليس بداعي الأمن ولكن لداعي القهر، وقائمة الممنوعات طويلة جداً فقط المسموح به هو المشي فقط وغير ذلك كله ممنوع، فالجلسة في الفورة ممنوعة وإلا إن حدثت فسيدق ناقوس الحظر وتدوي صفارة الإنذار، لأن هناك جلسة وما هي بجلسة ولكن جلوس لبعض الشباب بعد تعب، ثم اعلم أن كل شيء ممنوع في هذه الفورة، والجريمة كل الجريمة إذا ضبط أسير وهو يشرب شاياً أو قهوة وكان قد هربها في ثيابه أو في كيس فهي تعادل جريمة المخدرات عند شرطة الجنايات وما شأن الوقوف؟ له شأن آخر ففي هذه الفورة الضيقة جداً يمنع الوقوف في أماكن معينة، ففي هذا المكان باب ابتعد عنه وهذا المكان يكشف تحركات السجان ممنوع الوقوف فيه والفورة أصلاً

محاصرة، ولا ترى فيها شيئاً ولكنه التدخل والافتعال اللامتناهي من الاستفزازات والاحتكاك الذي يراد منه الإهانة لا غير، يدرك ذلك الأسير في كل نفس وفي كل حرف المهم أن تعرف أنك أسير وأنك تحت المراقبة وبكل سهولة قد تصلك إشارة من ضابط الاستخبارات، مفادها لماذا فلان يمشي في وسط الفورة ولا يدور مع الدائرين، ولماذا فلان يكثر من المشي مع فلان وإذا مررت بضابط الأمن أو ضابط القسم ونظرت إليه، قال لك الضابط: قف. تفتيش مع حركات تجعل الأسير يخرج عن صبره، وربما دفع السجان بيده، وحينها سيدفع الأسرى كلهم ثمن ذلك وإما أن يكبت الأسير غضبه ويكظم غيظه، وهو ينفخ نفخ المقهور، أعلمت بعد ذلك أيها القارئ لماذا يقف هذا السجان في طريق الأسير، عند ذهابه وإيابه ليس لوقوفه داع إلا افتعال الاحتكاك المهين وطرق الاحتكاك المهين، لا أبالغ وإن قلت لك أنها تتجاوز المئات، فلا تتفاجأ وأنت تمر من أمام الضابط إلى الفورة فإذا به يوقفك ويأمرك بالرجوع إلى الغرفة، لأن هذه الفنيلة ممنوعة، اخلعها وسلمها للضابط وقد تكون هذه بسيطة، ولكن ألا تعلم أن هذه الفنيلة نفس الضابط هو الذي أدخلها من شباك الزيارة، وهي تحمل في طياتها حنان الأم ورائحة البيت، أو أن هذه الفنيلة باعها لنا الضابط نفسه في دكانة في السجن، ثم لا يعجبه شكلها ويقول ممنوعة، ارجع واخلعها وسلمها وخذ من الاحتكاك ما يترتب عليها من أجواء مضطربة، وإرباك مفتعل أو هذا القشاط؛ وهو عبارة عن حبل يشد به الأسير وسطه لأن القشاط الأصلي ممنوع أصلاً، المهم أن يقول لك السجان بلسان الحال: إنك سجين ولست حراً، من يخرج إليها فلن يعود إلى غرفته إلا بعد ساعة ونصف إذا أراد هو إدخال الفورة بكل من فيها لن يكلفه ذلك أكثر من ضغطة زر أو ناقوس الخطر، ولكن عندما يصيب أحد الأسرى مغصاً شديداً، وليس له من دواء إلى أن يفرغ ما في بطنه، فهنا ستكون الطامة وستقوم القيامة، ولن يستجيب لك السجان إلا بعد توتر شديد وشد

وجذب، ومحاولات ومحاولات، ووقوف كل الشباب يحوقل على هذه الحال التي لا تسر صديق، أو حر أو غيور، وأخونا الأسير يتوجع، ويتلوى وينكمش على نفسه، وما يزال السجان يماطل وهذا الحال ينسحب على من احتقن وحشره البول، ولمن يظن الجو دافئاً فيتحول بارداً، لا يحتمل فسيبقى يعاني ويعاني، أو كان يظن الجو صافياً فكان شاتياً، وهنا لا سقف للفورة يقي من المطر الهاطل اللهم إلا من صدأ الحديد الذي يصاحب المطر المنهمر، فلو كان المطر صافياً لهان الأمر، ولكنه مطر تلوث بصدأ الحديد وتوسخ بالغبار المتراكم والتراب المتكدس، فهل يستطيع أن يطلب أسير أن يرجع إلى غرفته بالطبع الإجابة: لا.

ومرة أرى هل هناك تحدٍ؟ نعم ولكن، التجربة تثبت أن التحدي هنا سيدفع الأسير ثمنه باهظاً، فبكل برودة أعصاب وراء كثير من الخبث والمكر والحقد الدفين، سيأتيك السجان ليناقشك ويجادلك ويوتر أعصابك ويستثير غضبك حتى إذا تصرفت أي تصرف يعتبر غير لائق في عرف السجان فإن صفارة الإنذار ستدوي وستعلن حالة الطوارئ، وسيغلق السجن بأكمله وحينها سيعاقب الأسرى في كل السجن بالبقاء في هذا الجو الشاتي والقارس قد يستمر الحال ساعتين أو ثلاثة، وستمنع من العودة إلى غرفتك أيها الأسير والذريعة والحجة جاهزة، هناك مشكلة وإلى حين حلها يجب البقاء في الفورة، والغريب مرة أخرى أنه قد تدق صفارة الإنذار غرفهم ولم يتجاوز الوقت بعد عشر دقائق أو ربع ساعة، ويجب أن تعودوا في الحال، فانظر إلى هذا التناقض العجيب الذي يراد به في الحالتين، إيذاء الأسير، والنيل من صموده وعزيمته، ويجب أن يعلم الأسير أنه سجين وليس حراً، ثم يتنهد كثير من الشباب وهم يقولون متى نصر الله؟؟ متى سيكون الفرج؟؟ قل عسى أن يكون قريباً.

**فحص الشبابيك:**

فحص الشبابيك، وما أدراك ما فحص الشبابيك، أو دق الشبابيك هذه التسمية البسيطة للمعاناة اليومية الكبيرة، فظاهر الأمر أنه خوفاً من أن يكون هناك خللاً أمنياً في شباك الغرفة فسيتم فحصه في كل يوم مرتين، مرة في الصباح، ومرة في المساء، وهل سيفر الأسير من نافذة قضيب الحديد فيها لا يقل قطره عن ١٥ سنتميتر، ومحيطه يزيد عن ٥٠ سنتميتر، لكن الحقيقة هي الشعار الذي يرفعه السجان (أنت أيها الأسير سجين، ولست حراً ومعنى السجن عندنا هو العذاب المهين)، فهنا ترتبك حياة الأسرى وتضطرب معيشتهم ويسرق وقتهم وراحتهم، هو دق للرؤوس وليس للشبابيك، هو دق للراحة والاستقرار، فيه الأموال تهدر والأغراض تسلب والملابس تنهب، والأوقات تقتل فكيف ستكون حياة الأسير إذا كان هذا يومه، فكيف بأيامه وشهوره وسنينه، هذا الدق في اليوم مرتين ولكن متى بالضبط؟ فهذا في علم الضابط الذي يعرفه الأسير أنه مرة في الصباح ومرة في المساء، لكن الذي يحدد وقته كيفما شاء هو الضابط للقسم لا غيره، هو الذي يقرر متى سيأتي وفي أي ساعة؟ وكم سيمكث في فحصه ودقه؟ وإليك تفصيل لشيء من هذه المعاناة، وأهمها بطبيعة الحال سرقة الوقت ثم إرباك واضطراب حياة الأسرى، فهذا الفحص سيسرق في اليوم ما بين ساعة إلى ساعتين من وقت الأسير وليت الأمر يتوقف هنا عند سرقة الوقت لهان الأمر، ولكن الاستفزازات والانتقاصات والإهانات المصاحبة لهذا الفحص، هذه هي المصيبة الكبرى وحتى تعلم صعوبة الأمر فما من يوم يمر على الأسرى إلا وفيه صدامات وافتعال أزمات، السبب هذا الفحص، وغالباً ما يأتي هذا الفحص في الصباح الباكر بعد خروج فورة الصباح مباشرة، وهنا على سبيل النكتة وهي مؤملة ومحزنة أو ما يقال عنه المضحك المبكي فهذا أحد أصحابي الأسرى يفر من فحص الشبابيك، وهمومه إلى الفورة حيث من

هو في الفورة، فلن يعاني ما يعانيه من الدق، لأن الجسم في كل الأحوال سيستفيد من الحركة والمشي، المهم صاحبي هذا كلما خرج في فورة الصباح فراراً من الدق، فلن يأتي الدق إلا وقت الفورة حينما يعود صاحبي فإذا قرر البقاء في الغرفة وعدم الخروج للفورة، فإن الدق له بالمرصاد ذلك أن الأسير في الصباح يجب أن يخرج فورة واحدة لا الفورتين معاً، فحظ صاحبي كلما أراد أن يفر من الدق جاء الدق بعد عودته من الفورة، فيعاقب عقابين عقاب الفورة وعقاب الدق، وهذا المثال أضربه لتوضيح وقت الدق فهو في الصباح الباكر غالباً، وذلك ليقض مضجع أي نائم بعد تعب قيام أو رباط أو سهر على قراءة مطالعة، فهنا سيقض هذا الفحص نوم النائمين ويضيع وقت المستيقظين؟؟ وكيف هذا؟؟ معنى الدق هو أن يأتي السجان ويدق نافذة الغرفة، وفي قانون السجان يحظر على السجان دخول غرفة الأسرى، وفيها أسير واحد في كل شيء، وعن كل أمر فهنا سيتم تفريغ الغرف، وكيف ذلك سيكون ذلك بتفريغ غرفة الجهة اليسرى إلى غرفنا الجهة اليمنى، ثم عندما يتأكدون عدم وجود أي أسير في هذه الغرف المراد فحصها، يتم دخولها تماماً كما قالوا لموسى عليه السلام ﴿لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ [المائدة: ٢٤]، وتجدر الإشارة إلى أن أولى هذه المعاناة هي طريقة تفريغ الغرف، وهي غريبة وعجيبة بحيث سيستمر تفريغ الشباب من جهة إلى الأخرى، وقتاً أقله ثلث ساعة، ففي الغرفة الواحدة عشرة أسرى، ويمنع خروج أكثر من أربعة أسرى خارج الغرفة، وهذا يتطلب أن يخرج من الغرفة الأولى أربعة أسرى، ثم يغلقوا باب الغرفة الأولى، ويتم نقل أربعة آخرين، ثم اثنين آخرين، ثم إلى الغرفة الأخرى، واستحضر معي هنا الشباب الذي يقرأ القرآن، أو بعد الطعام، أو من هو في بيت الخلاء، أو من يغتسل في الحمام، فسيكون هنا انتظار أن يعجل ويسرع وينهي اغتساله بأقصى سرعة، وكأنه في حالة حربية وهذا الأسير الذي كان يغط في نومه فسيقوم منزعجاً إلى بيت الخلاء، أو إلى

غسل وجهه، وثالث يطوي فراشه والنتيجة عدم استقرار أو راحة، وانزعاج وضيق لا يتوقف، وهذه الحال الاستنفارية كلها والفحص لم يبدأ بعد، فقط هذه مرحلة تفريغ جهة واحدة من القسم، ولم يبدأ بعد فحصها فماذا يحدث في الفحص؟؟

**سلب ونهب:**

ها وقد بدأ وقت الفحص حيث يظن الظان أن يفحص الشباك بآلته الضخمة خلال دقيقة ثم يذهب، كلا فهنا دور الاستفزازات وافتعال الإشكاليات وقد يتساءل سائل؟ وأين الاحتكاك مع هذا السجان، وقد صار كل فريق إلى حيث لا يلتقي بالآخر، فالغرفة فارغة والسجان وحده فيها فأين الشكوى والتألم؟! أما علمت أخي أن كل ما يملكه الأسير من الدنيا الفانية هو هذه الأغراض والأمتعة البسيطة المتواضعة، في الغرفة الصغيرة هذه أمتعة وأغراض عشرة أسرى، في غرفتهم الضيقة التي بها سيصلون، وبها سيأكلون، وبها سيتحركون، هنا يأتي دور التخريب والسلب والنهب وافتعال العقوبات لأتفه الأسباب، فإن هذا الذي تظنه أيها الأسير قد ملكته من الدنيا، هو ليس ملكك فأنت في سجني، وأنا هنا الرب، وأنا هنا الملك وأنا هنا السيد فيا أخي القارئ باختصار هذا الفحص لا يتعلق بالشباك فهذا مجرد مدخل وإلا فكل شيء في الغرفة تحت عبث أيديهم وقذارة أرجلهم تماماً كالكلاب المسعورة، حينما تدخل حديقة أنيقة زاهرة تغرد فيها الطيور وتتجول فيها الدواجن، هنا سيعبث هؤلاء يهود لوقت طويل في الغرفة في كل شيء، وحتى تتخيل المشهد فإن الأسير عندما يغتسل فأين سينشر ملابسه، وخاصة لباسه الداخلي، وأين سيضع منشفته المبللة بماء الاغتسال، وأين سينشف ويجفف البشكير الذي يمسح به ماء وضوء كل صلاة، أو غسل يدين، وهنا لكل أسير ملابسه ولباسه الخاص، فكل أسير له منشفة خاصة، وطبيعة الأسرى أن الاغتسال يكون مرة على الأقل في اليوم حتى يبقى الأسير يحافظ على نفسه وصحته في غرفة ضيقة أين سينشر هذه الملابس والمناشف، ولا شمس

تدخل الغرفة، ولا هواء يجفف المبلل، فما يكون من الأسير بعد جهد جهيد، وتعب شديد، إلا أن يصنع حبلاً صغيراً يقطعه من ملابسه؟؟، أيقف بنفسه حتى تجف عليه؟ ماذا سيفعل خاصة في وقت الشتاء والبرد القارس، والذي لا تجف فيه أصلاً الملابس هنا، سيكون الرد من الضابط ببرودة أعصاب تخفي وراءها الكثير من المكر والدهاء، هذا ممنوع الحبل ممنوع، وأعود وأكرر، إن هذا الفعل سيحتمل لو كان الأمر لشهر أو شهرين، ولكنه لسنوات بل عشرات السنوات حتى تفهم العقلية الصهيونية في الممنوع والمسموح به في السجن، فعندهم قائمة محدودة مما يسمح به للأسير وغير ذلك ممنوع، فالحبل ليس موجوداً عندهم في المسموحات، وعليه سيكون كل شيء ممنوع، كرتونة صغيرة وسيسحبها لأنها ممنوعة، كيس نايلون سيسحبه لأنه ممنوع، سلك صغير سيسحبه لأنه ممنوع، برغي صغير سيأخذه لأنه ممنوع، وهكذا كلما وجد الأسير يحتفظ بأي شيء سيقوم بسحبه، هذا الأمر ممنوع بل ويستلذ بهذا المنع وهذا الحرمان، وستجد في كل سطر في هذا الدفتر أن آية القرآن ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣] ستجدها في كل صفحة، وفي كل سطر، وفي كل حرف، ثم ينظر سجان آخر في زاوية من زوايا الغرفة فيجد طرقاً بسيطاً في الجدار، أو خربشة قلم، أو أي شيء يلفت انتباهه فيصدر قراره قائلاً، الغرفة معاقبة كذا وكذا لماذا لأنه حسب زعمه فإن هذه محاولة لصنع مخبأ جوال في الجدار، ونظام العقوبات عند السجان، هو استنزاف لأموال الأسرى، حتى أن حياة الأسرى أكلهم وشربهم، كهرباءهم، حراسة الجنود، عمل الضباط، كل هذا يتقاضون راتبه من أموال الأسرى، والأسير لا حول له ولا قوة إلا بالله، خرق صغير في الغرفة يتم بسببه معاقبة الغرفة، كل أسير ألف شيكل بمعنى ألفا دينار في عقوبة واحدة، وفي عقاب واحد شمل السجن بأكمله، كانت حصيلته ٥٠ ألف دينار لأتفه الأسباب، لأن الأسرى قد اجتمعوا وطرقوا الأبواب بأرجلهم وأيديهم، والأبواب

لم تهتز ولن تهتز، ولم تتحرك ولن تتحرك، هذه الأموال يدخلها الأسرى ليغذوا أجسامهم ويشتروا من الكنتينة الأغراض غالية السعر أصلاً، فهنا تأتي هذه العقوبات لتحرم الأسرى حتى من تغذية جسومهم، ويأخذ اللقمة من بين فكي فمك، ما هو إلا الحقد والحسد والبغض والخسة عند يهود، في فحص الشبابيك يجد الضابط سلكاً نحاسياً رفيعاً دقيقاً صغيراً، يحاول الأسير من خلاله أن يقوى بث الراديو ليسمع أي إذاعة عربية، لا عبرية، يعرف الأسرى أن ذلك ممنوع حسب شريعة الغاب، ولكن يتم التحايل وعند فحص الشبابيك يأخذ الأسرى احتياطاتهم ويأخذون معهم هذه الأسلاك ولكن أحياناً من شدة العجلة ينسى بعض الأسرى أغراضهم، فهنا سيكون ثمن هذه السلك الصغير عقوبة ٣٠٠ شيكل، الخزانة الخشبية الصغيرة المهترئة من السنين وقد أكلها السوس وإذا بها رطوبة الغرفة والمياه المتساقطة من أواني الطعام، جاء السجان وضربها بعصاه فوقعت على الأرض فما ذنب الأسير بهذا الفعل، سيعاقب لأنه السبب حسب قانون الغاب، وهنا سيكون عقابان الأول عقوبة ألف شيكل والثاني عليك الانتظار لمدة شهرين أو ثلاثة حتى يأتيك البديل، لأن ميزانية السجان لا تكفي فتبقى الأواني على الأرض تضايق الأسرى، ولا مكان لها وأصلاً هذه الخزانة لا تكلف في غزة ٢٠ شيكلاً فقط، حتى ينتظر الميزانية، وعلى هذه الأمثلة عليك أخي القارئ أن تقيس كل شيء فكثيرة هي الأغراض التي هي حق للأسرى يحرمون منها تحت دواعي الميزانية.

**اغتصاب:**

ما سبق هو سلب ونهب للأسرى تحت ذرائع في ظاهرها قانوني بأي بشكل غير مباشر، ولكن هناك السرقة المباشرة، بل الغصب وليس السرقة، لأن السرقة في تخفي، أما الغصب وهو بقوة وقهر، فأي أداة كهربائية فيها عطل أو تصليح ظاهر ستتم مصادرتها، وتلقى أمام الأسرى في سلة المهملات نكاية وقهراً لأموالهم،

فالبلاطة التي تستخدم لطهي الطعام إذا وجد بها في قالبها لفاف أو سلك متعري، فسيتم سحبها وكذلك الأمر في أي أمر في قانونهم مسموح بحدود، فإن وجدوا في غرف الأسرى زيادة سيتم سحبها وإلقاؤها في النفاية أمام عينيك، فكم من الملابس والأغراض والأواني وغيرها ألقيت في القمامة، والأسرى لا حول لهم ولا قوة، في إحدى مرات فحص الشبابيك (وبالمناسبة تكررت عشرات المرات)، تم العثور على ورقة فيها خرابيش أو خطوط فقالوا هذه محاولة هرب وهذه هي الخطة، وعزلوا الأسير لشهور في زنازين انفرادية، ولا تستغرب إذا قلت لك أن المسطرة مثلاً ممنوعة منذ سنوات لماذا؟؟ لأنه في إحدى مرات الفحص كان شاب قد قاس عليها طوله، حيث تعرّف بها حدود مقاسه على الجدار، ولا تستغرب إذا قلت لك: إن القلم الجاف الأزرق ممنوع لسنوات لماذا؟؟ لأنه في إحدى المرات قد استخدم هذا الحبر في تغطية مخبأ لجوال، وباختصار سينقلب هذا الفحص في أحيان كثيرة ليكون تفتيش على كل شيء، وحرب السكاكين في حد ذاتها مشكلة، وأي مشكلة فالسكين المسموح به عند السجان لتقطيع البطاطا أو غيرها من الخضروات، هو سكين بلاستيك لا يجرح الإنسان، ولا يخدش الكف الناعمة، فكيف سيقطع بها حبة خضرة، هنا يقوم الشباب باستغلال بعض المعلبات فيصنعون منها ما يمكن به قطع هذه الخضروات، وهي أداة غير نظيفة وستصدأ بعد أيام، ولكن هذا السجان في هذا الفحص سينغص على الأسرى، وسيقوم بالبحث عنها في كل مكان حتى يعثر عليها ويسحبها، وباختصار كذلك فإن قانون السجان ألا يخرج من الفحص إلا وقد سلب أو اغتصب شيئاً يتحسر عليه الأسرى وهم ينظرون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كل ذلك.. بينما الأسرى في الجهة الأخرى ينتظرون هذا الدور، وسيكون تجمعهم هنا وتكدسهم فوق بعضهم مانعاً من أي استفادة، يكثر بينهم التذمر والتضجر من هذه الحال، وسينادي بعضهم بصوت عالٍ على السجان لينهي هذه

المهزلة، فما يكون الرد إلا مزيداً من تجاهل وطغيان، وقد عادت الجهة اليمنى إلى غرفتها ومعاً أفراد الجهة اليسرى، وقد فقدوا استقرارهم ونومهم وهدوءهم وصار الكل ينتظر خبراً سيئاً من الجهة الأخرى، وأن الأسرى كالجسد الواحد، فالهم الذي يصيب أسيراً واحداً سيصيب الأسرى جميعهم، فيزداد الضيق ويقول الأسرى لا حل ولا علاج إلا بالإفراج، اللهم عجل لنا بالفرج.

**زيارات الغرف:**

استطاع الأسرى بعزيمتهم القوية وإضرابهم المفتوح عن الطعام تحقيق إنجاز هام، يخفف شيئاً من الآمهم ألا وهو نظام زيارة الغرف داخل القسم الواحد، بحيث يسمح للأسرى زيارة بعضهم البعض في اليوم مرتين وكل مرة يقدر وقتها بـ **٤٥** دقيقة، وهذه الزيارات تستغل لعقد جلسات ثقافية وتربوية، أو محاضرات تعليمية أو مشاركة الأخوة لبعضهم البعض في الأفراح والأتراح، أو زيارات أخوية، أو ترفيهية، أو مسابقات، وما إلى ذلك من النشاطات التي تفيد وتروح وتخفف شيئاً من آلام الأسرى، وهذه ليست منه؛ من السجان، وإنما هي حق انتزع بالدم والألم، ليزرع من خلال هذه الزيارات أمل المستقبل، ولكن لا يوجد في السجن شيء حلو من غير ملوحة، أو عذب من غير مرارة، وكل شيء عن عمد وعن قصد، كم اتفقنا وخلق يهود المسطر في القرآن يلاحقهم هنا وهو قوله تعالى ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]، وعلى ذلك سمح صاغراً بهذه الزيارات ولكن أبقى لديه الباب مفتوحاً، ليتدخل في التفاصيل ويعلن أنك في السجن، وأنك لست حراً وأن السجن مملكة أبيه الخاصة، وانظر كيف ستبدأ حقارة هذا السجان أولاً تحت مسمى القوانين، فإنه لن يسمح بزيارة أكثر من **٤** أسرى للغرفة التي سكانها **٨** أسرى، كما لا يسمح بأكثر من **٦** أسرى للغرف التي يسكنها **١٠** أسرى، وثم هذا الوقت وهو **٤٥** دقيقة سيأكل منه على الأقل ربع ساعة أو ثلث ساعة، وذلك حسب النظام الذي ذكرناه في إخراج

الأسرى من غرفهم، ونحن نتكلم عن فحص الشبابيك فيمنع خروج أكثر من ٤ أسرى وهؤلاء الأربعة قد يتوجه كل أسير إلى غرفة فيضطر لفتح ٤ غرف على التوالي، قبل أن يخرج أحد غيرهم وفي هذا النظام المرهق فقط ليشوش على الأسرى ويضيع عليهم جلساتهم ومحاضراتهم، وإلا فإنه يستطيع خلال خمس دقائق على الأكثر، ويكون كل أسير في الغرفة التي يريدها، ثم عندما يكون الأسرى في غرفهم وقت الزيارة سيمر ضابط القسم ليتأكد من العدد في كل غرفة، وإذا كان هناك في إحدى الغرف أسير زائد عن العدد المسموح، فستعاقب الغرفة شهراً كاملاً ستمنع خلال هذا الشهر من أن تزور أو تزار رغم الحاجة الماسة لزيارة هذا العدد، وهذا بالطبع سيعطل نظام التعليم والذي يتطلب فيه تواجد عدد مناسب من المحاضر الذي لا يتوفر في كل الغرف، وهذا أهم سبب لهذه القيود، وإذا استمر الأسرى وتغلبوا وتكيفوا مع هذا الواقع المضيق، فإن السجان لا يعجبه ذلك بل يغيظه أن يرى الشباب وقد تجمعوا في منظر رائع، وكعقد متناسق اللآلئ، وكأن على رؤوسهم الطير، وسيضغط الشباب على أنفسهم كثيراً ويصيبهم من الحرج والمشقة في سبيل إبقاء جذوة التعليم متقدة، ولكن السجان إذا رأى الإصرار على التعليم فسيقوم بنقل المحاضر إلى قسم آخر آو سجن آخر والدواعي أمنية، ومن هنا رأينا السجان الذي يسعى لفرض سياسة الجهل ومحاربة التعليم يقوم السجان بنقل هؤلاء، إما إلى العزل أو إلى سجون خاصة شبيهة بالعزل، بحيث يعزلهم عن معظم الأسرى أو يرهقهم بكثرة التنقلات من سجن إلى آخر، والأسير سيكون في موضع التسليم عد نقل الأستاذ، لأن السجان أوصل الأسرى إلى معادلة مفادها، ألا نقاش من الأسرى إذا جاء اسم أحدهم نقلاً، والسبب أنه في حال الاعتراض ستكون العواقب وخيمة، وسيتم نقل عدد أكبر فما يكون من الشباب إلا التسليم والحوقلة والاسترجاع، ثم إن السجان سيراقب هذه الزيارات، ويعلن شعاره وهو التدخل، ففي هذه الزيارة

بعض الشباب ينشد نشيد فرحة لأحد الأسرى الذين سيفرج عنهم قريباً، أو الذي نجح ابنه في المدرسة، أو تزوجت بنته أو ابنه، فهنا سيفرح له الأسرى وبعضهم قد ينشد نشيد فرح، أو يضرب على شيء ليكون ما يشبه الدف، وهنا يتدخل السجان ليمنع ذلك، وفقط ما يجعله يقدم على ذلك التنغيص والتنكيد على الأسرى، وأحياناً يقف ليسمع ثم يدعي أن الجلسة فيها تحريض، فيعاقب المحاضر أو يدعي أنه قد سب وشتم يهود، وهذا الهوس يلاحقهم حتى في صلاتنا، فقد تعودنا في صلاتنا أن ندعو على يهود، وهنا إذا سمع دعاء أحد المصلين عليهم فسيقوم بعقابه، لا يحتاج الأمر الى شهادة شهود أو نقاش أو توضيح، فقط يقرر السجان ولا يسمح أن يناقشه أحد ونفس الأمر ينطبق عل خطبة الجمعة، والتي حسب قانونهم يجب أن يقدم اسم الخطيب للسجان ليقرر إذا ما يسمح للخطيب أن يخطب، أو لا، وكثيراً لن يجد الأسرى أصلاً خطيباً لأن الأغلب لا يسمح له بالخطابة، وهذا الهوس المفتعل أحياناً حتى على آيات القرآن فهذا أحد الخطباء يتلو في خطبة الجمعة آية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩] فهنا تتجمع رجالات السجان، ويستدعون الخطيب ويبلغونه بأنه ممنوع من الخطابة، وعقوبته في الزنازين لمدة أسبوع كامل، لماذا؟؟ لأنه حسب زعمهم دعا إلى العمليات الاستشهادية في خطبته، وحاول ممثل السجن بكل طريق أن يشرح لهم ويبين أن هذه آية في القرآن، ولكن كل ذلك ذهب من غير جدوى وهذا استطراد استدعاه الموقف لتروا كيف هي هذه العقلية التي تتحرش، وتتلمس افتعال الأزمات، وتضخمها وتكبرها وتحملها ما لا يحتمل، ومشاكل الزيارات كثيرة وقيودها أكثر، فهذه الزيارات في وقت الأعياد ممنوعة بمعنى أنها ستكون ممنوعة كل سبت وكل جمعة، إضافة إلى باقي الأعياد، وأعياد يهود في السنة الواحدة يبلغ عددها ١٤٤ يوماً، وكل هذه الأيام ليس فيها زيارات غرف، وفي الأيام الأخرى،

مرة ستدوي صفارات الإنذار، ومرة سيغلق السجن، ومرة سيكون يوم إضراب، الحصيلة النهائية سيكون أكثر من ٥٠ ٪ من الأيام معطلة، وهكذا هو فعل يهود في كل شيء، وأنت في السجن ولست حراً، فأين الأحرار من هذا الهوان؟؟

**إعداد الطعام:**

يتبرع في الغالب أحد الأسرى لإعداد الطعام، مما يتوفر في الغرفة، والذي هو في غالب الأحيان فاقد للمعايير الصحية، والطعام في السجون وجبتان فقط فطور وعشاء، وليس هناك وجبة غداء ووجبة الفطور، غالباً ما تكون بعد الساعة الثامنة إلى الساعة العاشرة، وفطور الأسرى هو هو في كل السجون، في كل السنين مهما طالت، فول وحمص، لكن بدون مبالغة طبق فول واحد في أرض العافية يعادل مائة طبق فول في السجن، حيث قشرة الفول عندنا قوية، بعض الشباب يستمر في طبخها بما لا يقل عن أربع ساعات، وستبقى كما هي، أما الحمص فهو من حمص المعلبات، وأحياناً يكون ملعقة ططلي لكل أسير، وغالب طعام الأسرى يعتمد على المعلبات، والتي تعتمد في حفظها على مواد حافظة، حتماً هي مضرة للجسم والصحة كما أفاد الأطباء وخبراء التغذية، لا سيما إذا لم يكن هناك غيرها، واستمر الحال لسنين، وهذا نلمسه في حياتنا حيث يتعب الجسد من بذل أدنى جهد ونجد الفرق واضحاً بين الأسير الجديد الذي تغذى على طعام صحي خارج السجن، وبين الأسير القديم الذي عاش على المعلبات، فالأول قوي البنية قليل الأمراض، كثير الجهد والعطاء، فيما الثاني هزيل البنية كثير الأمراض، قليل العطاء ضعيف الأداء، وطاقة ذو التغذية السليمة تفوق طاقة وقوة ذو تغذية المعلبات، على الأقل عشر مرات ويبرز الفرق بوضوح أيام الإضرابات، فالأسير القديم سرعان ما تدب به الأمراض والأوجاع في الإضراب، بينما طاقة وصمود وصحة جسم الأسير الجديد ستكون أقوى، والأمراض أقل رغم الخبرة الموجودة عند الأسير القديم، ويستمر إعداد الطعام في السجن في

كل غرفة إلى ما يقرب ساعتين هذا في الفطور، والسبب في ذلك ضعف مورد الطهي، فنحن نطبخ الأكل على قرص، هذا القرص يستخدم في أرض العافية للتدفئة، بينما في السجن هو لطهي الطعام، وكل شيء يحتاج في أرض العافية دقيقة واحدة على الغاز والنار، فإنه مقابل ذلك سيمكث عشر دقائق في السجن فالشاي الذي يستغرق خمس دقائق على النار سيستغرق نصف ساعة على قرص السجن، وهلم جراً، وهذه معاناة شديدة للمشرف على الطعام والذي سيجد في أحيان كثيرة صعوبة بالغة في توفير شباب يستطيعون الصبر على هذه الخدمة، والأصل أن يأتي الطعام للأسرى حسب أعراف كل السجون من السجان، لكن هذا الطعام الذي من السجان يزهد فيه الأسرى لعدم نظافته، وعدم معرفة نظافة صانعه، وبالإضافة إلى فقدانه أي مرغبات أو مشهيات، فلا رائحة ولا طعم ولا حتى معرفة طبيعة الطبيخ، فلا يطمئن الأسرى إلى هذا الطعام لأنه من صنع جنائي، ومدني، ومجرم صهيوني، لم يأمنه يهود على دولتهم فوضعوه في السجن، فكيف سيأمنه الأسرى ورغم ذلك يحاول كثير من الأسرى صناعة جو من خلال هذه الوجبات، فيصنعون من العدم أشهى المأكولات البسيطة، في عرف الأسرى مما يدخل السرور على القلب، لكن على مستوى السجن من غير مقارنة مع فطور الأم أو الزوجة، في أحيان متفرقة قد يتبرع ويجتهد بعض الأسرى بصناعة حلوى، وهي في غلبها تصنع من خبز تم تنشيفه وبرشه، فليس في السجن طحين ويكون، مع هذا الخبز المجفف المبروش شيئاً من السكر وجوز الهند، وهذه قد تستغرق ساعات ولكن الأسرى يطربون لها، وهي خيرٌ من العدم، وهي محاولات حثيثة وجادة من بعض الشباب لصنع الفرحة والبسمة بين الأسرى.

**ثم تكون صلاة الظهر وعدد الظهيرة:**

وعادة الأسرى في السجن عند الصلوات الجهوزية التامة قبل الأذان، ولا يكاد يتأخر عن أذان الصلاة متوضئ إلا كان كمن يفعل ما هو غريب عن عادة الأسرى،

وصلاة الأسرى في السجن بشكل عام هي متصلة بالأذان مباشرة، ففي الصلوات التي تفصل بين الأذان والإقامة سنة تكون ركعتي السنة، هم الفصل ولا يتسع لغيرهما، وصلاة السنة القبلية في صلاة الظهر هي ركعتين لا أربع، وباقي الصلوات لا يوجد فاصل بين الأذان والإقامة سوى دعاء الوسيلة، الذي لا يستغرق نصف دقيقة، والمتأخر عن تكبيرة الإحرام في السجن يوجه له اللوم والعتاب اجتماعياً، وإن تكرر سيتم التنويه إليه رسمياً وتنظيمياً، لئلا يتكرر هذا الفعل الغريب، لذلك لا تكاد تجد بين أسرى حماس وإن كان في السجن من مآثر جميلة فهي صلاة الجماعة، التي لا يتخلف عنها إلا شاذ، ومن ثم بعد انتهاء صلاة الفريضة والسنة البعدية، هنا غالباً ما يكون الأسرى بانتظار عدد الظهيرة فلا مجال للنوم، هنا حيث لن تعلم بالضبط متى سيكون العدد المؤكد أنه بعد الصلاة ممكن بدقيقة، وممكن بنصف ساعة، ولكن لن يستطيع أسير أن يستلذ بنوم قيلولة، لأن العدد بما وصفناه في الصباح سيتكرر هنا ظهراً، وهنا أحب أن أذكر قصه حصلت مع أحد الأسرى على العدد لنا، كيف يكون عقابهم واستفزازهم للأسرى، في أي أمر يلاحظونه حيث الشباب في انتظار العدد، وبينما هم كذلك إذ جاء العدد فجأة، ووقف السجان على باب الغرفة، وهو الذي يسبق العدد بنصف دقيقة، وكان أحد الأسرى في بيت الخلاء فنادى عليه أحد إخوانه الأسرى يستعجله، فقال يا فلان اليهود على الباب فما كان من هذا اليهود إلا أن استفز، واستفز فما الذي استفزه واستفزه؟ استفزته كلمة يهودي، حيث ادعى أن الأسير قصد إهانته واستحقاره بهذا اللفظ وهو يهودي، أصلي فلما يستفز من سماع أسير يقول لأخيه الأسير هذا يهودي، وهو أصلاً لم يتصور أن هذا اليهود سيسمعها، فما كان من ضابط العدد إلا أن سحب هذا الشاب إلى الزنازين، وعوقب أسبوع عزل عن الأسرى، ومنع من زيارات الغرف لمدة أسبوعين، ومن زيارة ذويه وعقوبة مالية مقدارها ٣٠٠ شيكل، كل ذلك لأن الأسير

الجديد قال كلمة لا يلقى لها بالاً، وهي ما تزال الوصف الذي يعلمه عن هذا السجان وهو يهودي، لا غير فنحن المسلمين نفرح لو قال أحدهم يا مسلم لأننا نفتخر بذلك لكن اليهودي يعلم أنها مسبة له بين البشرية جمعاء، أن يكون يهودياً لذلك هو يرفض هذا الوصف وحقيقته، ونحن نستذكر في إحدى المرات ما عليه هذه الجبلة من غرائب العادات، وقبيح المنكرات، والأفعال والنفسيات، قلنا لن نجد لهم كلمة أفضل من وصفهم من كلمة «يهود»، فتحتها التاريخ النكر والوصف القبيح، وكل شيء مشين، المهم هنا أنت في سجن ولست حراً، ولن تستقر أو تنعم بهدوء، فهذا العدد جاء ليحرم الأسير من القيلولة، ورب سائل، أو ليس هناك قيلولة بعد العدد، هنا وقت وافر، فنقول: سنذكرك بالشعار أنت هنا في السجن، لتبقى يقظان، وقلقان، وتعبان، وزهقان، وكل ما هو على وزن فعلان، مما يدل على الاضطراب وعدم الاستقرار، حيث لن تهنأ بقيلولة، أما علمت بعد العدد بنصف ساعة تقريباً أو على الأكثر ٤٥ دقيقة سيكون موعد دق الرؤوس، ودق الاستقرار، ودق الهدوء، ودق الراحة، على نفس الطريقة التي ذكرناها في الصباح، ثم بعدها يكون موعد خروج الفورات، وزيارات الغرف الثانية، وصلاة العصر مما يجعل يوم الأسير في حركة لا تتوقف، واضطراب لا يسكن، واستحضر معي أخي القارئ استفزازات العدد مع استفزازات الدق، التي لا تتوقف ولن يمر الدق والفحص دون أذىً نفسي، يطال شريحة كبيرة نغصت على الأسرى يومهم ونهارهم، والتي قد تنجر في أي لحظة إلى حرب وغاز وضرب وعقاب من قبل سجان قاهر يستهدف أسير مقهور.

**عدد المساء إلى نهاية اليوم [وجبة العشاء]:**

وفي المساء ستكون وجبة الطعام الرئيسية، وهي العشاء، وهي عادة ما تكون في الشتاء بعد المغرب، وفي الصيف قبل المغرب، وهذه الوجبة هي المكلفة وهي الرئيسية، وهي تعادل وجبة الغداء في أرض العافية والأعداد لهذه الوجبة سيختلف

من نوع طعام لآخر، ولا أبالغ إذا قلت أن بعض هذه الوجبات يستمر المشرف في الغرفة على الطعام في إعدادها ما لا يقل عن ست ساعات، ولعل من يشرف على طعام الشباب هو أشد من يتعب في الغرفة، في خدمة إخوانه بما يقدر بمعدل وسط على الأقل ساعتين يومياً، فقط لوجبة العشاء وبالطبخ، فأنت سجين ولست حراً، ويجب أن تعاني في كل شيء حتى في إعداد الطعام، فهناك معاناة فأولاً كما ذكرنا في الفطور، في آلة إنضاج الطعام، كذلك في آلة القطع وعدم توفرها والحرمان من كل المساعدات في الطبخ، فيضطر الأسرى لاستخدام بدائل مرهقة، وغير ذلك لن يبتعد عنك السجان، ويجب أن يتدخل في كل شيء، بل يستخدم القوانين ويستخدم سلطاته في كيفية ارتباط الأسير بالسجان، فلا يستغني الأسير عن السجان، وينادي عليه المرة تلو الأخرى، والسجان يتغافل ويتغافل حتى يبرز حاجة الأسير إليه أكثر وأكثر، ولتوضيح ذلك فإن الكهرباء التي يسمح بها للأسرى يتم التحكم بها من عند السجان، وهي ضمن حدود ضيقة لا تتعداها، فالكهرباء التي تصل الغرفة لن تشغل أكثر من قرص واحد، وفي كل غرفة قد يكون هناك قرص آخر أو تحكم بالماء (وهو الذي يتم به غلي الماء على الكهرباء وهنا يمنع استخدام هذين الأمرين معاً، وإلا فصلت الكهرباء من العداد الذي يتحكم فيه السجان، وهذا يكثر أحياناً كذلك خاصة في رمضان حيث سيكون كل القسم يستعد لوجبة الإفطار، ويكثر الضغط على الكهرباء وما هو بضغط، ولكن السجان هو الذي قيد دخول الكهرباء، بحيث إذا تم تجاوزها فإن الأمان سيفصل، وهنا ستتكرر حالات فصل الكهرباء من سيعيد تشغيل الكهرباء إنه السجان، وهنا ينادي الأسرى على السجان الذي سيتغافل ويتغافل وعندما يتواضع ويلبي النداء سيتأخر عن رفع الأمان، وسيدعي في أحايين كثيرة، أنه لن يستطيع حتى يحضر الضابط، والمشكلة الكبرى أن الأمان في بعض الأوقات سيفصل عدة مرات، وهنا سيكون تعجرف يتبعه تعجرف، وهذا التأخر في كل مرة

قد يصل أحياناً إلى نصف ساعة، ومعنى ذلك أن صائم رمضان سيكون إفطاره بعد صلاة التراويح، والأكل قد فسد إعداده إذ كلما كاد ينضج قطعت الكهرباء، فلا تنتهي في إعداد الطعام ولا تنتهي عند تذوقه، وستبقى تستجدي السجان ليرفع لك الكهرباء، ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل

**عدد المساء:**

والعدد في المساء مع ما فيه من مشابهة لعدد الصباح، والظهيرة، في أنواع الاستفزاز لكن هنا ستتذكر الاستفزازات أكثر، إضافة إلى معاناة الصباح والظهيرة، فمساحة الانتظار ستطول، حيث البداية للعدد تبدأ الساعة السابعة مساءً، ويستمر هذا الانتظار أحياناً إلى الساعة التاسعة، أي ما يقارب ساعتين والأسير يبقى في انتظار واضطراب وعدم استقرار، وحتى تتخيل كيف سيكون حال الأسير وهو ينتظر دخول بيت الخلاء لأنه ربما يأتي العدد، وهو في بيت الخلاء، فيكون في ذلك إحراج كبير، حيث سيضطر لأن يقطع، ثم التشخيص، حيث يقف الضابط ويقول بصوت مرتفع (عدد) أو (سفيرا)، ويكون قد تقدم مساعدة من داخل الغرفة، وبعدما ينتهى من العدد، سيبدأ بالمناداة على الأسرى أسيراً أسيراً، وعلى الأسير أن يجيب باسم العائلة إن ناداه باسمه، أو يجيب باسمه إن ناداه باسم العائلة، فيقول الضابط: خالد، وأنا أجيب السيلاوي، وهذا الأسلوب له ما بعده، فليس القصد هو التأكد من هوية الأسرى، وإنما هي فرصة السجان لاستفزاز الأسرى وانتقال الأزمات، وعلى سبيل المثال ينادي الضابط على اسم أسير، فيجيب باسم العائلة وهنا ربما الأسير ينتظر دخول بيت الخلاء، فيدخل ليقضي حاجته وهنا ينادي الضابط مرة ثانية على نفس اسم الأسير، فيقول له الأسرى ناديته وأجابك، وهنا لو جاءت كل الدنيا لتقنع هذا السجان فلن يقتنع حتى يخرج الأسير المغلوب على أمره من بيت الخلاء، ويعاقب على جرم لم يرتكبه، وإنما افتعله السجان ليسود التوتر في القسم بأكمله، لاحول ولا قوة الا بالله.

وحتى في المنام:

وبعد انتهاء عدد المساء تغلق الأبواب بالأقفال الثلاثة، ولا يكون أحد من الأسرى خارج الغرف، ويبدأ رباط الشباب وحراستهم واحداً تلو الآخر، احترازاً لأي طارئ يطرأ من هجوم سجان مباغت أو تحركات مراقبة من السجان، مع شيء من السهر والضحك بعد العشاء، أو قصص تسلية في الحياة أو من السجن، وقد ينشغل بعض الأسرى ببرنامجه الخاص، أو متابعه نشرة، فكلها إما أخبار تابعة لقنوات العدو الصهيوني، أو قنوات لم تبعد كثيراً عن فلكه، وأقل ما يقال فيها أنها تعادي ما عليه أغلب المسلمين من حب لدينهم ووطنهم.

وإذا جاء وقت النوم فهيهات أن تنام ليلة من غير أن يقض مضجعك هذا الحاقد، فيجب أن يتدخل هذا السجان، وحتى أحياناً ليعلمك كيف تنام، ويُفترص في كل طبيعة بشرية، أن تستجيب لنداء الفطرة وتنسجم مع سكون الليل، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩] وهنا لن أفاجئك بتفتيش في منتصف الليل، أو وقت السحر، وهذا سنتحدث عنه في موضعه في فصل (التفتيشات)، ولكن هنا قمة الاستفزاز تكمن في قانون يهود الذي يطلب من سجانيه، المرور كل نصف ساعة على غرف الأسرى والتأكد من عدد الأسرى والتأكد من أنه لم يفر أسير، والتأكد من وجه الأسير، فلعله قد تبدل بين عشية وضحاها، والأدهى إذا أيقظ هذا السجان الأسرى بحجة أنه سيتأكد من سلامة الأسرى، وأنه لم يمت أي أسير، أرأيت الحق الذي يراد به الباطل، هو هنا بعينه، الحرص الذي يراد منه القهر والإمعان في الذل، وهنا إذا جاء ليعد الأسرى في وسط الليل، وكان أحد الأسرى في بيت الخلاء، فسينادي السجان بأعلى صوته، هيا هيا شباب أين التاسع أو العاشر أو..، وأنه متأكد أنه في بيت الخلاء، وسيبقى هذا السجان واقفاً على باب الغرفة، وهو يشعل الأضواء وينتظر بشكل استفزازي

خروج الأسير من بيت الخلاء، العبرة هنا هي استفزاز الأسرى، وهنا مما يستفز أن يمر السجان ومعه أسماء وصور الأسرى، وبعد منتصف الليل ينادي عليهم بالغرفة، ويوقظهم من نومهم ليتأكد من كل أسير شخصياً، وأحيانا يطلب من الأسير النائم التوجه إلى الجهة اليسرى، أو اليمين في نومه والحجة أنه يريد أن يرى وجهه، أو يطلب من الأسير الذي قد غطى كامل جسده أن يظهر كامل جسده، وبالطبع لن تمر هذه الأفاعيل مرور الكرام، وإنما سيحصل ما يشبه الثورة ويضج القسم ويرتفع التحدي، وهذا كل ما يريده السجان هو في هذه اللحظة، ويأتي ضابط السجن ليتأسف، وأن هذا السجان جديد، فإن كان جديد، لماذا تتكرر هذه الحوادث ما بين الفينة والأخرى؟؟ لو لم تكن تعاليم تنفذ لما تكررت هي هي، أرجو وآمل أن تكون قد وضحت هذه الصورة، وأذكر أن لكل قانون آلاف قصص المعاناة التي لن نستطيع ذكرها خوف الملل، ولكن ما أذكره لترى كيف يُفعل بالأسرى، تدخل في كل شؤون حياتهم، حرمانهم من النوم والراحة والاستقرار والأمن، توتر على مدار الساعة بكل الدقيقة واللحظة، مع طلوع شمس اليوم وحتى طلوع شمس اليوم الآخر، فهل بعد ذلك سنتصور أن هناك أموراً عفوية وتصرفات طبيعية؟؟ بالتأكيد سنقول لا وألف لا، ثم ستسأل معنا الله أن يهدم كل سجون الأرض من شدة ما رأينا من هذه السجون، ونسأل الله الفرج القريب، اللهم آمين.

**تحدي الأسير:**

ويجب أن ننوه هنا إلى هذه الاستفزازات والاستهدافات، والاعتداءات، يواجهها ويجابهها الأسرى بتحدي كبير، وسنذكر هنا شيئاً من هذه التحديات التي يتخذها الأسرى، وهي هامة جداً، ففي مقابل الصورة التي وضعناها من الجمود والهمود، والسكون والملل، وطوال مدة الصراع والتكرار العادة اليومية، فإن هناك برامج وخطوات وآليات يقوم بها الأسرى لتنظيم شؤون حياتهم، ومكافحة ومحاربة كيد سجانهم، فالحياة

للأسير داخل السجون أياً كانت توجهاته وأياً كان فصيله تسير ضمن خطة ومنهج، هو تنافسي بين الفصائل، غير أنه من الإنصاف، وغيرها يتأخر عنها كثيراً وهناك لائحة خاصة بكل فصيل أو حزب أو حركة أو جماعة، وهناك لائحة وطنية توافقت عليها الفصائل والأحزاب الوطنية والإسلامية، وهذه اللوائح يتم تطويرها كلما استدعى الأمر وتطلب الواقع، وهناك لائحة لحركة حماس على مستوى السجون، وهناك لوائح خاصة لكل سجين حسب ظروفه وأحواله لا تتعارض مع اللائحة العامة وتنضبط بضوابطها، وأحياناً يتم تجديد هذه اللوائح حسب المتغيرات على الأرض، وأحياناً مع كل دورة تنظيمية والتي في الغالب تتراوح ما بين ١٤ شهراً إلى ١٦ شهراً، حسب لائحة السجن الخاصة، وهذه اللائحة هي عبارة عن الحقوق الخاصة بكل أسير والواجبات الملقاة على عاتقه، داخل الفصيل الواحد أو داخل الصف الوطني، فلائحة حماس هي أشدها تطوراً وتوسعاً وسباقاً مع غيرها، وكانت لها إبداعات حاولت الفصائل الأخرى تقليدها، فبعضها نجح بنسبة معينة والبعض فشل.

**النظام الحياتي التنظيمي:**

يسير ضمن آليات وضوابط، ويطلق عليها في السجن اسم (اللائحة الداخلية)، وهدفها الارتقاء بمستوى صمود وتحدي الأسرى، والحفاظ على معنوياتهم وكيانهم من الاختراق وإمدادهم بطاقة فكرية وثقافية عالية، وسأوجز لكم ملخصاً لها على النحو التالي، حيث يوجد ما يقارب عشرة سجون ومعتقلات تحوي بداخلها على الأقل ٥ آلاف أسير وأسيرة في الأوقات المستقرة، وإنما يصل هذا العدد إلى ما يزيد من ١٢ ألف أسير في أجواء التصعيد على الأرض، هذه السجون جميعها يوجد بها أسرى من كل الفصائل الوطنية، فعلى صعيد حركة حماس فإنه يجمعها في كل السجون نظام واحد مع الاحتفاظ بخصوصية كل سجين، يوجد لحماس في السجون قائد واحد يتم اختياره بالانتخابات، والآن رئيس حماس في السجون هو عباس السيد

ويوجد للسجون جميعها هيئة قيادية عليا مكونة من ١٥ عضواً، وهم أعلى قيادة لحماس يتم اختيارهم بالانتخابات أيضاً، وهؤلاء كل منهم يرأس لجنة عامة على مستوى السجون، فمثلاً اللجنة المالية ومنها يتم صرف رواتب لكل السجون بالتساوي بما يتناسب مع العدد الموجود فيها، وتتم تحويلات مالية بين السجون عند تنقلات الأسرى، وكذلك الأمر بخصوص اللجنة الثقافية فإن المستحقات الثقافية الملزمة لكل عضو منضم تحت كنف الحركة، هذه المستحقات الملزمة يجب متابعتها للأسير في أي سجن نزل فيه، وكذلك الأمر في برامج الأسر التربوية، ويندرج تحت هذه اللجنة قسم خاص بالدراسات الأكاديمية، تخصص بكالوريوس بالتاريخ أو دبلوم في تخصص تأهيل الدعاة أو خدمة اجتماعية، بالإضافة إلى الدراسات المدرسية وخاصة الثانوية، وتحصيل الشهادات الرسمية المعتمدة المصدقة من وزارة التربية والتعليم، وكذلك على صعيد اللجنة الأمنية والتي تتابع وتنسق بين السجون والملفات الأمنية المتعلقة بموقع يتم نقلها إلى الموقع والسجون الأخرى، إذا اقتضى الأمر، وكذلك اللجنة الإدارية، فإنه يعمم برنامج إداري عام لكل السجون بمستوىً واحد، والفوارق عادة تكون محدودة ويسيرة، وسنتحدث عن هذه اللجان ضمن حديث عن لجان السجون بشكل مختص يوصل الصورة، من خلال ما سبق أردت إعطاء صورة عن التنسيق الموجود بين السجون في كل الأمور العامة، وتحت إشراف هذه اللجنة العامة في صورة تنفرد بها حماس إيجابياً وتطوراً، ولمحاسبة الهيئة القيادية العليا، ومراقبة أعمالها، فإن هناك مجلس شورى عام على مستوى السجون، وعدد أعضائه ٥١ عضواً، وهذا المجلس هو الذي يختار أعضاء الهيئة القيادية العليا في الانتخابات، هذا الجسم التنظيمي المتناسق داخل السجون ليس بمعزل عما يدور في خارج السجون، وأن الحركة في الخارج على تواصل بطرق خاصة مع رئيس حماس في السجون، والذي بدوره يطلع المعنيين بالأمر من حركته داخل السجون كافة، يطلعهم على كل اتصال أو تطور جديد، ومن الجدير ذكره كذلك فإن لكل سجن ممثله الخاص لكل

الفصائل، ولكل فصيل رئيس يسمى عند حماس الأمين العام، وعند كل الفصائل هذا الرئيس يتم اختياره بالانتخابات، وهناك انتخاب قيادة عامة لكل سجن يطلق عليها عند حماس المكتب التنفيذي، وعند فتح مركزية فتح، وهذا المكتب يشرف عليه أعضاؤه على اللجان العامة داخل السجون، ثم هناك مجلس شورى لمراقبة ومحاسبة المكتب التنفيذي، مجلس الشورى هذه تسمية حماس، أما عند فتح فيسمونها مجلس ثوري، وإليك أهم اللجان الموجودة في السجون والتطرق لبعض مهامها:

**اللجان العامة:**

**اللجنة الثقافية والتربوية**: وهذه تشرف على تشكيل لجان فرعية في الأقسام، وتنفذ الخطة العامة للجنة الثقافية على مستوى السجون، وتفعل نظام الأسر التربوية، وتصدر نشراتها التوجيهية وفي إحياء المناسبات، وتشرف على خطبة الجمعة، وتعيين الخطباء، وتشرف على مكتبة السجن، وتقوم بإعداد المسابقات، وتصدر المجلات المختلفة، وكل ذلك يصدر على اجتماعاتهم ويتم تتويج عملهم بتقرير شهري يقدم لمجلس الشورى.

**اللجنة الإدارية**: وهي التي تقوم بتعيين أمراء الغرف، وتوفير مستلزمات الغرف، وترتيب النقل بين الغرف والأقسام، وتهيئة الأجواء المناسبة للجلسات، وتتخذ الإجراءات السريعة للمخالفات الطارئة واستقبال القادمين الجدد، وتوفير احتياجاتهم والإشراف على الحياة اليومية من استيقاظ ونوم وهدوء، وتعيين المجاهدين الذين يساعدون إخوانهم في مهام عامة خارج الغرف (العمال)، ثم تقديم تقرير شهري لمجلس الشورى بهذه النشاطات.

**اللجنة المالية**: وهي تشرف على توفير الطعام والكانتينة، وضبط الحسابات وتوزيعها على المجاهدين، وهي التي تشرف على تغطية مصروفات اللجان الأخرى، وتنسق مع الفصائل الأخرى في الأموال، وتقدم تقريرها عن نزاهة هذا المرفق الحساس.

**اللجنة الاجتماعية:** وأهم أعمالها متابعة الظروف المالية، ومساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة، وهي التي تقوم بمتابعة أي خلل في الرواتب في الخارج، وتقديم المساعدة لمن يحتاجها.

**اللجنة الخارجية:** ومسؤولها هو الذي يمثل الحركة أمام السجان، أو السجون الأخرى، ويمثل الحركة أمام الفصائل الأخرى (التحويل يقصد به هنا هو طلب يتقدم به الأسير لتغيير فصيله بعدما يقتنع بأفكار أو أخلاق فصيل آخر)، وحل القضايا والإشكاليات مع الفصائل الأخرى، وتبادل التهاني والمراسلات مع الفصائل، وهذه اللجنة علاقتها مباشرة بالحوار مع السجان وضباط السجن، وكذلك مع الفصائل الأخرى، وهو ممثل حماس في مراسلة السجون الأخرى، والتنسيق للمواقف وتوحيد الخطوات.

**اللجنة الأمنية:** ومن مهامها حماية الحركة من الاختراق، وتوفير الحماية الأمنية لأفراد الحركة وعمل دورات أمنية، وإصدار دراسات أمنية، وهناك داخل هذه اللجنة، لجنة لدراسة الضربات (أي أسباب الاعتقال أو الاستشهاد أو الاختراق)، وإخراج هذه المعلومات للحركة في الخارج للإفادة.

**لجنة الرصد:** وهي لجنة لرصد تحركات السجانين، أو أي ارتباط بالسجان، وكل ذلك يسير ضمن ضوابط شرعية حازمة.

**اللجنة السياسية:** وتشرف على محاضرات وندوات ونشرات تزيد في الوعي السياسي، ومعرفة المواقف السياسية للحركة، ونقلها للمجاهدين للاطلاع، ومتابعة سياسات العدو في كل المستجدات.

**اللجنة القضائية:** وهذه اللجنة تتابع المشاكل الكبيرة والتي تحتاج لقضاء عادل.

**اللجنة القانونية:** وهذه تشرف على رفع شكاوى قانونية على السجان، والمطالبة بحقوق قانونية ومتابعة المحامين مع الأسرى الجدد، وتوفير محامٍ لكل أسير، والمساعدة في الملفات التي قد تنجح متابعتها مع المحامي لتخفيف حكم أو إفراج.

**لجنة التحويلات:** وهي التي تشرف على طلبات التحويل للحركة، وتقوم بالسؤال عن صاحب الطلب في السجون، وفي خارج السجون ومدى انطباق الشروط المطلوبة على طالب التحويل، وهي التي بيدها قرار الرفض، أو الموافقة مع إقرار المكتب التنفيذي، وهذه اللجان تدرس كذلك أسباب طلبات التحويل من الحركة، وتناقش صاحب الطلب في طلبه.

**لجنة الانتخابات:** وهذه يتم تشكيلها عند اقتراب انتهاء الدورة التنظيمية، والتي غالباً ما تكون في السجن الواحد لمدة أقصاها ٦ أشهر، أما على مستوى السجون فتكون كل سنتين مرة واحدة، وتيسر الانتخابات ضمن آلية نزيهة وسرية وتمنع فيها الدعاية.

**مهام أخرى:**

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه في كل السجون يكون هناك سكرتير مجلس الشورى، وهو الذي يقوم بتدوين محاضر الاجتماعات، وحفظ كل الأعمال خلال دورته في الأرشيف العام، وكما لكل سجين أميره، فإن لكل قسم أميره وهو الذي ينوب عن الأمير العام للقسم، وأيضاً لكل غرفة أمير، يتم اختياره ضمن مواصفات خاصة، لأنه سيشرف على سير النظام داخل الغرفة من هدوء وأوقات التلفاز، وهو المسؤول عن فض النزاعات وإصلاح ذات البين في غرفته، وغير ذلك من المهام الأخرى.

**وهناك دائرة العمال:** وهم الذين يقومون بخدمة المجاهدين، فمنهم عمال في المردوان، والذي يقوم بتلبية حاجات ورغبات المجاهدين، مثل نقل الرسائل بين الغرف أو نقل المستلزمات مثل أواني الطعام أو توزيع الطعام، وهناك عمال الكانتينة، والذي يقوم ببيع السلع الغذائية والمستلزمات الحياتية، وترتيب الحسابات وتوزيع المصاريف، وهناك عمال المغسلة والذين يقومون بغسل ملابس المجاهدين الرياضية والعادية، وهناك عامل المكتبة والذي يشرف على إعارة الكتب وإرجاعها وتوفير الكتب الجديدة والحديثة، وعامل المحلقة الذي قوم بترتيب وتصفيف الشعر وتقصيره، ويشرف على هؤلاء العمال والمسؤول عنهم أمام السجان، هو ممثل السجن (الدوبير) أو ممثل القسم دوبير القسم، ولا يحق لأي أسير التعامل مع الإدارة، غير الممثل إلا بإذنه وضوابطه، وللمثل صلاحيات خاصة في اتخاد بعض الخطوات الاحتجاجية باسم الأسرى دون إذنهم وجدير بالذكر، أن كل لجنة من هذه اللجان لها خططها ولوائحها المفصلة لها، وعند أي عمل يتم الاهتداء بهذه اللوائح والاحتكام إليها في ضوابط وآليات العمل، فمثلاً عند عمل اللجنة القضائية، يتم العمل ضمن ضوابط وقيود، فحياة السجن ككل حياة يتم فيها خلاف وتحصل إشكاليات وصدامات وأزمات، وهذا حصل في زمن الرسول ﷺ وصحابته، أفلا يحصل في سجن ضيق ازدحم فيه الأسرى وتراكمت عليهم هموم السجن وهموم الخارج، هنا تحصل مخالفات، ويجب رد المخالف للحق، وعليه تحمل المسؤولية تجاه مخالفته، وهناك عقوبات للمخالف، منها عقوبات مخففة مثل التنبيه الشفوي، واللوم والعتاب، أو تكليف ببعض المهام داخل الغرفة مثل جلي الأواني، أو سحب بعض الامتيازات، أو سحب بعض المسؤوليات، وهناك عقوبات مغلظة، مثل التجميد، الجلد، المقاطعة، الفصل، وذلك حسب مستوى المخالفة، وتقدر ذلك اللجنة القضائية وتصدر أحكامها ثم أعضاء الهيئة لهم إقرار هذا الحكم، أو الطعن فيه حسب اللوائح.

ومن الجدير ذكره هنا، أي أن هذه اللوائح بين أيدي الأسرى، ليعرف كل أسير حقوقه وواجباته، ويتم تدريسها لكل قادم جديد، ويكون في مقدمة اللائحة تعريف بالحركة، ومنطلقاتها العقائدية والفكرية والجذور التاريخية للحركة ومبادئها وأهدافها، وذلك أن كل عضو منوط تحت جناح حركة حماس، يجب أن يقتنع بهذه المنطلقات والأهداف والمبادئ، وإلا اختار تنظيماً غير حماس، ويتميز أعضاء حركة حماس بشكل عام بالسمع والطاعة في المنشط والمكره، والالتزام بالنظام المقرر، والالتزام بالبرامج التربوية، والثقافية والإدارية، والدفاع عن الإسلام، والدعوة إليه، والمحافظة على الحركة، والمشاركة الفاعلة في عملية الانتخابات، وتستطيع بسهولة تمييز أقسام حماس عن غيرها، حيث الحيوية، والنشاط والرياضة والجلسات والقيام والصيام والتوافق والتفاهم والانضباط والنظام والنظافة والترتيب، هذا يشهد به العدو قبل الصديق، والفضل ما شهدت به الأعداء.

❊ ❊ ❊

# الفصل الرابع

# البوسطات

# الأشد ألماً... والأكثر قهراً

## «السفر قطعة من العذاب»

## أولاً: تفاصيل في البوسطات:

### تعريف:

مصطلح يطلق على سفريات تقوم بها سلطات الاحتلال بنقل الأسرى من مكان إلى مكان آخر، وغالباً ما تكون هذه السفريات لمحاكم المحتل الإجرامية، أو بقصد التحقيق مع الأسرى في قضايا مختلفة، أو نقل من سجن إلى آخر، وتكاد تكون هذه المعاناة وهذه العذابات من أكثر آلام السجن المتجددة، عذابات وآهات وآلام وأرق ووجع وقهر، سهر وقلق وغم، كلمات عابرة لكن واقعاً وحقيقة غائرة، جرح ينزف هم يخيم على صدور الأسرى، سأبدأ لكم من النهاية وأنتم ستعرفون البداية، أتعلمون أن كثيراً من الأسرى يفضلون سرعة الحكم والمحاكمة، وهي في كل الأحوال جائرة، لكن كثيراً من الأسرى إن علم أنه سيحكم عليه الآن ٢٠ عاماً، وبعد عام سيحكم عليه ١٨ عاماً، فسيختار أن يحكم ٢٠ عاماً، تخلصاً من عذابات البوسطات وآلام السفريات، أيكفيكم هذا الاختصار أم أنكم تتشوقون لمعرفة التفصيل والبيان!؟ وأراني مضطراً لاطلاعكم على تفاصيل هذه المعاناة فأكثر هذه البوسطات هي بقصد محاكمة الأسير الفلسطيني أمام جنرالات يلبسون ثياب القضاة وجنود مدججين بالسلاح وأجهزه لم نسمع عنها في التاريخ الغابر، أو العصر الحاضر وهذه المحاكم هي ذروة استفزاز البوسطات، لكن دعونا نبدأ مع بداية البوسطة فمتى تبدأ المعاناة؟؟ تبدأ من لحظة إخبارك عن طريق ضابط السجن أن غداً عندك بوسطة، وضابط السجن غالباً ما يرفض إخبار الأسير عن مسار هذه البوسطة، إمعاناً في إجرامه، وكيف سيعطيك معلومة هو يعلم أنها ستخفف من قلقك فيدعك في شك دائم، وارتياب مسيطر على المشاعر، فبمجرد ذكر اسم البوسطة سيستحضر الأسير في سرعة البرق الألم والنهب، وسيمتد شريط الاستحضار متلاحقاً متتابعاً للتعب، الذي سيستمر في أقله ثلاثة أيام، وأن حديث الرسول ﷺ «السفر قطعة من العذاب»[١] أشد ما يتجلى في هذه

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (١٨٠٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٧٩) (١٩٢٧).

البوسطات، أرأيت إنساناً يعلم أنه ابتداءً من الغد سيستمر ثلاثة أيام يحفر بأصبعه في الصخر، أو يحمل الأثقال إلى أعلى الجبال فكيف سيكون به الحال؟؟ هذا هو حال من يأتيه خبر البوسطة، فتتركز فوق رأسه هموم من الجبال، لما ينتظره ثم يشرع يفكر فيما سيأخذه معه من المساء، لأنه في الصباح الباكر ستسبق هذه الأغراض الأسير إلى التفتيش، وهنا تبدأ الاستفزازات، فيستلم الأسير أغراضه وقد صودر بعضها بحجة أنها ممنوعة، وتم إرجاع الطعام إلى الأقسام لأنه أيضاً ممنوع، ويراد بالأسير أن يبقى طريد الجوع، يشكو صداع رأسه، وإرهاق جسده، ثم عند الساعة السادسة والنصف صباحاً، يستعجل ضابط القسم الأسير، وكأنه في حالة حرب وينادي بالسماعة بصوت يسمعه كل السجن، فينزعج الأسرى جميعهم لأن كثيراً منهم نيام، ويتحرج الأسير صاحب السفرية لأنه ربما يكون هو السبب في ذلك، وما هو بمخطئ ولكن الحرص على راحة إخوانه وتوفير الهدوء هو ما يؤرقه، وسيكون الأسير متوتراً مشدود الأعصاب، يلتفت كل ثانية إلى ساعته يخشى أن ينادي الضابط في الميكرفون، وكأن الأسير المسكين هو السبب في هذا التوتر والذي يخرج إلى سفر، وهو مضغوط ومتوتر وكل شيء على عجل يكون حاله أشبه بالحرب المستنفرة، التي فرت من قسورة ويحمل أغراضه سريعاً مهرولاً ليتم تفتيشه أول تفتيش سريع على باب القسم، ثم يقتاد إلى غرفة الانتظار البوسطة السفريات التي ستنقل الأسرى، والذي أحب أن يلتفت إليه القارئ أن هذه العسكرية والروح المستنفرة، التي كانت قبل قليل، أن الذي يراها يظن أن الباص في انتظاره، والوقت يطارد يهود واشغالهم تملأ يومهم، ولكن ما الذي يحصل في غرفة الانتظار؟؟

**الانتظار القاهر:**

هنا في غرفة الانتظار يبقى الأسير ما يقرب من ساعتين إلى أربع ساعات، من غير أن ينادي عليه أحد فأين إذن الاستعجال والضجيج والمناداة بالميكرفون، هل

لنبقى هنا في انتظار ممل في غرفة مذلة؟؟ فلا تتحجب لأنني سأرسم لك الصورة، فغالباً ما يكون عدد من يقتادون في البوسطة لا يقل عن عشرة، وقد يصل عددهم إلى الثلاثين، يتم وضعهم جميعاً في غرفة ضيقة جداً، مغلقة منعدمة من كافة أنواع التهوية، إلا من فتحة صغيرة بما فيها من حديد لا يتجاوز محيطها ٦٠ سنتمتر، فيها يتكدس الأسرى فوق بعضهم، صحيح فيها لوحين من حديد يجلس على كل لوح ثلاثة أسرى لا أكثر، وأين سيجلس الباقون؟؟ فيبقى الغالب وقوفاً على أقدامهم، ولا يتسع لأنه يتمشى أحدهم ولو قليلاً، وتصور معي كبار السن والمرضى، وكثير من الأسرى مرضى بسبب جرائم المحتل، ولو قرر الجميع الجلوس على الأرض فلن تسع نصفهم، ولو افترضنا أنهم سيجلسون فهل المكان معد للجلوس؟؟ وغرف الانتظار كثيرة وفي كل سجن غرفة لها طابع خاص، وسأصف غرفة سجن عسقلان والتي يوجد بها مقعد واحد على أرضية ليس ناعمة بل هي قطعة من باطون متعرج متدحرج، الجالس فيه والواقف كلاهما غير مستريح، ولو جلس افتراضاً وبعد تعب شديد فهل سيجلس على أرضية لم تنظف من سنين، وغير صالحة أصلاً للتنظيف، وكل ذلك يعمد ويقصد لأنه يسهل على من سرق أرضاً واسعة أو سجنك في صحراء شاسعة، أن يفسح لك ويضعك في مكان فسيح، ولكن كل شيء بمقدار ومقياس، وقد أعد أعداداً محكماً لفن واحد اسمه الاستقرار، فهل ستجلس على هذه القاذورات المتراكمة، ولو جلست افتراضاً فاعلم أن الأرض بصقيعها وشدة برودتها ستجلب لك البواسير، وهذا هو الحال فلا وقوف على الأرض مريح ولا جلوس يخفف، وأشد ما في الأمر السموم التي تنبعث من كل مكان إنه الدخان المتطاير من سجائر المدخنين، فإما أن تضجر وتتأفف، وتتمتم فيكون فور وضيق السجن، وضيق الخلق، أو تصبر على جو رغم صغره ترى سحابة بيضاء تعلوه، من أثر التدخين وحتى تعرف نتانة هذه الرائحة وخبث هذه الشجرة، فإننا إذا عدنا إلى

غرفتنا من البوسطة، فإن إخواننا ستضايقهم رائحة السجائر التي عشقتها الملابس التـي نرتديها، وإضافة إلى ما سبق فإن في هذه المساحة الضيقـة دورة مياه مفتوحة وليس لها باب وبين جدارين، لا يعلوان عن الأرض متر واحد، لدواعي أمنية حسب زعمهم، فمن ذا يستطيع التبول أو التبرز، وقد تعطـل فيها المياه ولا أدوات تنظيف، وقد جف عليها مع تراكم الشهور والأعوام أكوام من البراز، فليس في غرف الانتظار دورات لقضاء الحاجة، وإذا وددت فلا مغسلة، وإذا وجدت المغسلة كما في سجن نفحة فإن المغسلة مغلقة، وتتراكم المياه فيها حتى تطوف مع ما بها من بصق ومخاط، وأوساخ لتسيل على الأرض، فإذا قهر البول الأسير فلا مناص من التبول، ولكن كيف يستنجي ويغسل؟؟ وهذا الماء الذي يفيض من المغسلة إلى الأرض ينسحب بأرجل الأسرى إلى وسط الغرفة، فيكون مع تراكم القاذورات نتن الرائحة المعطر بل المنتن برائحة بيت الخلاء، فهل علمت ما معنى أن تنتظر أربع ساعات، وهناك مراحل أخرى فأحياناً قد تنتقل من السجن الساعة الثالثة مساءً، وقد اقتادوك من الساعة السادسة صباحاً فالانتظار والاستفزاز الذي يتبعه استفزاز، والانتقال من غرفة إلى أخرى في وقت يصل إلى تسع ساعات من السادسة وحتى الثالثة مساءً، وبعد أن تُلقى في ذاك المكان السحيق العتيق، وبعد قرابة ٤ ساعات سيبدأ التفتيش الثاني.

**تفتيش مهين:**

التفتيش الأول عند اقتيادك من القسم كان سريعاً، أما التفتيش الثاني بعد الانتظار الطويل في غرفة الانتظار، وهنا ينادي السجان على الأسرى والذي ينادي اسمه وسيقتاده إلى مكان ضيق جداً، بحيث يتسع فقط للأسرى وضابط وثلاثة سجانين خلفه، وأنت أمامهم وقد أمروك أن تتجرد من ملابسك قطعة قطعة، ويبدؤون تفتيشها تفتيشاً بطيئاً، كأن ليس وراءهم شيء وقد كانوا مسعورين عجلةً، كي يقتادوك مقبلاً من غرفتك في القسم، وأكثر اللحظات حساسية واشتباكاً في السجن وقرباً مع

السجان، هي لحظات التفتيش، وهذه أحياناً يتم اصطناع بوسطة لأجلها، فقد يخبرك الضابط أن عندك بوسطة، ويبدأ المسلسل حتى إذا جرى وتم كل ما وصفناه سابقاً من الانتظار والتفتيش، سيقولون لك أخيراً ليس لك بوسطة، وهذا حصل بالخطأ وهم كاذبون، وهذه معاناة مفتعلة فليس عند هذا السجان حسابات أمنية خاطئة، ولكن في السجون تكثر الأخطاء الكاذبة وقد يستمر هذا الخطأ لثلاثة أيام أو أسبوع فقط، لاستنزاف طاقة الأسير، وكثرة القيل والقال فقط، ليشبعوا رغبتهم وشهوتهم الانتقامية، فأسوأ ذروة درجات التعامل السيء هي لحظات التفتيش، والتي قد يصل عددها في البوسطة الواحدة عشر تفتيشات، ومن أين سيأتيك السلاح أو من أين سترى الجان الذي سيلقي عليك أسورة من ذهب أو فضة؟ أو هل نزلت ملائكة الرحمن لتهرب وتفر؟؟ وكل ذلك وأنت مقيد ومربوط، لتعلم حينها أن دافعه في كل ذلك هو فقط الانتقام، والاستفزاز، والإهانة، وذروة سعادته وهو يراك متجرداً من لباسك، ويتركك لحظات ينظر إليك، وأنت تلملم ثيابك من على الأرض، وهو مدجج بسلاحه، وأدوات الكهرباء الصاعقة والفاحصة، ولا يكتفي بالباب الكاشف الذي بمجرد المرور منه إذا كانت معك أي قطعة حديد، ولا سنَّ قلم، فإنه يصدر صفارته وستمر في السجن الواحد بأكثر من باب من هذه الأبواب، ثم يلاحقك بآلته اليدوية في التفتيش عدة مرات، وعند كل غرفة وهنا لا يملك الأسير أن يتمالك نفسه بمزيد من الصبر، حتى لا تكون فرصة للخسيس وهو يتلذذ برؤية الأسد الهصور، وهو يمعن في استفزازه مكبلاً مقيداً، وهنا يتمنى هذا الخسيس أن يخرج إخوانك ليستفرد بك من بين إخوانك، وبعد هذا التفتيش ينتقل الأسير إلى غرفة أخرى ليمكث فيها أكثر من الغرفة الأولى، والأسير هنا ليس إلا رجلاً قوياً، يحرص على وقته وعلى صحته وكرامته، والبوسطة تخدش كل ذلك فهي لحظات تتبعها لحظات تستمر إلى ساعات ضيق وضياع وقت، وتوتر، وأمراض جسدية ونفسية، وإرهاق معنوي وجسدي كذلك، وكل ذلك يسير عن قصد وعن عمد.

**الأهداف القذرة من وراء البوسطات المدمرة:**

من خلال ما مر معنا سندرك كثيراً من هذه الأهداف القذرة، فإن قلت هو ضياع الوقت فهذا صحيح، وإن قلت فقد الاستقرار والأمن فهذا صحيح، وإن قلت هو الاستفزاز والإمعان في الذل ونزع الكرامة فهذا صحيح، وإن قلت هو محاولة التشويه وضرب الأسرى ببعضهم البعض فهذا صحيح، وإن قلت هو بث الشائعات فهذا صحيح، حيث كثيراً ما يعمد السجان لنشر شائعة ويلقيها في البوسطة عبر عملائه، فتصل كل السجون ليحصد السجان النتائج.

**قوات الناحشون:**

كل ما سبق فأنت ما تزال بين أيدي السجانين، الآن عند قدوم الباص سيقتادك غيرهم يطلق عليهم قوات الناحشون، هذه القوات تنحصر في نقل الأسرى خارج السجون، هذه هي المهمة الظاهرة، أما الباطنة فإن هذه القوات قد اختيرت عن عناية وبعد امتحانات عسيرة، وأوصاف عالية، ونفوس ونفسيات حاقدة لا تعرف إلا العبوس، ألوانهم أقرب إلى السواد، كلهم يشترط فيهم ضخامة الجسم وعضلات مفتوله تشبه عضلات رافعي الأثقال، ومعهم أسلحتهم وعتادهم العسكري، الذي يكفي لإقامة حرب، ويبقى الأسير في انتظار طويل حتى تقتاده هذه القوات إلى المكان المراد، وهنا لهذه القوات إجراءات أشد قسوة، حيث سيتأكدون من الأسماء ويطلعون على كل ملف، لمعرفة الأسير مسبقاً وكيف سيتم التعامل مع كل أسير حسب التوصيات التي يتلقونها، وقيادتهم المتواصلة مع الشاباك فهذا أسير قاتل، وهذا قائد، وهذا مريض، كل هذا ليزيدوا في قهرهم، فهؤلاء قد أعدوا خصيصاً لهذه المسألة، وكثيرة هي حالات القمع والضرب والإهانة التي تعرض لها الأسرى من هذه القوات النازية الفاشية، وبعد التأكد من الأسماء ومطابقة الصور لها، يطلب من كل أسير أن يخرج يديه من طاقة الباب التي لا تتسع لأكثر من يديه، فيوثقونها بالقيود

والسلاسل الحديدية الضيقة، ويضعها بصورة لا تحتملها اليد الواحدة من شدة الضغط والشعر، وهل يطلب الحر من عدوه الحاقد، أن يخفف عنه؟ كلا أن يتألم الأسير بعدها لأيام أهون ألف مرة من أن يطلب من متعجرف ينتظر الكلمة ليزيدك إهانة تتبعها إهانة، فالأسير لا يتأوه ولا يتوجع، ولا يطلب التخفيف ثم بعد تقييد كل الأسرى فإنه لا يحلو لهم الطعام إلا في هذه الأوقات، وبعد تقييدهم لا قبله وتبقى تنتظر وأنت مقيد، ولا تعلم ما الخبر أو لماذا ينتظرون، وأصعب شيء هو الانتظار فكيف إذا كان تحت الألم والقهر؟ فهم يعلمون جيداً مدى الضيق الناتج من طول الانتظار، وتستمر المماطلة، والإهمال إلى الحد الذي لا يطاق، ويتم المناداة على الأسرى أسيراً أسيراً، ويتم وضع السلاسل الحديدية في الرجلين بطريقة استفزازية، بحيث يجب أن يتوجه الأسير إلى الجدار ووجهه للحائط، وأن يفرج بين رجليه ويضع الجندي رجله بين رجلي الأسير، وهناك من الأسرى من توضع له سلسلة واحدة في رجليه، ومنهم من توضع له سلسلتان أو ثلاثة بحجة أنه خطير جداً، أو أن المكان الذي سيذهب إليه حساس، فيتم وضع المزيد من القيود، وهو بهذا الشكل المكبل يطلب منه أن يحمل أغراضه وهي عبارة عن شنطة فيها أغراضه، وإذا كانت هذه بوسطة نقل إلى سجن آخر فسيكون معه عدة شنط يحملها بنفسه، ويسير فيها بطيئاً متململاً، وهو يحمل أغراضه فهو لا يستطيع أن يمشي سليماً بهذه القيود، لو كان صحيحاً معافىً فكيف وهو سيسير بأغراضه إلى الباص وهم يستلذون وهم يرون هذا المنظر الخلاب بالنسبة لهم، فالأسير وهو يحملها يجر نفسه جراً، ويحني ظهره إلى أن يصل إلى المكان الذي يحدده الضابط، وكم يكون المنظر مرعباً، ومفزعاً، وأنت ترى الأخوات الأسيرات بهذه الحال، وقد رأتهم كل شاشات التلفاز ثم عند وصولهم الباص هناك تفتيش خاص لهذه القوات، وعند العود للباص فلن يستطيع الأسير رفع رجله قبل أختها إلا وزرد السلاسل قد أكل من لحمه، ليعود بعد

البوسطة، وقد سالت الدماء من أقدام بعضهم من أثر هذه السلاسل أو على الأقل يبقى الألم أسبوعاً في العظم، واللحم من أثر هذه السلاسل الضيقة الثقيلة.

**ارتجاف ورجرجة لمدة ١٦ ساعة:**

والباص الذي هو في انتظار الأسرى جاهز من قبل وصولهم إليه، وهو شغال لأهداف كثيرة منها أن هذا التشغيل من خلاله يبقى الباص رجاجاً وهزازاً، بهدف الإرهاق والتعب والشعور بالألم والملل، وهندسة هذا الباص عجيبة غريبة، خاصة بالأسرى الفلسطينيين، وصنعت من أجلهم فقط، وكله حديد فقط المقاعد وكل شيء فأنت في الباص ستشعر نفسك في قفص حديد، تختلف مقاييسه من قفص إلى آخر، حيث أن الباص عبارة عن ثلاثة أقفاص، القفص الأول ويتسع إلى ٣٠ أسيراً، أما النصف الثاني ففيه قفصين مستطيلين، وبينهما ممر صغير ويتسع حسب قانونهم كل قفص لعشرة أسرى، وهو عبارة عن كرسي طويل وأمامه جدار حديدي سميك، بحيث الأسرى جالسون فإنه لا يكاد يمد ركبتيه بشكل مستقيم، وإن كان الأسير طويلاً فسيضطر أن يميل بركبتيه تجاه أخيه الأسير، حيث لا متسع للجلوس باعتدال، والأسرى سيكونون في التصاق شديد ببعضهم البعض، فلو كان هناك أسير سمين فسيكون حرجه وحرج الشباب شديداً جداً، أرأيت كيف يكون الحساب بالسنتميتر، وكل ما حولك حديد فأنت تجلس على حديد وتضرب ركبتاك في حديد، وسقف الباص قريب من رأسك، وهو حديد ولا تستطيع رؤية الفضاء في الخارج حيث خلف الجدار الحديدي ذو الثقوب الدائرية الصغيرة لوح زجاجي مضاد للرصاص، ويطلى باللون الأسود بحيث لا يتمكن الأسرى حتى من رؤية أرضهم المسلوبة، ويزعمون أن القفص المستطيل هو للخطرين، وهو عزل في البوسطات، أما المكان للأسرى غير الخطرين، فهو الذي فيه ثلاثون أسيراً وهو لا يكاد يختلف عن القفص المستطيل غير أن الكرسي يتسع لاثنين فقط، ونفس الشيء

ضيق ولا يستطيع الأسير أن يمد ركبتيه، وهذه الرجرجة والهزهزة هي فقط في هذه البوسطات، ولم تمر علينا من قبل حتى في باصات السبعينات، وسيمكث الأسير في هذا الباص مدة تقدر بـ ٨ ساعات، وقد تصل إلى ١٦ ساعة إضافة الى البرودة الشديدة القارسة في الشتاء، والتي يحتفظ بها الحديد لمدة طويلة، بحيث يلسع لسعاً شديداً من المقعدة التي يمنع أن تضع تحتها أي شيء ولو فرشة الصلاة، ولا تستطيع إسناد ظهرك على هذا الحديد، وفي الصيف حرٌّ شديد ورطوبة عالية وعرق يصب صباً من كل أنحاء الجسد، وتخرج من شدة هذه الحرارة رائحة العرق الممزوجة برائحة الباص الأصلية والنتنة في أساسها، لأنه بالجلوس الطويل في الباص مع طول المسافة فبعض الأسرى لا يحتمل هذا الأمر، ويتقيأ فجأة حتى لو استشعر بالقيء من قبل فماذا عساه يفعل، وهو مكبل اليدين والرجلين ويمنع من إدخال شيء في الباص حتى الحلو (الملبس)، فما يكون إلا التقيؤ على أرضية الباص.

**مواقف مؤلمة لا تنسى:**

والأدهى والأمر إذا حقن البول الأسير، سيصبر ويصبر ويتعرق جسده ويتوجع ويتألم، ثم لا يكون هناك مفر من أن يخفف عن نفسه، ولكن أين فلو كانت هناك زجاجة فارغة لخفف عن نفسه رغم شدة الحرج، والأسرى من حوله، وهو وهم مكبلو الأيدي والأرجل، وهنا يضطر الأسير ليبول على أرضية الباص، والتي بدورها ستتمدد وتنساب تحت كراسي أخرى، وما عساه يفعل المضطر؟! فلا يلجئه إلى ذلك إلا موت محقق؟

والملاحظ هنا في طول خط سير هذا الباص كثرة الانتظار، والباص واقف فبمجرد دخول الأسرى في الباص سيبقون ينتظرون في الباص ما لا يقل عن ساعة، وهو شغال ورجاج وهزاز ثم ينطلق الباص وعند خروجه من السجن، سيخضع لتفتيش حتى لا يكون هناك محاولات هرب، وسينطلق الباص مسافة ٤٥ دقيقة ليقف

أمام سجن آخر، حيث هناك أسرى سيلحقون بالبوسطة، وعند هذا السجن سيقف الباص طويلاً أمام السجن بما لا يقل عن ساعة، ثم يدخل الباص السجن ويخضع لتفتيش ثم يسير داخل السجن ليصل قريباً من غرفة الانتظار، وهناك سيمكث الباص تقريباً ساعة، وهو شغال رجاج حتى يبدأ الأسرى يدخلون إليه أسيراً أسيراً، وبعد انتهاء دخولهم ينتظرون طويلاً حتى يتحرك سير هذا الباص إلى سجن آخر، والضحية هنا هو الأسير، لينطلق الباص إلى سجن ثالث، فيكون بعض الأسرى سينقلون إليه، وبعضهم سيصعد إلى الباص وحتى تتصور الموقف فإن من عادة المحتل إبعاد الأسير عن مكان محاكمته، فأسرى الشمال يحاكمون في الشمال، وأسرى الجنوب يحاكمون في الجنوب، ولكن المحتل يتعمد إلى جعل أسرى الشمال في سجون الجنوب، وعند كل محكمة سينطلق هذا الأسير هذه المسافات الطويلة من سجن إلى سجن حتى يصل الموقع المراد بعدما تكون البوسطات أكلت من جسده ونفسه، حتى يتمنى الأسير الحكم بأسرع وقت ليتخلص من هذا العناء، ولو بحكم عالٍ والمحاكم السعرية هنا لا تقل عن سنة ونصف، أو سنتين وهناك محاكم ستستمر ٤ سنوات، والأسير يعرف أن قضيته خطيرة فيطالب بالمؤبد من أول المحاكم، ولكن القضاة يرفضون لأنهم يريدونه أن يتعذب كل هذه السنوات، وهو يخرج كل أسبوعين أو ثلاثة من سجنه بوسطة ليتعذب بها، ثم يعود وقد يصل الوقت إلى ١٦ ساعة، والأسير يتمنى أن ينزل إلى الأرض أو يتوقف رج وهز هذا الباص، وربما تتساءل عن قوات الناحشون فأين ستكون، فهي بالطبع في مقدمة الباص، ولهم كراسي خاصة، وتهويات خاصة، وبين كل سجن وسجن سينزلون إلى الأرض، ولا تجدهم إلا ويأكلون ويشربون، فكيف بك أخي وأنت ترى الأسير يخرج من الصباح الباكر، ويمر بمعاناة زنازين الانتظار القذرة، ثم باص السفرية الحديد ومن سجن إلى سجن، وهز، ورج، وحرارة، وبرد، وجفاة قساة أغلاظ، وقاذورات في كل مكان، وإشاعات لفظاً وعذابات، وآهات، وتقيؤ، وتبول، وتصدع رأس.

**التسليم المهين والاستلام الأليم:**

ثم بعد هذه المعاناة سيصل الأسير إلى المكان الذي سيبيت فيه، وهو السجن القريب من المحكمة أو المستشفى أو التحقيق، لتبدأ معاناة استقبال الأسرى من قبل السجن الجديد، والذي عندهم تعليمات يجب أن تنفذ وخطوات يجب أن تتبع لإنهاك الأسير وإرهاقه، فتبدأ إجراءات التسليم بأسلوب مهين من قوات الناحشون، كل أسير ينزل من الباص أشد ما يقرضه هو الهواء النقي، وامتداد الرؤية بعد حجزها لساعات في مكان ضيق، وعند غروب الشمس، أو عتمة الليل الساكن، وكأن قوات الناحشون بتعليماتها تدرك أن هذا وقت استنشاق راحة، ولو نفس واحد بعمق فتبقى تطارده وتضيق عليه في تفتيش مباشر، وهو أصلاً أعزل قد تم تفتيشه مرات، وهذا التفتيش الاستفزازي من الناحشون أخشن من غيره وبكثير، حيث يتعامل بيده وينفخ النفس عالٍ ليستفز الأسير وكأنه ينتظر أي كلمة أو حركة من الأسير، وكأنه يخاطبه إن كنت رجلاً فتكلم، أو فتنفس، أو فاعترض ويستفزه في التفتيش، وهو يقترب من الأعضاء الحساسة للأسير، حتى إذا أعرض الأسير وهو مكبل ورفع صوته، وهو أقوى ما يملك في هذه اللحظات، وما يكون من الأسير إلا الرفض وهنا تبرز نذالة وخسة هذه الشرذمة من البشر، يتكاثرون على الأسير وهو مكبل اليدين، والقدمين، ويهجمون كالكلاب المسعورة، وكل يريد أن يشبع غروره ويتنافسون أيهم يسبق بالضرب، ويتكدسون فوق الأسير الأعزل يبطشونه بأيديهم، ويركلونه بأقدامهم، فما يكون من إخوانه الأسرى إلا التكبير، وماذا عساهم يفعلون أكثر من ذلك.

**وصف المعبار ودوره:**

وهنا في السجن الجديد يتم نقلهم بعد إجراءات تستمر على الأقل ساعتين في زنزانة الانتظار، ثم يتم اقتيادهم أسيراً أسيراً إلى المعابر، والمعبار هو المكان الذي سيحتجز فيه الأسير ليكون قريباً من المحكمة أو المستشفى، أو فيه ينام

ليالي البوسطة إن استطاع النوم، وغالباً ما يصل الأسير المعبار في وسط الليل وهو منهك ومتعب من شدة عذاب السفرية من الصباح الباكر إلى وسط الليل، معاناة تتبعها معاناة، من معاناة السجن والمطاردة في القسم، إلى غرفة الانتظار، ثم إلى التفتيش ثم إلى غرفة الانتظار الأخرى، ثم إلى قوات الناحشون ثم المكوث الطويل في الباص، وهو يدخل في سجن ويخرج من سجن، ثم إلى سجن فيه المعبار ثم إلى زنزانة الانتظار، وأخيراً إلى المعبار، فلو كان الإنسان في أحدث الباصات فإنه سيرهق وينهك فكيف بباص قد أعد إعداداً ليكون عذاباً وقيداً، وهو مكبل اليدين والرجلين طوال هذا الوقت، فكيف هو المعبار الذي يفرض أن تستريح فيه هو غرفة أو غرفتين أو ثلاثة حسب السعة، بناؤها قديم جداً، الأرضية خشنة تتكدس فيها الأوساخ، وتشتم من جنباتها الروائح الكريهة، مصارف المياه فيها معطلة فيها فرشات، لا تستحق اسم الفرشة، قد جاوز عمرها عشرات السنوات، هي أشبه ما تكون لشدة لصوقها بالأرض بالبطانية، النظافة معدومة، دورة المياه يخجل المرء أن يصفها، لا أبواب لها، وقد جاء الأسير لتوه من هذه السفرةِ الطويلة وهو يعلم أنه بعد سويعات سيخرج في بوسطة ثانية إلى مكان آخر في الصباح الباكر، وعليه أن يكون متأهباً الساعة السابعة صباحاً، فما يكون منه إلا أن يستلقي على الفرشة، فهذا ليس وقت التأفف والضجر، فما هي إلى لحظات وسينام بعدها مباشرة، ورب سائل ليسأل وأين الصلوات، فصلاة البوسطة جمع وقصر، وغالباً ما تكون في الباص بإيماء، حيث لن نستطيع الركوع والسجود إلا إيماءً على المقاعد، أما صلاة الفجر فما أثقلها على المسلم، ثقيلة رغم حبهم لها لأن الجسد وهو متعب، فيصلي الشباب صلاة الفجر جماعة، ثم يغطون في نومهم سريعاً، وغالباً ما تكون مثل هذه الصلاة بأقصر السور في القرآن مراعاة للحالة التي فيها الأسرى، أما الأكل فقد لا تصدق إذا قلت لك أن البعض لا يستطيع الأكل من شدة التعب، فيغلب ألم

النصب عض الجوع، وفي الصباح الباكر يقض مضجع النائمين طوارق الأقفال، وأصوات السجان (سفيرا) وهي إلى البوسطة، بوسطة ينادي السجان بأعلى صوته بوسطة بوسطة، وكأن الناحشون على الباب، ينتظر ويمر بنفس مراحل التفتيش، ثم إلى غرفة الانتظار الطويل، ثم بعدها بساعتين أو ثلاثة تأتي الناحشون.

**أن تمكث أياماً في المعبار:**

بقي أن نشير إلى أن أقل بوسطة تمكث ثلاثة أيام، وأوسطها خمسة أيام، وقد تصل إلى أسبوع، أو عشرة أيام وأحياناً أسبوعين، ومعنى أن تمكث هذه الأيام في المعبار المصمم ليكون موطن استقبال وترحيل فقط، معنى ذلك أن هذا المكان سيفتقر إلى أدنى شروط الحياة، فلا مراوح ولا أدوات طبخ، ولا دورة مياه صالحة للاستخدام النظيف، ولا حمّام صالح للاغتسال، وجو مغلق وروائح كريهة خلف الشبابيك المغلقة بقضبان الحديد، التي لا تكاد تخترقها أشعة الشمس في هذا الجو الملبد بالسواد، في كل لحظاته يراد بالأسير أن يمكث في هذا المعبار أيام البوسطة، وهذه الأيام في الصيف شديدة الحرارة لعدم التهوية، وارتفاع الرطوبة ولا مكان لغسل الملابس أو الاغتسال مع رائحة الدخان المتصاعدة التي تعشقها الملابس، وتدخل في كل شيء فيبقى الهواء والجو وكل شيء معكر بهذه الرائحة النتنة أشد ما في هذا الجو هو العرق، الذي يتصبب من كافة أنحاء الجسد مع الحرار العالية، والرطوبة المرتفعة، فينشأ عن ذلك ملل واضطراب وقلق، فلا طعم للراحة، أو طريق للنوم ويبقى الأسرى يسلون أنفسهم ببعض الحكايات، والقصص، ويخففون عن آلامهم ببعض الضحكات، والنكت، والفكاهات، وبرغم ذلك تبقى هذه الأيام لا تقل نكداً وغماً عن سابقاتها من زنازين الانتظار، أو الباص، وتشتد المحنة إذا طالت الأيام مع ازدحام الأسرى في مكان ضيق، ثم تكون ذروة استفزازات السجان التي لا تتوقف، ويصنع كثيراً من القلاقل، والمشاكل، ويكون التوتر سيد الموقف والغضب

بأعلى درجاته، ومما يسبب طول الأيام أيام العيد، وخاصة أعيادهم الدائمة مثل الجمعة والسبت، فإذا كانت المحكمة يوم الخميس، فسيخرج بوسطة يوم الأربعاء ويمكث في المعبار، ومن ثم يتوجه إلى المحكمة يوم الخميس ثم يعود إلى المعبار، ويبقى فيه إلى يوم الأحد، وإذا كانت المحكمة يوم الأحد فسيخرج للمحكمة يوم الخميس ليمكث في المعبار إلى يوم الأحد، ويوم الأحد يتوجه للمحكمة ليعود يوم الإثنين إلى سجنه، والأشد من ذلك إذا كانت البوسطات في أعيادنا ومناسباتنا، كعيد الأضحى والفطر وشهر رمضان، أو زيارة ذوي الأسير لأسيرهم، وهنا القصص كثيرة جداً، حتى لتتأكد أن كل شيء عن دراسة مسبقة وعن عمد، وقصد، وأنكد البوسطات على الإطلاق هي البوسطات المجهولة، فيقتاد الأسير من سجنه إلى المجهول ويصل إلى المعبار، ويمكث فيه أياماً طويلة والأسرى من حوله يأتون المعبار، ويعودون للسجن وما يزال هذا الأسير جالساً في المعبار من غير أن يعرف السبب، ويسأل عن سبب تواجده فلا يجيبه أحد وبعد أسبوع أو عشرة أيام يقتاد ثانية إلى سجنه، وعند السؤال عن السبب يقال: كانت بالخطأ وما أكثر هذه الأخطاء المفتعلة، وهل سيخطر ببالك سبب غير القهر والانتقام؟؟ ومن أخطر هذه البوسطات كذلك بوسطات النقل، ومعنى النقل من السجن هو أن يفقد الأسير الاستقرار، والتفكير والراحة، وسيحمل أغراضه ويودع أصحابه إلى مكان لا يعرفه، ولا يعرف أسراره، وستكون هذه فرصتهم لمصادرة الكثير من أغراضه الخاصة من ملابس، وأدوات كهربائية، أو إتلافها، وكل ذلك وهي بعيدة عنه لا يراها، وعندما يصل السجن الآخر سيمكث ساعات في الباص، ثم في زنزانة الانتظار، ثم يعودون به إلى الباص لينقل إلى معبار سجن آخر بحجة أن مدير هذا السجن، أو ضابط أمنه يرفض استقبال هذا الأسير، أو لا متسع له في هذا السجن وأعذار أو أسباب كلٌّ منها أقبح من غيره، ثم يمكث هذا الأسير أياماً في المعبار لا يعرف أين ستتجه به الأقدار،

وكلما وصل سجن صودرت بعض أغراضه حتى يتم تجريده من كل شيء، ويبقى يتعذب، والتبرير هو الخطأ وهل هناك أخطاء؟ ومن المعلوم بداهة أن كل حركة تحتاج إلى معرفة الشاباك مسبقاً، وتنسيق إدارة السجون العليا، وبضغطة زر يعلمون كل شيء عن الأسير، وعن الفراغات في السجون، ولكن تكرار هذه الحوادث ولشخصيات معينة، يعني الكثير الكثير من الإهانات والعذابات.

وإلى الآن ونحن في المعبار وقد صارت الساعة متأخرة جداً، ويكاد الأسير من شدة الإنهاك، والإرهاق يرتمي أرضاً، حتى لو على الماء ولو على الأرض القذرة، فما عاد يعلم ما فوقه، وما تحته، وما يكاد ينام سويعات حتى يأتي العدد الصباحي، ثم اقتياد الأسير إلى المحكمة، أو المستشفى، أو السجن الآخر.

**وإليك الحديث عن هذه الأمور:**

## ثانياً: أكذوبة المحاكم أو مهزلة المحاكمات:

**توطئة:**

بعد اعتقال الأسير، ومروره بكافة مراحل التحقيق، يتم إحالة الأسير إلى السجن المركزي وهذه السجون غالباً ما يتم اختلاط الأسرى الجدد بالقدامى، وأشد ما يواجه الأسير الجديد هو قضية المحاكمات الهزلية، فهو قبل أن تتم محاكمته بحكم جائر، لا بد أن يتم تعذيبه لفترة طويلة غالباً لا تقل عن سنتين، وقد تستمر إلى أربع أو ٥ سنوات، الأسير غير المحكوم يطلق عليه في عرف الأسرى (الأسير الموقوف)، والأسير الموقوف إجراءات الحرمان عليه أشد من الأسير المحكوم، وذلك حتى يتنازل الأسير ويرضى بالأحكام الجائرة، فما دام الأسير موقوفاً فمعنى ذلك أنه سيمضي ربع أيامه تقريباً في البوسطات، أي أنه خلال سنتين يكون مجموع ما أمضاه في البوسطة لا يقل عن ستة أشهر، من أصل ٢٤ شهر، فلا يكاد يعرف

الاستقرار وهذا معدل وسط، فهناك من الأسرى من يمضي ثلث أيامه وهو موقوف في البوسطات، وخاصة أصحاب المؤبدات المتوقع أن تكون أحكامهم عالية، وغالبية الأسرى وخاصة من غزة يوصفون من هذا القبيل، فمعظم الأسرى عندهم يوصفون بأنهم (خطرون)، وذلك أن الأسير الموقوف غالباً ما يخرج سفرية بوسطة مرتين شهرياً، وهذه مدروسة بامتياز، وحتى تتعرف على طبيعة هذه المحاكم إليك التفصيل:

**أنواع المحاكم:**

١ـ محكمة بالخطأ.

٢ـ محكمة شاهد.

٣ـ محكمة حقيقية.

**أما المحكمة الخطأ**: يقتاد الأسير في بوسطة ويعاني مرارتها وعذاباتها، حتى تكون الذروة في المعبار وهناك بعد يوم أو يومين، أو ثلاثة، يتم إبلاغه أنه لا محكمة لك، وأن اسمك جاء بالخطأ.

**أما محكمة الشاهد**: فيقتاد في بوسطة من غير أن يعلم لماذا؟ حتى يصل المعبار، وهناك سيكتشف أنه شاهد على أسير لم يعرفه من قبل، ومن ثم يقتاد إلى المحكمة، ولا يتم إدخاله لقاعة المحكمة بل يبقى في زنازين الانتظار بجوار المحكمة، لمدة لا تقل عن عشر ساعات، ومن ثم يقتاد ثانية إلى المعبار ثم إلى سجنه من غير أن يتكلم معه، لا قاضي ولا محامي، ولتوضيح هذه النقطة ففي كل لائحة اتهام لأي أسير ما يقال عنه شهود، وهؤلاء قد يصل عددهم في بعض القضايا إلى ما يزيد عن مئة شاهد، وهؤلاء الشهود لا علاقة لهم بالقضية لا من قريب ولا من بعيد، وهذا نظام عجيب غريب، ولا يقصد منه إلا إرهاق الأسرى ولا يفهم منه

معنىً قانوني غير الإمعان في التنكيل والتعذيب، فمثلاً أنا الأسير خالد السيلاوي قد يذكر عندي في اللائحة أسماء أعرفها أو لا أعرفها، هذه الأسماء إذا وجد أي اسم منها في أي لائحة أخرى يصبح هذا الأسير شاهداً عليّ، وأنا شاهدٌ عليه، وأنا أصلاً لا أعرفه ولم أره من قبل، فسأنزل عشرات البوسطات إلى المحاكم، إما أن أكون شاهداً أو يشهدون عليّ ونحن لا نلتقي عند القاضي فقط نصل زنزانة الانتظار المجاورة للمحكمة، ثم نعود إلى المعبار ثم إلى السجن، وحتى تعرف خطورة هذه القضية وشدة استفزازاتها، وخاصة القيادات فسيبقى بعض الأسرى شُهاداً إلى أكثر من عشرات السنوات، فبعض الأسرى وقد أمضى أكثر من **١٥** عاماً وهو يقتاد في بوسطات الشهود، مثل الأسير حسن سلامة.

**أما المحكمة الحقيقية:** فهي التي يتم اقتياد الأسير في بوسطة، ثم إلى زنازين الانتظار بجوار المحكمة لساعات طويلة، ثم يقتاد إلى قاعة المحكمة ليبقى واقفاً ما يقرب من ساعة، في قصف ليس فيه حتى كرسي، وعندما يحضر القضاة ويطلعون على الملفات ويتهامسون فيما بينهم، ثم ترفع الجلسة من غير أي كلمة مع الأسير ليعود أدراجه إلى المعبار ثم إلى السجن، وهذا السر خلف هذه البوسطات التي قيد إليها الأسرى جبراً عن أنفسهم، ولو طلب الإعدام من أول يوم الأسير بنفسه، فلن يكون إلا لهذه العذابات التي تتابع وفي أحيان كثيرة ما أن يصل الأسير إلى سجنه، حتى يأتي اسمه بوسطة ثم يغيب أسبوعاً في العذاب حتى إذا ما عاد إلى سجنه مكث يوماً، ويومين أو ثلاثة فيأتي اسمه من جديد، وهكذا دواليك ستبقى هذه العذابات مستمرة إلى أن يأتي الفرج.

**زنازين المحاكم:**

هي زنازين من الباطون وليس فيها أي مدخل هواء سوى شريط طوله تقريباً

٧٠ سنتمتراً، وعرضه عشرة سنتمترات تقريباً وهو مغلق بقضبان حديدية، وهذه الجدران يقدر سمك الجدار بما لا يقل عن ٤٠ سنتميتراً، ولا يتجاوز حجم هذه الزنزانة طولاً وعرضاً عن مترين، وكل جدرانها ملطخة بقاذورات لا تعرف ما هيتها، وعدد هذه الزنازين ٤ أو ٥ زنازين حسب المحكمة، ويتكدس الأسرى في هذه الزنازين وتبقى سلاسل الحديد بأرجلهم لا تفارقهم، وبعد ساعات طويلة يأتي الجنود بسلاحهم في استعراض يراد به الإهانة واصطفاف يراد به إرعاب الأسرى، ويفتح باب الزنازين ليقتادوا أسيراً واحداً، ويمشي مسافة طويلة بهذه القيود الثقيلة، وهناك يوضع في قفص الاتهام واقفاً ليسمع بعد ساعة من وقوفه كلمة واحدة، وهي تأجيل، وبعد أن تأكل البوسطات أجساد الأسرى وتسري الأمراض في جسومهم، وتفتك أجسادهم وعظامهم وسيبقى الأسير لسنوات في اضطراب نفسي وصراع مع ذاته لمستقبل أيامه، ومصير حكمه، وهي بالطبع ستكون جائرة وجائرة جداً.

**عجائب المحاكم:**

يجدر التنويه بداية أن أسرى قطاع غزة اليوم، بعد الانسحاب ليس لهم وضع قانوني عند يهود، فقبل الانسحاب كانت تحاكمهم محاكم عسكرية ورغم أنها جائرة إلا أن العسكري سيحاكم عسكري وهو متعود على هذه القضايا، أما بعد الانسحاب فبقي العدو الصهيوني حائراً في الوضع القانوني لأسرى غزة، وتحت أي محاكم سيحاكمهم، ثم قرروا محاكمة أسرى غزة في محاكم مدنية لتحكم في قضايا عسكرية عدائية، حسب وصفهم وعليه ستكون أقسى العقوبات وبأحكام جائرة ظالمة، لا يعرف العالم لها مثيلاً إلا في كيان يهود، ومهازل المحاكم أكثر من أن تحصر، وحبذا لو تم جمع هذه القضايا من المحامين وإصدارها في موسوعة وسترون عجباً عجاباً، ولكن هنا سأكتفي بقصة أو قصتين أو مثلاً أو مثلين، «اللنش الشهيرة» والتي قتل فيها جنديان في بداية الانتفاضة في رام الله، والذين قتلتهم

الجماهير الغاضبة بعد مقتل واستشهاد ما لا يقل عن **٥٠٠** شهيد فلسطيني بدم بارد، فأمام هذا الغضب الجماهيري وفي مظاهرات حاشدة وقع هذان الجنديان بين أيديهم وقتل الجنديان، ولا يعرف القاتل الحقيقي ولكن المحتل يتعامل هنا بتعامل غريب فكل من ثبت أنه كان في المكان وكل من فرح وكل من سكن في المنطقة، ومن له قريب في منطقة الحدث ومن كان ينظر إلى الفاعل، ومن جاء بعد وقوع القتل، ومن وُجد في جواله تصوير، وهؤلاء زاد عددهم عن الثلاثين أسيراً غالبيتهم حكموا بالمؤبدات، هذا هو حقد المحاكم، والذين يتم اختيار قضاة بعينهم من المتدينين اليهود، ومن المستوطنين أو من وقع في بيته صاروخ، أو في بيت قريب له، فالتعامل مع الأسرى يتم بحقد كبير وعلى أنهم إرهابيون، فهذا الأسير القائد حسن سلامة يطالب القاضي بإعدامه، ويقول هذا الأسير يستحق الموت ولا غير ذلك، فيبتسم حسن على هذا الحكم ويطرب لقرب لقاء ربه، فما كان من القضاة الآخرين إلا أن أيدوه وبشدة ولكن اختلفوا في طريقة الموت فقالوا يجب أن يبقى في السجن إلى ما بعد موته حتى يموت في السجن، كل يوم ألقوه في السجن وأميتوه كل يوم، لأننا لو أعدمناه فسيكون بطلاً قومياً، وسيقتدي به آخرون ولكن اقتلوه في السجن، عذبوه كل يوم، اذيقوه الموت لحظة بلحظة، فهذا القاضي الذي هذا فكره كيف سيكون قضاؤه وحكمه؟؟ وهذا القاضي الذي يرفض عشرات الصفقات بين النيابة، والأسير كيف سيكون حكمه؟؟ في كل القضايا في العالم في كل العالم في كل المحاكمات، النيابة تكون ضد الأسير، وتطالب بأحكام جائرة وعالية حتى تصل إلى الحكم المقبول بعد مرافعات المحامي، فما بالكم بنيابة العدو الصهيوني، والنيابة هنا تمثل الشاباك وتمثل الصهيوني وستطالب بأحكام رادعة وقاسية جائرة للأسير، وهنا يوافق الأسير على الحكم حتى يرتاح من عناء البوسطات، ويسمون ذلك في عرف المحاكم صفقة بين النيابة والأسير أي بين المتخاصمين والقاضي،

الأصل فيه أن يكون وسطاً وحاكماً عادلاً، لكنه هنا من نوع والله يختلف عن كل البشر، وعن كل المحاكم والتي تستأنف على الحكم، وتطالب ألّا مزيد، لكن هنا لقبح هؤلاء القضاة وجرمهم وشناعتهم فإنهم سيطالبون بل سيقضون بحكم أعلى مما تطلبه النيابة، والشاباك ودولتهم الاحتلالية، هنا يأتي دور هؤلاء القضاة ويقولون هذا الأسير يستحق حكماً أعلى وعذاب أكبر، فأحد الأسرى طلبت له النيابة (عن الشاباك والمخابرات الصهيونية)، طالبت بحكم قاسي وجائر، طالبوا بمحاكمة هذا الأسير ٤ سنوات، وهو أصلاً لم يفعل شيئاً يمس أمنهم، ولكن رفض القضاة هذا الطلب ففرح الأسير ظناً أنه سيكون الحكم ثلاث سنوات، فما كان من القاضي إلا أن حكمه **٢٧** عاماً، أرأيت كياناً في الوجود تنقلب فيه الموازين؟ نعم إنهم يهود فالقاتل هو الحاكم والمعتدي، وهو الذي سيقضي وفي كل محاكم العالم، هناك حقوق قانونية للأسير للتخفيف من حكمه عند إثبات حسن سير سلوكه، أو في الأعياد والمناسبات، أو إذا كان السجين أول مرة يعتقل، أو فليس عند السجان الإفراج بعد ثلثي المدة المتواجد عند يهود لجنسهم فقط، وهو الموجود كذلك في كل محاكم العالم إلا عند يهود فيما يخص شعبنا المحتل، وليس عندهم فرق بين أسير بالغ أو أسير قاصر، ثم إن المحامين الذين يرافعون عن الأسرى ومعظمهم من الداخل الفلسطيني، هذا عيشهم وهذا أملهم ومستقبلهم، ورغم ذلك لا يؤخرون شيئاً لأن المحاكم جاهزة من أول يوم في التحقيق، وهي توصيات شاباك لا حكم قضاة، أما هؤلاء المحامون فقط هم يوهمون العالم أن هناك أسرى ولهم محاكمات، وأمام العالم سيقولون هاهم المحامون يترافعون عن الأسرى هذا، وأن شريحة واسعة من الأسرى مقتنعة أن دور المحامين ما هو إلا متمم لدور مهزلة المحاكم، ومن المصائب أن عدداً من هؤلاء المحامين وهو يسوغ هذه الأحكام ويقنع بها الأسرى يقولون لهم هناك مفاوضات، أو صفقات وستكون حتمية وسيعقبها إفراج كبير، ولذلك توكل على الله واقبل الحكم، وستتخلص من عذابات البوسطات وقهر

المحاكمات، وهنا وبعد سنوات لا يعرف الأسير أهذا التأخير في صالح قضيته أم عليه، وكثيرة هي القضايا التي ما زادها التأخير في المحاكم إلا زيادة في الحكم، بحجة أن هذا الأسير قد أرهق القضاة ويجب محاكمته بحكم أكبر.

## ثالثاً: بوسطة المستشفى:

### المجزرة، والقتل البطيء، والأمراض الفتاكة:

أخطر البوسطات على الإطلاق، هي بوسطة المستشفى أو ما يُسمى زوراً مستشفى سجن الرملة، وهذه المجازر البشرية قصتها طويلة، ومن أشد حلقاتها البوسطة وحتى تتضح الحكاية يجب سرد القصة من البداية إن كلمة عذاب ومعاناة وقهر وسجن وتحدي وصراع التي نرددها في كل سطر من هذا الكتاب، والتي نعيشها والتي من خلالها تدرك أن عصب الأسير يبقى مشدوداً لأنَّ التوتر لا يعرف ليلاً أو نهاراً، هذه الأجواء والأحوال كفيلة أن تجعل من كل أسير مريضاً، فنحن نعلم أن كثيراً من الأمراض العضوية مثل القلب والقرحة، وكذلك معظم الأمراض الجلدية، وأمراض الكبد وصداع الرأس وغيرها الكثير الكثير معظم هذه الأمراض في حقيقتها هي أمراض ناتجة عن القلق النفسي والتوتر العصبي والغم والهم الذي يلازم الأسير، وهو يفكر في أهله ووطنه فما بالكم إذا انضم إلى هذه الأسباب الكثير الكثير من الرعب والخوف، والاستهداف المتعمد، والتنكيد والتنغيص لاستقرار الأسرى، بالطبع ستكون حالات الأمراض كثيرة جداً، وما نقصده هنا هو الأمراض العضوية لا الأمراض النفسية، فإن الأمراض النفسية غير معترف بها عند السجان، لأنه يسعى لها ويحاول إدخالها إلى واقع الأسرى، ومعلوم أنه في مجتمع مثل المجتمع الأمريكي فإن نسبة تصل إلى ٨٠٪ من أفراد شعبهم تدخل ولو مرة على طبيب نفسي، ونحن كمسلمين وبما حبانا الله به من طمأنينة الإيمان أقل بكثير من

هذه الشعوب التي لا تعيش إلا حياة المادة، وحياة الدنيا، إلا أنه والحق يقال ومن باب احترام العلوم وتخصصاتها، فإن كل إنسان يمر بمراحل توتر وقهر واعتقال وسجن وتعذيب وحرمان وغربة، فإنه يجب أن يكون له طبيبه الخاص، ولكن هذا غير معترف به عند السجان، والسجان لا يعترف بالمريض إلا إذا كان طريح الفراش لا يتحرك، أو كان يتجرع الألم ويصرخ بأعلى صوته أو كانت دماؤه تملأ الأرض نزيفاً، وليس ذلك فحسب بل هو من يصنع الأمراض وينشر الأوبئة ويفتك بالأعضاء، والعظام فمن أول لحظة الاعتقال يكون الاعتداء بالضرب على كافة أنحاء الجسد من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين، وبكافة أنواع الآلات والسلاح العصي البطي بالأيدي، الركل بالأقدام، إضافة إلى الرمي بالرصاص، وفي التحقيق يزداد الاستهداف، وطرق التحقيق التي منها يراد أن يصاب الأسير بآلام حادة، إما في العمود الفقري بسبب طريقة الجلوس وتكبيل الأيدي والأرجل، وإما في البصر بسبب الأضواء الكاشفة القوية الموجهة لعيني الأسير، وإما في الصداع في الرأس بسبب قلة النوم، وتراكم صراخات المحققين، والمقصد من كل ذلك أن السجان هو نفسه من يسعى جاهداً ليجلب الأمراض والوباء للأسرى، فهل تراه سيسعى بعد ذلك لطلب الدواء لهم أو محاولة التخفيف من أوجاعهم كلا وألف كلا، ترى ذلك ليس من خلال عشرات القصص فحسب بل من خلال آلاف القصص المسجلة رسمياً في مؤسسات حقوق الإنسان والمؤسسات القضائية ولا مجيب ولا مغيث.

**إحصاءات مخيفة:**

من هذه المقدمة يتضح بما لا يدع مجالاً للشك، أن أعلى نسبة مرضى في العالم وبنسبة لا تقل عن ٨٠٪ هي شريحة الأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني، لا يوجد على وجه الأرض ولو في أكثر البلاد تخلفاً وتأخراً وإجراماً مثل هذه النسبة، فما رأينا أمة من الناس المرضى فيهم يفوق عدد المعافين إلا هنا في سجون

الاحتلال، ويا ليت الأمر يقف عند طبيعة المرض ونوعية المرض لهانت المأساة، ولكنه مرض في سجن العدو المحتل القاتل، وفي غربة عن الأهل والخلان، وما أشق أن يلتمس المريض من يواسيه في مرضه، أو يخفف عنه من ألمه فلا يجده ما أصعب أن يستغيث الحر وينادي بأعلى صوته هل من منقذ هل من مداوٍ؟ فلا مجيب ولا ملبي، وهنا يصدق قول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نار نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

وعلى العكس، يا ليتنا نادينا ميتاً أو حجراً أو شجراً، فلم يجب ولم يرد يا ليت الأمر كذلك بل ننادي بشراً يتنفس لكنه ميت الشعور والإحساس، يتحرك لكن كحركة الحيوانات المفترسة فهل هناك رحمة؟ وهل هناك شفقة؟ كلا وربما تظاهر طبيب بأنه مهني ويحترم شرف مهنته، وقسمه الذي أقسمه فكما تعلمون فإن كل طبيب أو ممرض يجب أن يقسم ويتعهد بأن يعالج ويداوي أي إنسان من غير تمييز لدين أو جنس أو عداء أو صداقة، وهنا يتظاهر بعضهم بذلك ولكن تماماً كالثعلب الماكر ما إن يضحك حتى تظهر أنيابه أو كالذئب الغادر ما إن يقدم حتى ينقض على الأسير الغافل، فهل يقدم الطبيب في السجن دواءً؟؟ الحقيقة، نعم، ولكنها الحقيقة المرة، تماماً كمن يقدم طعاماً مملوءاً بسُم أو غدر أو خيانة هنا ستقدم الأدوية على أنها دواء للأمراض، ولكن الحقيقة أنها تجارب على الأسرى مئات الحالات، بل آلاف القصص التي تروى عن هذه التجارب، وإن شئت قصصاً حاضرة فما عليك إلا أن تسأل أي أسير قد تحرر وستجد معه الوقت الكافي ليسرد لك عن نفسه، وعن تجربته قبل غيره وذلك أنه لن تجد أسيراً إلا وعرض نفسه على عيادة السجن، وبعبارة أدق مجزرة السجن في الدول المتقدمة يكون لكل ٥٠ شخصاً دكتور، لكن في السجن لكل ألف أسير دكتور واحد، وهو دكتور عام ويداوم في أيام محدودة فقط ولساعات محدودة.

**كان سجاناً فصار طبيباً:**

وفي الأوقات التي لا يوجد فيها طبيب للسجن، وهو الغالب ينوب عن الطبيب شرطي، يدعي أنه مساعد الطبيب يطلق عليه عند الأسرى لفظ (حونيش)، الأسرى يعرفون كثيراً من هؤلاء كانوا يمارسون مهمة الحراسة في السجن، ويهينون الأسرى بأفعالهم ثم ما تلبث أياماً وشهوراً حتى تجد هذا السجان الذي كان بالأمس يستفز ويعتدي ويقهر حتى تجده وقد خلع بزته الزرقاء، ليلبس بزة بيضاء، هو هو ،، وفي كل سجن شواهد لهذه المأساة المتكررة، ويصبح هذا الحونيش (السجان) هو بمثابة الطبيب العملي، حيث يمر على الأسرى في اليوم مرة واحدة ظهراً، وحتى تعرف وتطلع على حقيقة المأساة وما هو الدور الحقيقي لهذا السجان، يجب أن تعرف حالات وعدد المرضى في كل سجن، وهنا يحضرني موقف جدير أن يذكر ففي أحد الأقسام المفتوحة حيث يقف الحونيش على باب القسم، وينادي من له دواء فليحضر فحضر ما يقرب من نصف القسم، الله أكبر إلى هذا الحد يصل عدد المرضى الذين يتلقون العلاج؟؟ وسيقول متفائل: فهذه ظاهرة إيجابية وها هو السجان كريم مع الأسرى في علاجهم والسؤال الهام هنا، لماذا هذا العدد الكبير وهذه الكميات الهائلة المستنفذة من الأدوية؟ الجواب، فقط لأمر واحد ألا وهو التجارب وهذه التجارب لا تحل المشكلة بل تزيد الأمراض، وتفاقم في تطور هذه الأوجاع ولربما يسأل سائل ولماذا يأخذ هذا الأسير هذه الأدوية؟ والجواب بسيط ومؤلم أما علمت أيها السائل أن الأسير المسكين إذا كان في حالة مرضه، ويحاصر المرض جسده ويئن من شدة الألم، هنا سترى الأسير يتعلق بأي نوع من العلاج من أي طرف مهما كان أصله حتى يتخلص من هذه المعاناة، وإن أشد حالات الاضطهاد وأكثرها مرارة على النفس استغلال حالة الأسير المرضية.

**الإهمال الطبي معاناة القتل العمد:**

ومما يزيد ألم المريض هو الإهمال الطبي، فيتجاهل حوفيش السجن الأسير المريض، ويتعامل مع معظم حالات المرض بسخرية واستهزاء، وكلما عُرضت عليه حالة مرض أسير كان الرد أسرع لا شيء فيه، وهو سليم ومعافي ولا أمراض تظهر عليه، حتى إذا صار الأسير يتلوى من شدة الألم وقوة الوجع، سيتظاهر الحونيش بالاهتمام، لتبدأ مرحلة التجارب في الأدوية ليزداد المرض ويتفاقم المصاب، فأكثر كلمتين ستسمعها في قضية المرض هما، الإهمال الطبي، ثم التجارب، وقد يتساهل قارئ أو سامع هذه الكلمة ثم يذهب يقيس الأمر على نفسه، ويقول عن نفسه: أها إذا بلغ من العمر كذا وكذا، وما ذهبت يوماً للطبيب، ولا دخلت المستشفى ساعة، فما بال الأسرى يتوجعون وما ضرهم لو تأخر الدواء، وما يعلم حقيقة الإهمال الطبي، الإهمال الطبي معناه أن الأسير يتوجع ويشكو ويئن ويصرخ وسيماطل حونيش السجون في استجابته، ومن ثم سيأتي ببطء قاتل وبرودة قاهرة، حتى إذا وصل إلى المصاب كان عنيفاً في كلامه، غليظاً في أسلوبه، جافاً في طبعه، بحجة أن الأسير قد خدش راحة الحونيش، ثم إن غالب حالات السرطان التي سمع عنها القاصي والداني في سجون الاحتلال، كان بإمكان طبيب السجن اكتشافها وعلاجها قبل تفاقمها، ولكن المماطلة والإهمال هما السبب في هذه الأمراض، وكثيراً ما نستذكر نحن الأسرى أنفسنا ونحن خارج السجن، ويجمع معظمنا وكلهم قد نهش المرض في جسده، إننا كنا في أرض العافية لا نشكو من شيء فما الذي تغير؟ وما الذي تحول؟ إنه السجن وعقابه وغذاؤه وهواءه.

**مجزرة السجن:**

ومن الجدير ذكره هنا أنه في كل سجن توجد عيادة (مجزرة) هذه العيادة،

تكون معزولة عن جميع الأقسام، وهي عبارة عن غرفة صغيرة لا يتجاوز حجمها أكثر من ثلاثة أمتار طولاً وعرضاً، فيها غيارات جراحية من يود وقطن ولفاف، هذه العيادة هي المرحلة الثانية بعد تشخيص المرض من قبل الحونيش، فإذا قرر الحونيش أن هذا المريض بحاجة إلى مقابلة الطبيب في العيادة، فإنه سيقدم له تقريراً عن مرضه، ويبقى هذا المريض يتكرر تردده في مقابلة الطبيب، وكل يوم سيجرب أدوية جديدة ثم يقرر طبيب السجن بعد طول عناء واستفحال المرض عن أصله، هنا سيقرر الطبيب إرسال هذا المريض إلى المستشفى، وما هي بمستشفى بل هو سجن فقط كل ما فيه هو بيات الأسرى المرضى بعيداً عن إخوانهم الأسرى المعافين، حتى لا يتم التخفيف عنهم من قبل إخوانهم وحتى يستم الاستفراد بهم، وأحياناً حتى يتم اغتيالهم بعيداً عن أي عين مراقبة، وحتى لا يكون هناك من يعرف طبيعة الأدوية المقدمة لهم، وحتى يتم تجربة بعض المركبات الجديدة من الأدوية وهي فعلاً مكان لتعليم صغار طلبة الطب عند يهود وفي أجساد الأسرى، أعلمت أخي القارئ في أي بقعة من الأرض أن هناك مريضاً يعاني الأمرين ثم يطالب مغادرة المستشفى، ويرفض الدواء والعلاج؟ في الكرة الأرضية يوجد صنفان من هذا النوع إما أنه مجنون، وإما أنه في سجن الرملة المزعوم أنه مستشفى، في كل بقاع الأرض الضعيف المعزول الوحيد له حقوق تصون كرامته وتكفل له الأمن والأمان من أي اعتداء، وتوفر له سبل الراحة إلا في سجون الاحتلال الصهيوني، فالأسير وهو بين إخوانه الأسرى مستهدف ولكن بدرجة أخف لأن في الوحدة ضعف والاجتماع قوة تخيف الجبان، ولو كان هو السجان لكن تنقلب حياة الأسير إلى جحيم لا يطاق، وهو في السجن في أربعة مواضع وهي بالمناسبة كلها تكون وهو بعيد عن أعين إخوانه واحتمائه بهم، وهذه المواضيع هي: (١ـ المعبار ٢ـ الزنازين ٣ـ مستشفى سجن الرملة ٤ـ الشيبوس).

**الشيبوس:**

الشيبوس مكان في كل سجن يزعمون أنه للمريض حتى ينام فيه إذا اشتد به المرض، ويكون هذا الشيبوس بجانب العيادة التي في السجن حتى يتم الإشراف المباشر من طبيب السجن، ومراقبة وضع المريض عن قرب، قد تستعجل وتقول متفائلاً ها هو يوجد اهتمام وعناية ورعاية، لا تفرح ليس الأمر كذلك هذه الشعارات كاذبة، هذه الادعاءات مفبركة، أعلمت مكاناً بهذه المواصفات لا يجب أن يخرج إليه أسير واحد من بين عشرة آلاف أسير، ولماذا؟ الجواب بديهي لأنه مكان عذاب، لأن الأسير بينما هو بين إخوانه الأسرى وهو مريض فيسمع كلمة ترفع من معنوياته وتشد من أزره، وتُخفف من وجعه وألمه وسيجد من إخوانه من يسنده من يحركه من يحمله من جنب إلى جنب، ومن مكان إلى مكان من إخوانه من يقيم حرب كرامة لأجله، ويصنع من المستحيل بطولة تحدي حتى ينتصر لأخيه المريض، ويهدد سجانه ومحتل أرضه فيرضخ أو على الأقل يطرب المريض، وهو يرى همة إخوانه معه، وهنا يأتي الطبيب وبعد إهمال وتباطؤ كبير ليطلب الأسير حتى يكون قريباً من الطبيب بجانب غرفته، التي يسيمها عيادة وسيرفض الأسير ذلك وبشدة، وسيرفض كذلك إخوانه الأسرى من حوله لأنهم يعلمون جيداً أن السجان سيتركه وحيداً يئن ويتوجع ويصرخ، ولا مجيب ولا مغيث له، وأدرك الأسرى هذا الإجرام من خلال مئات القصص التي حصلت أمامهم، ويبقى ينظر الأسرى إلى أخيهم الأسير المريض، وهم لا يعلمون ماذا سيفعلون، وهو يفقد حياته نفساً نفساً، وهو طريح الفراش، وآهاته تملأ الآفاق يصرخ ويصرخ ثم يغيب في غيبوبة، حتى إذا صحا من غيبوبته شكى الألم، وعاد إلى آهاته ثم إلى صراخه، ثم من شدة الألم وهو يتلوى، ولا يكاد يستطيع أن يتنفس وكأنه يختنق وجسده تنخفض درجات حرارته، وتشتد الأطراف برودة يشرف على الموت، وهو يئن أين الطبيب؟ أين المداوي؟

إن هـذه معانـاة يومية، لا يمر يوم إلا وأسـير يصرخ، حيـاة الغرفة التي بها هذا المريض، بل حياة القسـم كلها توتر وقلق الكل يسـمع الصراخ والدواء لا يقدم ولا يؤخـر، كل مـا يمكـن تقديمة هو مسـكنات لترى المـرض بعد أيام وأسـابيع يتفاقم حتـى تصبح المسـكنات هي المرض بعينـه، لأنها تخفي حقيقـة المرض، ولا حتى إذا عادت لا تغني عن الألـم شـيئاً، كان المرض قد اسـتفحل في جسد الأسير، ويبدأ ليسـري المـوت في أعضائه عضواً فعضواً، وما يشـعر به بسـبب المـوت إلا بعد أن ينهش الموت معظم جسـده ثم لا تنفع المسـكنات ولا الأدوية، وقد جلس الشباب في صمت وهدوء يحوقلون ويسترجعون أمام أخيهم المريض، ويأتي جاف الطبع، غليظ القلب، ميت الشـعور والإحسـاس والضمير، يهود حاقـد، ليقول بوقاحة هذا ليـس مريضـاً، هذا يدعي أنه مريض وصحته جيدة ووضعـه لا بأس به، عبارة متكرر ويسـتفزون بها الأسـرى المرضى عموماً، وقالوها مراراً وتكراراً، واستشهد الأسير أمـام إخوانه، وبين أيديهم وماذا سـتنفع هذه الكلمـات الميتة: صحته جيدة ووضعه لا بأس به، ومن ذا سيحاسـب هذا السـجان القاهر؟؟ وأين سـتصرف هذه الروشتة صحته جيدة، ووضعه لا بأس به.

**قصة متكررة ومحيرة:**

ويعجبني هنا ما قرأته من رسالة لأحد الأسرى، وهو يظهر حالة مرضية أمام عينيه، سأقتطف منها ما يناسب المقام حيث قال: لعل الصورة التي تطبع في عقولنا وقلوبنا هي صورة الصمود، ويرفض الكثير فكرة تقديم الأسرى كمعاناة إنسانية وألم يحرق قلب الأسير، وغصة لا تنتهي مرارتها، وهي معاناة تستحق تسخير كل الطاقات والمقدرات، لإنهاء هذه المعاناة، وسأسوق لكم أمثلة منها: قصة ذاك الشاب الذي دخل إضراب عام ٢٠١٢، وهو يعاني من قرحة في معدته، كان كل يوم يشرب ماءً، وبعد دقائق يستفرغ الماء دماً، دماً أحمر، نعم كان يصرخ بألم وآهات، ونحن نتحلق

حوله لا يستطيع أحدنا فعل شيء سوى الدعاء، والتربيت عليه، حتى يطمئن ويشعر أنه ليس وحده، ولكن هل ينهي هذا عذابه؟ هل يقطع ألمه؟ هل يسكت صراخه؟ كلا.. لأن رحلة العذاب مستمرة، وستستمر إلى **٢٨** يوماً، إنها قصة بطولة حقاً، ولكن أريدك أن تقرأها من زاوية أخرى، إنها قصة انسان يتألم هل تعرف معنى هذا؟ هل تشعر مرارة هذا؟ خاصة وأنك في يد العدو، بل في يد أخبث أعداء الله، ثم يمضي هذا الأخ يسرد قصة أخرى ويقول: في يوم ما مرض أحد الأسرى شعر بداية الأمر وهو في جلسة القرآن بألم في مؤخرة رأسه، ثم شعر بثقل في يده اليسرى، حاول تحريك أصابعه فلم يستطع، اعتذر عن الجلسة وتمدد على الأرض، ومرة واحدة زاد ضغط الدم واشتد ألم رأسه، وفقد السيطرة على نفسه، دموعه تنهمر، قدماه تضربان الأرض، يصرخ ويصرخ ويصرخ هُرع إليه إخوانه، قالوا: قربوه من الباب، فأخذ يضرب رأسه بالباب ثم ابعدوه عن الباب وهم يجرونه إلى وسط الغرفة جراً، واستمر في صراخه حتى رأتيه يمد السبابة ويحرك شفتيه أظنه نطق الشهادتين، جاء الممرض وبيده جهاز فحص كان المؤشر يهبط بصورة مرعبة كان ٨٠ فنزل إلى ٧٠ ثم إلى ٦٠، ثم تم إخراجه على وجه السرعة من الغرفة، ومن القسم، في الغرفة كان بعض الشباب يصرخ لا يدري ماذا سيفعل، وأخر يبكي، وآخر وقف في آخر الغرفة لا يهمس بكلمة، قال أحدهم شغلوا هواية (مروحة)، فأسرع أحدهم وشغل الكمكم للماء الساخن بدلاً من المروحة، وهو لا يدري من شدة حالة الهلع، قسماً بالله كان هذا المريض ينازع ويحتضر، فماذا عسانا نفعل له؟؟!

**مجاهد يتخبط وسجان يتعجرف:**

هـذه القصـص هي حيـاة يومية للأسـير، وكلمات اسـتمرت السِّـنون تمضي ازدادت زاويـة هذه الأحداث، وما أشـد العجز، وما أصعـب القهر على الحر، الحر المجاهد، القوي الصامد، ما أشـد نكبته، وما أعظم مصيبته وهو يرى هذه الحالات

تتكرر، وهو لا يحرك ساكناً، لا يستطيع فعل شيء فهو مجاهد، وهو مقاتل، وهو عابد، وهو كل شيء، ولكن هو في سجن، ولا يملك أدنى مقومات الإسعاف الأولي، وماذا عساه يفعل في ألم يزداد ومرض يفتك، وداء يتفاقم، إن شئت أن تطلع على حقيقة الأحرار في مثل هذه الحالات، ستراهم في حيرة، تردد، تخبط، ماذا ستفعل؟ هل يشعر بنا أحد؟ هل يرانا أحد؟ وهنا تكون وستكون الأشد ألماً ووجعاً، تلك الحالات المرضية الخطيرة، بالذات والتي يراها كل الأسرى، وهم يسمعون الصراخ وهم يرون أخاهم الأسير المريض بفعل المحتل السجان، ينقل ويحمل صباحاً على الحمالة، ويعود ليلاً ثم في الليل يشتد الألم ويصرخ، ويبدأ الشباب بالتكبير والطرق على الأبواب والضرب بكل ما أوتوا من قوة، ليحدثوا احتجاجاً على مماطلة السجان، وليعجل السجان بنقل الأسير المريض إلى المستشفى، والسجان يتغطرس ويتعجرف، وتارة يدعي عدم وجود دكتور، وتارة عدم وجود مدير، وأخرى عدم وجود سيارة إسعاف، وثم تكون هذه الآهات، وهذا العجز وهذا الضغط وهذا القهر، قصة حديث الأسرى، ويقول بعضهم لبعض: تُرى ما الحل؟ وهل سنبقى هكذا حتى تدور علينا الدوائر، مات الأسير الفلاني، وثم الفلاني، وثم الفلاني، وها هي الأمراض تطال الأسير الفلاني؛ السرطان الخبيث ينتشر في جسد فلان، والكبد الوبائي يفتك بالأسير فلان، ونحن ننتظر نفس النتيجة، الأسرى على الدور، أسير يتلوه أسير، وحتى من لا يؤمن بنظرية المؤامرة، يرى أن كثيراً من هذه الأمراض المنتشرة بين الأسرى هي بفعل متعمد من السجان، يقول أحدهم: يجب إرسال رسالة حادة إلى القادة، ويقول ثاني: يجب إرسال صور، ونحن بالأكفان، ويقول ثالث: نخشى إن قمنا بكذا وكذا يزداد الضيق والملاحقة علينا، وتخترع الحجج لاختلاق انتهاكات جديدة، ويفكر آخرون باللجوء تجاه الإضراب عن الطعام، وتمضي أيام، ويكون هذا هو الحديث الذي يتجدد في كل مكان حالة مرض

خطيرة، والله إن أعصب القهر هو أن تشعر، وأنت في السجن، بل تتيقن أنك عاجز فاقد القدرة على التصرف إزاء هذه الحوادث، ولا طبيب في السجن حتى ولو كان عدواً، إلا في سويعات من نهار، والمريض يصرخ في عتمة الليل، والضابط يتمطط ويتمغط في كلامه، ولا خيار عنده إلا انتظار الصباح، لا خيار لأنه لا يعرف إلا القتل والعذاب، فلا يعرف غير ذلك هنا سترى أخاك الأسير يكاد يفارق الحياة وينكمش على نفسه، ثم يضرب بجسده وجسمه الأرض، ومنهم من يتلوى على الأرض ذات اليمين، وذات الشمال، ومنهم من يفقد وعيه فيغمى عليه، ثم يأتي الضابط وهو يتمطى ليقول: لا يمكن إحضار طبيب الآن، اصبروا حتى الصباح، وإن زدتم في الضغط والتذمر فستندمون، لأننا ببساطة سنأخذه إلى الشيبوس، وهناك سيكون بمفرده، فأنت أيها القارئ ماذا ستختار؟ بالطبع فإنك أمام هذين الخيارين، ستختار وربما تنهار، وهذا هو الإهمال الطبي بعينه.

**طابور الهلاك:**

وفي السجن ولكثرة حالات المرض وانتظار الطبيب سيصطف الأسرى المرضى على الدور، ويسجل كل مريض اسمه، وهنا ستكون المعضلات والمشكلات والأزمات، حيث سيسمح لعدد محدد، في يوم محدد لمقابلة هذا الطبيب للقسم، يومان في الأسبوع ويمنع مقابلة أكثر من أسيرين، بمعنى أنه سيكون قد سمح لأربعة أسرى في الأسبوع بمقابلة الطبيب، وأين سيذهب الباقون؟ وهنا سيحتار الأسرى في أيهم يقدم، وأيهم الأخطر، وسيكون خلق الإيثار هو سيد الموقف، ولكنه إحراج شديد، ويجدر التنويه إلى أن هذا الزحام، ليس أملاً في العلاج، وإنما هو طريق وسبيل المضطرين، فما حيلة المضطر إلا دق أبواب سجان قاهر، حيث يفترض بالإنسانية أن تتحد وتتفق في محاربة أعدائها، والمرض هنا هو عدو الإنسانية، ويفترض أن يشكل البشر جبهة واحدة، أو هكذا يظن الطيبون منهم، ولكن هنا تشذ عن البشرية، وتنسلخ

من الإنسانية هذه الشرذمة الصهيونية، فماذا سيفعل هذا الشرذمة الشاذ المسمى «طبيب عام»، فقط عندما يصله الأسير المريض، سينظر إليه نظرة خاطفة، وقد لا يرى شكله أو منظره أو لونه، وأحياناً سينظر إلى ملف الأسير، ليأمر بعودته إلى السجن من غير أي علاج أو دواء أو حتى سماع مشكلة، وأكثر الأدوية شهرة بين الأسرى وتمتلئ بها مخازن السجان، هي حبة الأكمول، والنصيحة التي تعلمها الطبيب على مدار مهنته، هي فقط أن يأمر المريض بشرب الماء، هذا إذا وصل المريض إلى الطبيب، فكثيراً ما يتم اقتياد الأسير إلى غرفة الانتظار، وبعد ساعات إلى عيادة السجن، ثم يجد هناك شرطياً يتدرب ليساعد الطبيب، ليقوم هذا الشرطي بدور الطبيب، فيسأل المريض عن مرضه، وبعدما يسمع من الأسير المريض فإن الجواب: إن الطبيب غير موجود الآن، اليوم عنده إجازة، هنا سيجن جنون الأسير، ويشتد ضجره وتذمره، إذا فلماذا من الأساس يتم اقتيادي وتعذيبي؟ وهم يعلمون جيداً أن الطبيب (الجزار) غير موجود أصلاً.

**العين هي الأذن عند الحوفيش:**

إن هذا الشرطي المساعد الحوفيش، لن تجد أسوأ من معاملته، ولا أحقر من أخلاقه، ولا أرذل من عباراته وهذا حوفيش في سجن نفحة، يسمي نفسه (أنور)، وما هو إلا ظلام، ويعمل حوفيش في السجن، وله أكثر من عشر سنوات، وهو يزاول هذه المهنة من غير أن يتبدل، فقط لأنه يتقن مهنة استهداف الأسرى، ولا تسأل عن أعداد المرضى الذين تضاعف مرضهم، أو اختلقت لهم الأمراض بسببه، وفي ذات يوم، طلب أسير من هذا الظلام قطرة تنظيف لعينه، لأن بها احمرار وحرقة شديدة، وهذه القطرة حسب قانون السجان يمنع حيازتها للأسير إلا للاستخدام مرة واحدة، على أن تعاد ثانيةً لهذا الحوفيش، واستلم الأسير القطرة المكتوب عليها باللغة العبرية، وعندما قام أخوه الأسير ليقطره، كانت المفاجأة، فما أن سقطت في عينه

اليسرى أول قطرة، أول نقطة حتى صرخ هذا الأسير صرخة مدوية وأصابت عينه حرقة شديدة، وصار يلوي على نفسه، ولا يعرف أين سيذهب وما يدري الأسرى من حوله ماذا يجري له، وببرودة ردة فعل الحوفيش باهتة، وكأنه ينتظر هذه اللحظة، ليسأل باستخفاف وكأنه لا يدري ماذا حصل؟ هل وقعت القطرة في عينيه؟ وعندما استلم القطرة، قال هذا بالخطأ، هذه قطرة أذن وليست قطرة عين، فقط يغسل عينه ولن تضره وسيذهب الألم، فهل هذا صحيح؟ كلا.. فقط غسل الأسير عينه مرات، ومرات وما ازداد الألم إلا شدة، وذهب الحوفيش في طريقه، وهو راض عن إيذائه وقمعه وقهره، ولم يعط الأسير قطرة العين، فهل سيطمئن إليه أسير بعد ذلك؟! إن هذا الظلام، الحوفيش؟ هو من سيحدد هل هذا الأسير مريض أو لا؟ ليس ذلك بخبرته، بل حسب مزاجه، والقلم هنا يعجز في سطور محدودة أن ينقل معاناة آلاف القصص، التي مرت على الأسرى، لأنها معاناة يومية فيها استهتار بقيمة الأسير، واستحقار لكرامته، بل استخفاف بقيمة البشر بطريقة مدروسة وممنهجة، والكلمات التي هي عبارة عن ألفاظ في هذا السياق، هي في حقيقتها ألم وعذاب ومعاناة تُكتب بالحروف لكنها تترجم بالدم.

**إهمال لا إمهال:**

إن أصعب عقاب وأشد عذاب هو الانتظار، وهذا العذاب يتقن السجان استخدامه، ويستخدمه من أول لحظات الاعتقال، وما يزال يرافق الأسير، هو انتظار لكن معناه إهمال، فأول إهمال هو عندما تلقى على الأرض مكبلاً لساعات طويلة، إما في حر الصيف والشمس تكاد تحرق الأرض، أو في برد الشتاء القارس، والأسير عريان إلا من جلده الذي سيقاوم البرد، ويهود ينظرون إليه بضحكات لا تسمى إلا حقيرة، ثم هو في زنازين التحقيق سيلقى وبعبارة يهود (سيرمى)، وسيبقى الأسير ينتظر وهم يهملون، وسيكون هذا العذاب وطول الانتظار هو العقاب اليومي، وهنا

فهمت في السجن معنى قولهم المشهور «الانتظار أشد من الموت» وذلك من شدة قهره وعذابه، وإن أشد حالات الانتظار موتاً وهلاكاً، هو انتظار العلاج والشفاء، وهنا سيكون معناه الاحتضار لا غير، فكم من أسير كاد يكون في سير الشهداء، وهو ينتظر الموت من شدة ألمه ووجعه، والانتظار هنا طويل وبطيء جداً، فلا تقابل الطبيب إلا بعد إجراءات معقدة وطويلة قد تمتد لأسابيع، ليهز رأسه وهو يستمع إليك ويفهمك أنك بصحة جيدة، ويعود الأسير مرة أخرى يطالب ويصارع من أجل حبة دواء تخفف من ألم رأسه، أو حنجرته، أو كبده، كانتشار الشيب في العجوز الهرمة، وكلما عاد الأسير المريض إلى الطبيب عاد ليؤكد له خلوه من أي مرض، حتى إذا ما عاد يستطيع هذا المريض الوقوف على العدد، أو ينزف دماً، أو يغمى عليه ويغيب عن الوعي، فهذا يستحق أن يرفع اسمه للمستشفى، ولكن أيضاً بعد انتظار طويل ولكن هنا وقفة هامة ضرورية حول المستشفى المزعومة.

**سجن يزعمون أنه مستشفى:**

هذا المستشفى المزعومة هو المعروف بسجن الرملة، وفيه للأسرى الأمنيين قسم واحد لا غير، لأكثر من خمسة آلاف أسير بل كان لعشرة آلاف أسير، ولكن الأسرى قل عددهم بعد الإفراجات، في هذا القسم أربع غرف، يتم تجميع المرضى فيه من جميع السجون ليوهموا المؤسسات الدولية أنه يوجد رعاية طبية للأسرى، ولكن خلف أبواب هذا المستشفى المزعومة يوجد ما لا حصر له، وما لا يحصى ولا ينسى من قصص القهر والألم والمعاناة، وهذه الغرف الأربعة، لا تتسع سوى لأربعة وعشرين أسيراً، مع العلم أن هناك أسرى مرضى دائمين لا يخرجون من هذا السجن، لخطورة وضعهم، ووجوب وجودهم تحت أجهزة معينة، أو يحتاجون لرعاية طبية يومية مثل غسيل كلية، أو مرض يخرجون برازهم عن طريق برابيج موصولة ببطونهم مباشر، وما شابه ذلك لكن يجدر التنويه إلى أن الحكاية مع

المرض لا تبدأ من المستشفى، وإنما تبدأ من عيادة السجن، التي تماطل وتهمل عن قصد وعمد حتى إذا استفحل المرض، وتفاقم وضع الأسير الصحي وأصبح خطيراً هنا يكون له حظ في المستشفى، وهذا السبب وهو الإهمال هو السبب الحقيقي وراء حالات المرض الخطيرة داخل السجون، فالآن وأنا أكتب هذه السطور عندنا في السجون **٢٧** حالة مرض سرطان من النوع الخبيث الخطير، وكان من المفترض اكتشاف هذا المرض مسبقاً، ولكن المماطلة والإهمال سبب أساسي وراء تفشي مثل هذه الأمراض بين الأسرى، وثبت غير مرة أن السجان يعلم علم اليقين حالة الأسير المرضية ويرفض الاعتراف بمرضه حتى إذا عجز الأطباء عن العلاج، أعلن اكتشاف المرض وصعوبة تجاوزه وشفائه، ثم عندما استحق هذا الأسير العلاج في المستشفى، وقد اشتد به الألم وأصبح المريض لا يستطيع الحراك، هنا سيأتي دور البوسطة لتقتل ما في الأسير من حركة، ولتدمر ما تبقى فيه من صحة، ولتمزق جسده، وأمعاءه فبعضهم مات شهيداً، وبعضهم أفرج عنه ليعيش بين أهله لا حراك فيه، وبعضهم ما يزال ينتظر الموت في السجن، الآن ستبدأ المعاناة، معاناة البوسطة لأنها ليست بوسطة واحدة بل بوسطات متتابعة متلاحقة، وإليكم مثال وهو قصة حقيقية، وهذا أسير وله مرض بسيط وهو (فتاق)، ويحتاج لعملية بسيطة بالليزر، وهنا بدأت المعاناة من عيادة السجن التي تنكرت كثيراً لهذا المرض، حتى إذا تفاقم تم تسجيله على الدور للمستشفى، وهو طوال فترة الانتظار لا يستطيع الكحة، ولا التنفس، ولا أي نشاط لأن كل شيء من هذا القبيل سيزيد في المرض، مع مصاحبة قوية مؤلمة لكل حركة، ثم يأتي دور البوسطة التي ستمكث في الباص لوحده **١٦** ساعة، وهو يرج وبعد كل معاناة البوسطة، سيصل إلى المستشفى المزعومة، وهناك سيمكث يوماً واحداً ليطلع عليه طبيب يزعمون أنه مختص، ليكتب تقريره ويعود المريض في بوسطة عودةً إلى سجنه، ثم بعد شهر تقريباً يعود لسجن الرملة

(المستشفى المزعوم) للتصوير، ثم يعود إلى السجن ثم تحدد له بوسطة أخرى في موعد أقله شهر، ليصل إلى المستشفى المزعوم فيجد الأطباء قد أضربوا عن العمل ليعود إلى سجنه، وهكذا ستستمر الحالة شهوراً، ثم يأتي دور العملية الجراحية البدائية، ويفتح بطن الأسير وبجرح كبير ثم يخيط بخيوط بدائية بعذاب كبير، وهنا من البديهي أن من يعمل عملية فتاق، فقواعد السلامة تقتضي بقاءه في المستشفى حتى يلتئم الجرح، ولكن هنا في اليوم التالي من العملية يطلب من الأسير بل يقتاد إلى سجنه، وهذا يتطلب من الأسير أن يمشي مسافة طويلة، وهو مقيد ومكبل في يديه ورجليه، ثم يمكث طويلاً في غرفة الانتظار، وتلاحقه التفتيشات المهينة، ثم يركب باص البوسطة في مدة تقدر بـ ١٦ ساعة ليصل إلى سجنه بعد إرهاق شديد، وهذه الأوقات ما بين وقوف وجلوس مع سوء تغذية فهل سيلتئم الجرح؟؟ هنا ستنزل الرحمات على المسؤول عن العملية ليطلب الأسير ليطمئن على حالته في مدة لا تصل إلى أسبوعين ليعود الجرح إلى سابق عهده وكأنه فتح تواً، وهكذا يستمر الحال ذهاباً وإياباً، وقد مكث صاحبي هذا عاماً كاملاً بعد العملية وجرحه يزداد وما التأم.

**من خيرة الشهداء ميسرة:**

وسأتطرق هنا لمعاناة الشهيد المحبوب للأسرى جميعاً، إنه الأسير ميسرة أبو حمدية [أبو طارق] الذي لم تجف دماؤه بعد، واستشهد بينما كنت أفكر في صياغة رسالة من أجل المرض، فالشهيد ميسرة وهو من خيرة رجالات الأسرى ويبلغ من العمر قرابة الستين عاماً، نشيط بين إخوانه الأسرى يحاضر ويناقش ويبعث الهمم، لا يعرف للنوم طعماً لأنه الساهر على راحة إخوانه الأسرى، لا يترك الكتاب من يديه إلا إذا أنهى فيه آخر صفحة، لا يسبقه أحد في مضمار التنافس في القراءة والمطالعة والنقاش والحوار والأخلاق والأدب وفي ذات يوم أحس بألم في حنجرته ذهب

للعيادة مرة، ثم مرات، يقول طبيب السجن الجزار للرجل الذي لا يعرف التوهم أبداً، لا يوجد عندك أمراض هذه توهمات، اشتد المرض، واشتد، ومضت الأيام وصار يتقيأ الدم، ويغيب عن الوعي، ويغمى عليه ثم بعد عناء طويل، ومماطلة كبيرة، وإهمال مقصود تم قبول اسمه وسمح له أن يوضع على قائمة الذبح السريع، وافقوا على تسجيله للمستشفى، ثم بدأت المعاناة الأكبر وصارت بوسطاته تتلاحق وتتكاثر، ما يكاد يخرج من السجن إلى مستشفى سجن الرملة، حتى يعود إلى سجنه، وهكذا أرهقوه بكثرة البوسطات، وقتل قبل أن يقتل مرات ومرات، وهم ما يزالون يجرون له الفحوصات التي حسب زعمهم الكاذب لم تكشف أي مرض، ولا شيء عنده هكذا يقولون، حتى إذا استمر على هذه الحال وقد كان وزنه يقارب الثمانين كيلو نزل إلى السبعين، ثم نزل إلى الستين، وهم يقولون أجرينا الفحوصات لا أثر لأي مرض، أخذوا عينات من دمه، وعينات من جلده، وعينات من لعابه، وعينات من بوله، وعينات من كل جسده، ثم أرهقوه بمزيد من البوسطات، وهو في هذا العمر وبعذابات لا يتحملها أصلب أهل الأرض عوداً، وأخيراً وبعد ثلاث سنوات أعلن الطبيب فجأة أنه مصاب بمرض السرطان، ولكنه خفيف وفي بداياته، ويمكن التغلب عليه فصاروا ينقلونه من بوسطة إلى بوسطة، ومن سجن إلى سجن، وكلما اشتد غضب الأسرى في سجن من أجل الشهيد والأستاذ ميسرة، عاقبته يهود بنقله إلى سجن آخر، ثم هبط وزنه إلى خمسين كيلو، ثم خفت صوته وصار يتكلم بصعوبة، وفي صوته بحة، ولا يستطيع الاستمرار في أكثر من خمس دقائق، وهو يتكلم، ومن أراد أن يسمع صوته وحسه، يجب أن يكون بجانبه بمسافة لا تزيد عن متر واحد، ثم أصبح جسمه لا يقوى على الحراك، ينام على سريره، يتذكر بعض أصحابه وهم حوله، وينسى آخرين، تقوم قيامة الأسرى يضربون بكل ما يستطيعون على الأبواب يحتجون بكل ما يملكونه من عزيمة وإرادة، لينقذوا أباهم وأستاذهم

الأسير المريض، يناشدون المؤسسات الحقوقية، يبلغون وسائل الإعلام وما يزال الملف الطبي سري للغاية، ممنوع أن يستلمه الأسير نفسه، فضلاً عن أي جهة أخرى، ليبقى في يد طبيب السجن حتى وصل أخيراً إلى سجن إيشل، وكل يوم يحملونه على الحمالة لعيادة السجن يخرجون به بوسطة، ويعودون به حتى قال اتركوني أموت من غير علاج، لا أريد سفريات البوسطة لا أحتملها، هؤلاء يقتلونني، ولا يعالجونني، ويتأكد الأسرى أن أستاذهم يتعرض لمحاولة اغتيال، بانت خيوطها، وظهرت بعض أماراتها، وفلتت بها بعض ألسن العدو في غفلة من أمرهم وهم لا يشعرون، وقبل استشهاده بأسبوع تقريباً وهو أمير حماس في السجون، هدد وتوعد رئيس استخبارات السجون أنه يجب الإفراج عنه فوراً، لأن وضعه لا يحتمل فيتحجج رئيس استخبارات السجون، وهو يقول لسه وضعه بخير، وسيعيش طويلاً، ويضرب إخوانه الأسرى عن الطعام، لأجل الإفراج عنه ليودع أهله قبل الموت المؤكد، وليس لهم في هذا الإضراب إلا هذا الطلب، لأنهم يرونه أمام أعينهم يموت نفساً نفساً، وفقد معظم ذاكرته وصارت غيبته أكثر من وعيه، وصارت هلوسته هي الديدن، حتى خرج يوماً في بوسطته الأخيرة فجر السبت، وهو مكبل اليدين والرجلين وهو محمول على الحمالة، لا يستطيع الحراك يعذبونه حتى الرمق الأخير، وقد مضى على إضراب الدفعة الأولى من إخوانه يومان، وستنظم القوافل من المتطوعين تباعاً حتى جاء الخبر الصادق، خبر استشهاد هذا البطل معلم الأجيال، وقائد المسيرة، ولكن كيف كان استشهاده، كانت عملية اغتيال واضحة سافرة، رحلات طويلة، وطويلة جداً من عذابات البوسطة، فلعل هذا هو العلاج، ثم بعد استشهاده اعترفوا أنه أصابه السرطان بكافة أنحاء جسمه، واحترّت السجون، واهتزت مشاعر الأسرى، وانتفضت كل قلاع الأسر، ثم الضفة، وغزة، ثم ما هي إلا أيام، وها هي قافة المرض، والاغتيالات في خيرة الأسرى تسير بانتظام، وتنتظر قافلة على الدور، وماذا سيفعل الأحرار ممن

هم خلف وخارج الأسوار؟ فقط سيخرجون في مسيرات لنعي الشهيد، ولا يستطيع أحد أن يقدم، أو يؤخر لهؤلاء المرضى في سجون الاحتلال، وهذا السبب الحقيقي الذي جعلني أكتب عن المستشفى، في فصل البوسطات، لأنهم قتلوا الأسرى في البوسطات، ولأنها هي الألم الحقيقي، والعذاب الحقيقي، وهي الرفيق للمريض الذي ستكون سبباً في هلاكه، وفتكه، وحينما أذكر بوسطة المريض، يجب أن تستحضر وتتخيل كل الإجراءات الإجرامية، والتعسفية فيها إجراءات داخل القسم في السجن، وإجراءات داخل السجن من غرفة انتظار إلى غرفة انتظار، ومن تفتيش إلى تفتيش، ومن انتظار إلى انتظار، ثم إجراءات قبل ركوب الباص، وإجراءات أثناء ركوب البوسطة، ثم عذابات الباص ثم إجراءات عند النزول من الباص، وإجراءات عند السجن الجديد، وإجراءات عند دخول المستشفى، فهذا الأسير الذي لا يستطيع المشي، لن يساعده أحد يمشي ويقع ينزف الدم من قدميه، تتورم قدماه من السلاسل التي تجرها قدماه مسافات طويلة يقطعها مشياً، وهكذا يراد وفي كل بوسطة، فكيف إذا تتابعت وتسارعت؟

وهل هناك مستشفيات غير سجن الرملة؟؟ صحيح نعم ولكن بإجراءات أشد وعقوبات أنكى، فلا تظن أن الأمر هنا أفضل كلا فسيكون في قدميك ثلاث سلاسل، وفي يديك سلسلتين، ثم الثالثة ستكون مقيداً، أنت وشرطي فيها سوياً، وهنا ستكون تحت سيطرة الجنود، وبلباس السجن لتترك أمام يهود المستشفى المتطرفين، وهم ينظرون إليك بازدراء، ومنهم من يسب، ويشتم، ومنهم من يبصق، حتى إذا وصلت الغرفة المقرر أنها للأسرى، وفيها سرير واحد يتم تجريدك، من الثياب ثم ينام الأسير على السرير الحديد، وهو مكبل اليدين والقدمين، في السرير كل يد في زاوية، وكل قدم في زاوية، ليكون حاله يشبه علامة الضرب في الرياضيات X، كل ذلك بداعي الحذر حتى لا يفر، وهو أصلاً لا يكاد يستطيع الحراك، فكيف سيعالج الأسير هنا

والمريض في كل العالم بحاجة لمكان مريح، وإلى هدوء واستقرار ومعنويات لا العذابات، والازدراء، وتمني الموت، والاستهداف في الجسد والنفس.

**الأسير رامي زويدي ما يزال يعذب بمرضه منذ عشر سنوات:**

وهذا الأسير البطل رامي زويدي، والذي قصته تملأ صفحات الإنترنت ولكنه واقع نراه أمامنا، لا على صفحات النت في عام **٢٠٠٣** شعر بوجع خفيف في مفاصل يديه ورجليه، طالب مراراً مقابلة الطبيب ولكنهم رفضوا، ثم عندما سمح له بمقابلة طبيب السجن (الجزار)، كانت إجابته المتكررة هذا توهم ولا حقيقة، لما يدعيه هذا الأسير ثم تثاقل جسمه عن الحركة، وصارت أنفاسه تتلاحق لأدنى جهد، والإرهاق لا يفارقه، ويبقى نائماً مستلقياً على سريره، ثم يدعي هذا الطبيب أنه لا أمراض فيه، ثم صار لا يستطيع الحراك، وبقي على سريره شهراً كاملاً، وكلما جاء العدد يوقفه إخوانه يحملونه حملاً، لأنه يجب أن يقف ولأن الطبيب (الجزار)، يرفض الاعتراف بهذا المرض، فهذا عنده مجرد وهم لا يأكل ولا يشرب إلا قليلاً، ذهبت نضارة وجهه، وظهر الشحوب في ثنايا جسده بالكامل، وصار كل من حوله مريضاً بسبب مرضه، ولا يستطيعون أن يقدموا شيئاً سوى الدعاء، واللعنة على الظالمين، ثم أخيراً وبين إهمال حال أمره، ومماطلة ما أصعب لحظاتها، قرر الجزار إحالته إلى طبيب مختص خارج السجن، ولكن إلى أين؟! إلى المستشفى المزعومة، إلى سجن الرملة إلى المجزرة التي سقط على إثرها الشهداء، خلف الشهداء، ثم صاروا يقتادونه في بوسطات متلاحقة، يذهب ويجيء في البوسطة محمولاً على أكتاف إخوانه الأسرى، وما يزال يدعي السجان أنه لا أمراض فيه، ثم صار لا يستطيع الحراك بتاتاً، وصار إخوانه يتحلقون حوله عساهم يخفضون من مصابه، وهو لا يستطيع حتى الكلام، ولا يستطيع حتى أن يطرد الذباب من على وجهه، وصار إخوانه هم من يشرفون حتى على قضاء حاجته، وتوضئته، وتغسيله، ثم ما يزال هذا الجزار الذي يزعمونه

طبيباً مختصاً، ما يزال يزعم خلوه من أي مرض، ويزعم أن الفحوصات تثبت سلامة صحته، وصاروا بدلاً من توفير الراحة له يعاقبونه ببوسطات متلاحقة، وينقلونه من سجن إلى سجن، ومن بوسطة إلى بوسطة، ليمكث أربع سنوات كاملة على هذه الحال البائسة، ثم بعد ذلك وبعد أن وصل المرض حتى النخاع، وتمكن من كامل جسده، وسيطر على كل خلية في جسمه، ولما تأكدوا أنه سيبقى هكذا على هذه الحياة إلى آخر عمره، ولما أيقنوا أنهم قد انتقموا منه، هنا أعلنوا اكتشافهم لمرضه، وما كانوا يزعمونه توهم صار مرضاً خطيراً وخطيراً جداً، وصارت عند يهود مشكلة ليس لأجل صحة هذا الأسير، وحفاظاً على كرامة الإنسان، المشكلة عندهم أن علاجه سيكلفهم ثمناً باهظا، ولذلك كانوا يحملونه حتى إذا قارب الهلاك وصار يسعد هو ومن حوله للحظة استشهاده، هنا أدركوه بالإبر، فهو الآن يعيش على الإبر، وحتى تتخيل مدى إمعان السجان في قهر الأسرى، ما يزال هذا السجان بين الفينة والأخرى يمنع الدواء، والإبر عن هذا الأسير لتعود حالته إلى الصفر من جديد، والحجة عندهم والتبرير جاهز؟ أن الإبر قد نفذت من المستشفيات حتى من كل شيء في الكيان الغاصب وسيعطونه بدائل؟ وما حيلة المضطر، وماذا سيفعل هذا الأسير وكل من هو على مثل حالته ومثل هذه الحوادث لا تتوقف عن هذا الأسير بل هي قصص متكررة فقط إذا قرروا استهدافه ينقلونه إلى سجن جديد لتبدأ المعاناة من جديد، وستبدأ الأدوية الجديدة التي يزعمونها بدائل وهي في حقيقتها تجارب لأدوية جديدة وموطن تجاربهم أجساد الأسرى لا غير، وإلا فإن حالته معروفة يعرفه كل أطباء السجون، ونحن هنا عندما نذكر هذه الحادثة فقط لنضرب مثالاً، وإلا فإن الإجراءات واحدة، والاستفزازات واحدة والالتفاف واصطناع الأمراض متكرر، فكل حالات الأمراض المزمنة الخطيرة تستهدف بالنقل من سجن إلى سجن، وعند كل سجن جديد يتم تجاهل حالته المرضية، ودوائه ليتم فحصه من جديد، ويدعون

عدم معرفة الملف القديم أو يدعون أنه يجب تجديد الفحص، ومعنى ذلك مزيد من الإجراءات التعسفية، والإهمال الطبي المتعمد، وستكون هنا خداعات على مستوى السجن، وسيغلق السجن وتبدأ حالات الطوارئ والتصعيد المضاد، وسيكون المرضى في حالة توتر شديد، وتذمر كبير وخاصة في السجن الذي يتكدس فيه المرضى، وكلما كان السجن فيه عدد مرضى أكثر كان الاستفزاز أكبر، والإهمال الطبي أعلى، وذلك إمعاناً وانفراداً بهؤلاء المرضى ولا حول ولا قوة الا بالله.

**الأسير أشرف السباح يروي قصته:**

وهنا سأختم هذا الفصل بما كتبه الأسير المصاب بعدة رصاصات، وهو من قطاع غزة وهو الأسير أشرف السباح، حيث روى لي قصته كتابه، واقتبس شيئاً من سطورها حيث قال:

بدأت قصتي مع المعاناة والألم والجراح منذ أول لحظة وقعت فيها في الأسر، حيث تم اعتقالي وأنا مصاب بإصابات بالغة، ما زلت أعاني منها لأكثر من عشر سنوات وإلى يومنا هذا؟ بسبب الإهمال الطبي والمماطلة في علاجي، هذه المماطلة التي ضاعفت الإصابة يوماً بعد يوم حيث كانت إصابتي لحظة الاعتقال بالغة، وتم تزويدي بـ ٦ وحدات دم، ورغم النزيف الشديد إلا أن الشاباك لم يراع حالتي، بل قام بالتحقيق معي في تلك الظروف، ويساعده طبيب في نزع الاعترافات مني، وحتى الذي يلبس لباس أبيض ويدعي أنه دكتور، هو من كان يمارس الضغط ويهدد ويتوعد، ورغم إصابتي الخطيرة كانت ركلات جنودهم لا تتوقف، يركلوني بأرجلهم في وجهي، ويضربونني في كل أنحاء جسمي ورغم أنني ملقىً على الأرض، ولا أستطيع الحراك حتى ظننت أنني قد شللت، وتركوني أنزف حتى صحوت على نفسي، مكبل الأيدي والأقدام في سرير بمستشفى برزلاي، واستخدم المحققون كل أساليب الضغط، والقذارة، والجروح تملأ جسدي، ويمسك المحقق

معطر الغرفة، ويرش منه على جروحي، وهو ملوث ومليء بالجراثيم، ومؤلم جداً جداً، حتى كدت أفقد وعيي وأنا أصرخ أو أعتقد أنها مادة تزيد في الألم، وتستخدم لنزع الاعترافات، وتعذيب الأسرى ومكثت ثلاثة عشر يوماً على هذه الحال، ثم تم نقلي إلى عالم مجهول، يجهله كثير من الناس، وهو ما يسمى مستشفى سجن الرملة، لأدرك من خلال حياتي فيه أنه مجزرة، وليس مستشفى فكم هي الحالات التي كانت تمشي على الأقدام، فصارت مقعدةً على الكراسي، وكم هي الحالات التي دخلت هذه المستشفى (المجزرة)، وهي تمشي وتتحرك لتخرج وقد شُلت بالكامل شللاً تاماً، وما عادت تتحرك وهل يسمع عن هذه الحالات أي أحد؟؟ إنه عالم مجهول فقد مكثت في هذا السجن المسمى مستشفى سنتين ونصف، رأيت المعاناة فيه، وفي الأسرى المرضى من حولي؟ الذين تجمعني بهم الجراحات من الأسر، وجاء العيد لأرى المجاهدين المرضى يتحركون نحو ساحة صغيرة، منهم من يجلس ممتداً على كرسيه، ومنهم من يتهادى بين أسيرين مثله، وهم من المرضى ومنهم من يساعد نفسه بعكازين، وهذا تتدلى البرابيج من بطنه، وهذا لا يمشي إلّا والأكياس معلقة على كتفيه، وحالات صعبة وصعبة جداً، وكلها تمر وأنا أنظر، أستقبل، وأودع، من هذه الحالات المرضية الخطيرة.

**استشهدوا أمام عيني:**

وبعد فترة قصيرة من وجودي استشهد أمام عيني الرجل الذي قضى عشرين عاماً في السجون، وهو الأسير الشهيد محمد حسن أبو هدوان، الذي أصيب بالسرطان فوق ما يعانيه من أمراض، ثم انتشر السرطان في رئتيه ليصبح من شبه المؤكد أنه بعد أيام سيكون في عداد الشهداء، ولا حياة لمن تنادي وتم اقتياده وهو على فراش الموت، بوسطة إلى مستشفى عسكري، ليعلن نبأ استشهاده ويسلم جثمانه إلى ذويه، وما تزال القيود في رجليه ثم حدث حادث آخر، وأنا في مستشفى الموت

حيث استشهد الشاب محمد رادايدة، والذي تم نقله إلى سجن الرملة وهو مصاب في قدمه حيث توقع كل من في المستشفى (السجن)، أن يتم نقله إلى أحد السجون الأخرى لأن إصابته خفيفة، ولكن كانت المفاجأة حينما جاء ضابط المخابرات، وتم استجواب محمد، وفي نفس الليلة تتسارع نبضات محمد، ويشتد صراخه ثم يغيب ويفقد الوعي، وبعد مناداة على إدارة السجن طويلة ومماطلة وإهمال مقصود، وإذا بالدم يخرج من فم محمد، وتم نقله إلى مستشفى عسكري ليعلن بعد سويعات نبأ استشهاده، فقد تم تصفيته بدم بارد.

ومضت الأيام حيث كان هناك الأخ مراد أبو ساكوت، والذي أصيب بالسرطان في رئتيه، وماطلت وأهملت إدارة السجن في الفحوصات، واستفحل السرطان في أنحاء جسمه، وتفاقمت حالته ولم يعد يستطيع التنفس، إلا بجهاز الأوكسجين ثم أطلقوا سراحه ليستشهد بعد أيام.

ثم رأيت الحاج جمعة إسماعيل موسى أبو إسماعيل هذا الرجل المسن ذو المئة، مرض ليذهب إلى ربه شهيداً أمام عيني فأنا أشهد معه ظلم السجان.

ثم شهدت الأسير أشرف مسالمة، شاب قعيد انهكه المرض، حكم عليه ٦ سنوات قضاهن في مستشفى سجن الرملة، وبعد خروجه من السجن (المجزرة) بشهر واحد استشهد.

ثم هاهو الأسير محمد حرب، أصيب يوم اعتقاله إصابات بالغة، وبترت رجلاه وحكموا عليه ثلاث سنوات سجناً، وماطلوا وأهملوا علاجه فتركوا وضعه الصحي يزداد سوءاً فخرج من السجن ليكون الموت أسرع من فرصة الإفراج.

هذا غير تلك الحالات التي تكاد تراها تموت، وما هي بميتة، وحالات صعبة جداً، أمراض خطيرة بسبب الإهمال بل بسبب افتعال السجان لها.

ثم هذا الأسير المريض منصور موقدة، وهو المصاب بإصابات بالغة وكل أمعائه خارج بطنه، وهو المقعد على كرسي متحرك لا يستطيع التغوط والتبرز إلا بواسطة برابيج، وماذا نقول عن معتصم رداد الذي ننتظر خبر استشهاده في كل لحظة، وقد سحبت معظم أحشائه من الداخل ويعيش على إبر تسمى إبر الحياة، إن تركها مات على فوره، ومفعولها سينتهي ولم تعد تنفع.

أقول ذلك وأنا الشاهد حيث استقبلت في سنتين ونصف الكثير من المرضى والجرحى منهم من فارق الدنيا شهيداً بجراحاته وعذاباته، ومنهم من بقي يصارع الموت بجراحاته، هذه هي حال من حولي فكيف ستكون حالي؟!

ولكن بعد سنتين ونصف من مكوثي في مستشفى سجن الرملة، تم نقلي إلى سجن هوليكدار، فأصبحت لا أستطيع الحركة وبقيت على هذه الحال عدة شهور، وأصعب من المرض مقابلة الدكتور لي (طبيب السجن)، بأنني غير محتاج إلى أي علاج، وأن وضعي جيد، ثم بعدها تم نقلي إلى سجن نفحة سنة كاملة، ثم إلى سجن عسقلان، وحينما كنت في سجن نفحة، كنت أخرج بوسطة من سجن نفحة، إلى سجن رامون، ثم إلى سجن النقب، ثم إلى سجن السبع، ثم إلى سجن الرملة، ثم آخر محطة سجن عسقلان، حيث كنا نخرج من سجن نفحة الساعة العاشرة صباحاً، بعد إجراءات معقدة وصارمة وقاهرة، ونصل إلى سجن عسقلان الساعة الثانية ليلاً، وتصور تلك البوسطة الجديدة، والتي يعاني فيها الإنسان العادي، فما بالكم بالشخص المريض يجلس بها ساعات عديدة، هذا الأمر جعل الكثير من الشباب الأسرى المرضى يقومون بإلغاء فحوصاتهم بسبب رحلة العذاب التي يمر بها الأسير حتى يصل إلى مكان الفحص المزعوم؟! إن وضعك صعب وتحتاج إلى عملية فهل بعد ست سنوات اكتشف هذا اليهودي هذه الخطورة، ليتم نقلي بعد ذلك إلى سجن عسقلان سنة ٢٠٠٩م، ثم عملت عملية في نفس المستشفى الذي دخلته

يوم اعتقالي ولكن وبعد ثلاثة أشهر أعلنوا لي أنه قد فشلت عمليتي، وأنني محتاج إلى عملية أخرى، فأصبحت حقلاً لتجاربهم وعملياتهم التجريبية، أو التخريبية، وفي عام ٢٠١٠م، أجريت لي عملية أخرى وما زلت إلى اليوم أعاني جراء مماطلتهم، وإهمالهم الممتد والممنهج.

**هذه هي قصة الأسير أشرف السباح تحكي صدق ما نروي.**

فيا أيها الأحرار في أرض العافية، إننا نقف عاجزين حيارى، وليس لنا أمام هذه الحالات المرضية والخطيرة إلّا الحوقلة، والبكاء وما أصعب بكاء الأحرار، بكاء الرجال، والعجز بقهرهم، والموت كل يوم يرقص فوق رؤوسهم، وهم يموتون من شدة الجراحات، والأوجاع والآلام، والله إنهم في كل يوم ينتظرون الفرج ويتطلعون إلى بارقة أمل ويترقبون نصراً مؤزراً يحررهم، ويفك قيدهم، ويخلصهم من هذا العذاب المهين، ولا حول ولا قوة إلا بالله ويسألونك متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً.

* * *

# الفصل الخامس

# التفتيشات والقمعات

## أولاً: التفتيشات:

### مقدمة لا بد منها:

حركة التفتيشات أو الاقتحامات المفاجئة أسلوب يحدث بشكل يومي في السجون، فلا يوجد يوم إلا وفيه تفتيش، وهذا التفتيش له صور كثيرة، سنتحدث عن بعضها ولكن أحب التنويه قبل ذلك إلى العقلية الصهيونية القائمة على هوس الأمن في كل تفاصيلها، فأكبر وأهم جهاز في دولتهم هو جهاز الأمن، وما يزال هوس الأمن التاريخي يلاحقهم في حاضرهم ومستقبلهم، وإن ملكوا الدنيا فسيبقى هذا الهوس هو قائد تصرفهم، فكيف إذا اجتمع مع الهوس الأمني حقد وحسد فستكون الطامة الكبرى على أي حجر أو شجر أو بشر يقع تحت أيديهم، وسلطتهم ولا يراعون ضعيفاً، ولا صغيراً، ولا مقهوراً، ولا أسيراً، ولا يعرف حقارة هذا العدو ودناءته إلّا من وقع تحت سياطهم، واكتوى بنار سجنهم، وتتبدى هذه الدناءة في أوضح صورها حينما يحارب زمرة معينة من البشر، هم أصلاً تحت سلطته وسطوته، ورغم ذلك تراهم ترتعش فرائصهم ويخافون من كل شيء حولهم، حتى من الريح إذا هبت، أو الكلاب إذا عوت، ثم إنني أحب التنويه كذلك إلى أن الأسير في كل بقاع الأرض له حقوق، ولكن في دولة العذاب والاغتصاب ليس لهؤلاء الأسرى خلف القضبان أي حق، ويا ليت الأمر يتوقف عند الحقوق المضيعة، ولكنه اعتداء متواصل على ما تبقى من جسد هذا الأسير واستهداف لا تنقطع سهامه لإدارة نفسية الأسير، بل ويصبح الأسير في سجون الاحتلال حلقة التجارب لكل المؤسسات، والأحزاب، والوزارات التابعة لهذا المحتل الغاصب، ففي جانب تجربة الأدوية كما ذكرنا سابقاً حدث ولا حرج، وعند زيارات خبراء النفس وعلماء الاجتماع حدث ولا حرج، وكل ما أراد أن يشفي غيظه فما عليه إلا أن يعمل في إدارة سجون الاحتلال، هذا

التمهيد قبل الخوض في موضوع التفتيش مباشرة مهم جداً، لأنك ستدرك من خلال كل تحركات وتصرفات الإدارة في السجون أن كل شيء مدروس وعن عمد وقصد، وخاصة في موضوع التفتيش في السجون، فهناك غرفة الأمن المسؤولة عن تفتيش السجون والمعتقلات، ولها عملها اليومي ولها وحداتها الخاصة، وهي تعمل كل يوم وليس عندهم راحة، ولا عيد ولا مناسبة، وهذه التفتيشات لها صور كثيرة منها تفريغ القسم بكامله من الأسرى لساعات، أو لأيام بحجج متنوعة، مرة بحجة تصليحات في القسم، ومرة بحجة رش دواء مضاد للبق، أو الصراصير، أو أثناء فحص الشبابيك، وهنا لن نتحدث عن هذه التفتيشات وما أكثرها، وما أنكرها ولكن هنا سأتحدث عن الجانب الأكبر، وعن الاستهداف المهين في التفتيشات، وعن القوة الغاشمة، والجبروت الأعمى والسجان يهاجم هؤلاء العزل تحت مسمى التفتيش، سأتحدث بالوصف الحقيقي لما يدور وتوضيح بعض التفاصيل، فكيف يبدأ هذا التفيش وهذا الاقتحام أنه غريب جداً، وسيكون أشد غرابة عند الأسير الجديد الذي لم يتعود مثل هذه الاقتحامات.

**أهداف التفتيش:**

ويجدر التنويه كذلك إلى أن علم اقتحامات السجون علم خاص على مستوى العالم، بأسره ولكن عند الكيان الصهيوني الغاصب له معانٍ أحقر، من أرذل أرذل أمة، فالهدف الأهم عندهم ليس الأمن بذاته، بل الإذلال والإمعان في الإهانة، ومحاولة تركيع الأسرى بكافة السبل، وكل تصرفات السجان المحتل، لا تخرج عن هذا الهدف، كل التفتيشات تتم تحت مسمى الأمن، وهي في حقيقتها فقط للنيل من صمود هذا الأسير الأعزل، ومحاولة الحط من معنوياته، وقدره وكسر إرادته وعزيمته، تماماً كما هي الاجتياحات على الأرض في الضفة، أو غزة، هدفها التخريب والتدمير وليس الأمن كما يدعون، وعند دولة يهود قسم خاص في السجون مهمته الاجتياحات، والاقتحامات

المفاجئة، والتفتيش المهين، وهذا غير القسم الخاص بالقمعات، والاعتداء على الأسرى، إن يهود يعيشون عقدة الحسد، والحقد، والحرمان والتاريخ، فعقدة الحرمان تطاردهم صباح مساء، لذلك هم يحرمون الأسرى من كل شيء، فقد ذكرنا أن هدفهم الأول محاولة كسر إرادة الأسير فتصوروا حتى النوم لا يجده الأسير، حتى صار يتمنى يوماً يكون فيه حراً طليقاً، وينام دون أن يزعجه شيء أو يوقظه وحش بشري هاجم، فهل هناك أحقر على وجه الأرض من هذه الشرذمة، الذين لا يحلو لهم إلا الهجوم في الليل، فهذا غالب ديدنهم، وأكثر فعلهم، ولا يروق لهم أن يمر الأسير بحالة استقرار ولو ساعة.

**وحدات التفتيش:**

وهذا ونحن نتحدث عن التفتيش، يجدر التنويه إلى أنه يوجد عند المحتل داخل قسم التفتيش عدة وحدات، فهناك وحدة خاصة في كل سجن تحت قيادة ضابط أمن، وهناك وحدات خاصة متنوعة مثل المتسادة، ووحدة السميم، ووحدة داروم، ووحدة دارور، وحدة اليمار، ووحدة اليمان، وهذه كل منها له تخصص وكل منها يستخدم بدهاء خبيث، ينتزعون من خلالها أي استقرار على مدار اليوم، والليلة، فوحدة السجن من حقها اقتحام الغرف متى شاءت، ووقتما تريد، تحت أي ذريعة، أو شك، أو ريبة، بحجة الأمن، ولضابط الأمن حق استخدامها في اللحظة التي يريد، ولكن تختلف من وقت لأخر، فإذا توترت العلاقة بين الأسير والسجان، تتكثف هذه الاقتحامات، وكثيراً ما تكون حتى مقرونة بالوضع السياسي، فإذا حصل في خارج السجون تحشيد إعلامي ضد الأسرى، فإن ذلك ينقلب جحيماً لا يطاق، وبغير سبب ولذريعة الأمن، ووحدة الداروم، [أي الجنوب]، وهي مختصة باقتحام أقسام كاملة، وليس غرفاً بعينها، ووحدة المتسادة، وهذه تكون لأعنف عمليات القمع، ولها تدريب خاص وتصطحب الرصاص الحي، ولها أهداف من هجومها،

ليس لقمع احتياجات، ودائماً هو لإرباك وقهر السجين، وهذه هي التي قتلت الأسير محمد الأشقر بالرصاص الحي في سجن النقب، وأصابت العشرات إصابات مباشرة بالرصاص الحي، ثم صدر قرار بحلها، وها هم من جديد اتخذوا قراراً بإعادتها، وعادت لتمارس القتل من جديد، ووحدة الدارور للاقتحامات الخاصة وتصطحب معها الكلاب الوحشية، التي تدخل الغرف، ولهم لباس بالأقنعة، ولا ترى حتى حدقات العيون، وكذلك وحدة السميم، وهي مختصة بالمخدرات، والبحث عنها، ويعلمون جيداً أنه لم تضبط حالة واحدة على مدار عشرات السنوات، ولكنها فقط للاستفزاز والقهر، وهذه الوحدة تجرد الأسير من كل ملابسه، وتستمر في تفتيش اللباس الداخلي بما لا يقل عن عشرة دقائق، والأسير مكبل لا يملك أي شيء يدافع فيه عن عرضه المكشوف، ولا يوجد شيء في لباسه، ولكن هذه هي وظيفة هذه الوحدة الإهانة لا غير، ثم مزيداً في الإهانة تطلب من هذا الأسير الأعزل أن يلف ويدور حول نفسه، ليفحصه موضعاً موضعاً في مهزلة لا تقل عن نصف ساعة، يفتشون فيها شعره بدقة، وأذنيه، وفمه وتحت لسانه، وجوانب فكيه، وسرته وتحت إبطيه، وبين رجليه، وقد حصل مراراً أن طلبوا منه أن ينحني لفحص مؤخرته، والأمر هذا حصل وحصل معي شخصياً؟ إذ كان يترتب على ذلك تحدي وصمود، ورفض وصراع، لكن ما تلبث إلا أن تعود لتستغل أجواء التوتر لتقمع الأسرى وتفتعل من المنكرات، والجرائم ما يخجل المرء عن سرده، وحكايته ولا حول ولا قوة الا بالله.

**بداية الهجوم:**

كل هذه الوحدات عند اقتحامها تحت جلجلة، وأصوات رهيبة، لبث الذعر سواء أصوات حيوانية بشرية، مع أصوات الكلاب المسعورة مع أصوات الأقدام التي تخبط الأرض خبطاً، ومعهم آلات التصدي بزعمهم خوفاً من يد أسير، أو ركلة قدم، وهذه الآلات التي يتم الضرب بها على الأبواب أثناء هجومهم، بحيث تربك

كل القسم ويدخلون بأعداد كبيرة، وتغلق كل نوافذ الأبواب المغلقة أصلاً، بثلاث طبقات متتالية من الحديد الصلب، ولكن إمعاناً في إحداث هذا الرعب يفعلون كل ذلك، ولا يوجد بين يدي الأسرى أداة يدافعون بها عن أنفسهم، فهم محرومون من أبسط الأمور تحت ذريعة الأمن، والأداة التي تستخدم للدفاع عن النفس سيبقى كل الأسرى في كل السجون محرومون منها لسنوات طويلة، ففي اعتداء من سجان على أسير دافع الأسير عن نفسه بكاسة الشاي (زجاج)، فبقي الأسرى في كل السجون محرومون من استخدامها لسنوات، وهم يشربون الشاي في كاسات بلاستيكية يصعب تبديلها، أو تنظيفها، ولكن هذه العقوبات على الأسرى تهون مقابل كرامة أسير واحد، وهذه المعادلة يفهمها السجان، ويحسب لها ألف حساب، وهذه الأساليب سأتحدث عنها من خلال قصص عشتها، وعاشها غيري، كذلك وكلها أساليب مقصودة، ومدروسة بدقة، وكل سجان له دور مرسوم له بدقة، وكل يتظاهر بسياسة خاصة ولكن الأدوار التي توزعها قيادة السجان العليا، فكل مدير له سياسته الخاصة المسموح له أن يفعل بها ما يحلو له فيقضُّ مضاجع الأسرى، ويحرمهم النوم والهدوء والاستقرار والراحة، والقراءة والعبادة والأكل، وحتى قضاء الحاجة كل ذلك فقط تحت داعي الأمن، والتفتيشات المتلاحقة.

**اقتحام رهيب حصل معي:**

كنت يوماً بعد صلاة الفجر نائماً، وغالباً ما ينام الأسرى بعد صلاة الفجر، إما لانشغالهم في قيام الليل أو بسبب البرد القارس جداً شتاءً، بحيث لا تشعر بالدفء إلا تحت الفراش، ويومها وحينما نام الأسرى وتأكد السجان من نومهم، وما كادت تمر على نومهم دقائق، فإذا بي في حلم مفزع، وأسمع جلجلة وضجة وصراخ وهدير، وكنت أظن أني أحلم، وكل ذلك في لحظات، فإذا بي أتفاجأ، وقد امتلأت الغرفة بالمدججين بالدروع، والهروات، والأقنعة الحديدية، وقد توكل بكل أسير سجانان

ضخام، وسحبوه من نومه، وما يدري ما يحصل حوله، فمن كان في برشه الأرضي فقد أوقفوه، ومن كان في برشه الأعلى فقد طرحوه أرضاً، وفي سرعة البرق، قيدت أيدينا، وما تزال أصوات الرعب تهدر، من خلفك سجان يمسك بقيد يديك وقد قيدنا للخلف، ومن أمامك سجان يمسك بهراوته، وعصاه ويرفعها بشكل استفزازي فوق رأسك، فأنت لا ترى من هؤلاء السجانين حتى حدقات عيونهم، وبشكل مهين يجر الأسرى أسيراً أسيراً إلى التفتيش في الحمام، ويجرد كل أسير شيئاً فشيئاً من ملابسه، وبعد الانتهاء من تفتيش كل أسير، والذي وصلت مدته يومها لكل أسير بمدة تقدر بثلث ساعة، وكان ذلك في شهر يناير، أي جردونا من الثياب وبقينا نصارع البرد، ثم بعد ذلك أخرجونا إلى الفورة ونحن لا نلبس إلا الخفيف من الثياب، أخرجونا بل اقتادونا إلى فورة القسم، حيث البرد الشديد، والريح العاتية الصرصر، في هذا الجو اقتادونا إلى الفورة، وأسنانا تصطك من شدة البرد وجسومنا ترتعش ونلتصق ببعضنا لنحمي أنفسنا من بعض الجهات، وهيهات فالبرد جد قارس، ومكثنا في هذا الجو ما لا يقل عن ساعتين لنعود بعدها إلى غرفتنا المدمرة، وقد أصيب كل شباب الغرفة بانفلونزا من العيار الثقيل الخطير، وكاد بعضنا يهلك منها، واستمرت في أقل حد أسبوعين، وللبعض استمرت ثلاثة أسابيع، قد يبدو هذا غريباً في عالم الانفلونزا، ولكن والله هذا هو الذي حصل، وشهد رجل أسير بلغ الأربعين، أنها لأول مرة في حياته يمرض بمثل هذه الانفلونزا.

**بينما كُنا نأكل داسوا بأقدامهم طعامنا:**

وهذه صورة أخرى من صور التفتيش المهين، لم تحدث معي ولكن حدثني أخي الذي عايش هذا التفتيش فقال: بينما كان الأسرى يتجمعون حول مائدة الطعام، هجمت قوات وحدة التفتيش فجأة، وهم يعلمون أن الغرفة قد وضعت الطعام، وبدأت تأكل ودخلوا الغرفة على عادتهم مدججين بدروعهم، وهراواتهم وداسوا

الطعام تحت أقدامهم، وكان من عادة هذه الوحدة استهداف قادة الأسرى وكل ذلك ضمن السياسة المرسومة وكان هذا عن عمد، لأنهم قبل التفتيش تكون عندهم تقارير مباشرة عن طبيعة الغرفة، ولكنهم بعد الإهانة المقصودة والإجرام الوحشي، حتى وأثناء لقمة العيش سيأتي ضابط الاستخبارات، ليذكر أن ذلك حصل عن غير قصد طبعاً، لا يعتذرون وإنما هذا يسمى عندهم امتصاص الغضب، وهو تبرير يراد به مزيد إهانة.

**خراب مستمر.. واقتحامات متلاحقة:**

وحدث مرة أن جاء التفتيش الساعة الحادية عشر قبل منتصف الليل، ثم بعد الفجر وفي اليوم الثاني كذلك بعد الفجر، وفي اليوم الثالث كذلك بعد الفجر، وكل ذلك على نفس الغرفة وهذا يكون بقصد إهانة الغرفة ومن فيها، وخاصة الغرفة التي تواجد بها قادة الأسرى، وحتى تعلم خطورة وشدة ذلك التفتيش، فأقل مدة تفتيش للغرفة يمكن مدة لا تقل عن ساعتين، وهذه فقط تكون للإزعاج السريع الخفيف، ولكن هاتين الساعتين تحتاج إلى يوم كامل لترتيب الخراب الذي أحدثه مخربو السجن تحت دواعي التفتيش، وقد يمكث بعضها مدة يوم وليلة، وهذا يعني أن الأسرى سيمكثون خارج غرفهم وسيعانون في طلب فتح وطلب الإذن لقضاء الحاجة، وسينامون في برد الشتاء القارس، أو حر الصيف اللاهب وكانت معظم التفتيشات تمكث ساعات طويلة، غالباً ما تكون قريبة من ٦ ساعات، تأتي فيها وحدات خاصة بعد إخراج الأسرى من غرفهم هذه الوحدات ستأخذ كل أغراض الغرفة بشكل همجي، لا تراعي أدوات الطبخ، أو أنواع الطعام، أو المواد التي تساعد في الطهي، وكل شيء يكون مستباح وكل شيء خاضع للتفتيش بداعي الأمن، فبدءاً بأغراض المطبخ فسيفرغ كل شيء على الأرض، وعلى الملابس فلا تعد صالحة للارتداء، لأنه سكب عليه زيت الأكل، وزيت القلي، وهذا يحدث

بكثرة عندما يريدون معاقبة الغرفة، وعدم إرجاع الأسرى عليها، فيبحث الأسير عن أغراضه، التي ربما يحتفظ بها لسنوات فلا يجدها مثل ألبوم صور، فيه صور أمه وأبيه وأخيه وابنه وبنته، ويفقد الكتاب الذي مكث شهوراً، حتى وقع بين يديه، ومثل الراديو الذي مكث سنوات ينتظر حتى استطاع أن يمتلكه، وهناك كما قلنا الوحدة الخاصة بالاقتحام، وإخراج الأسرى، وهناك الوحدة الخاصة بنقل الأغراض كل الأغراض من الغرفة بحيث لا يبقى شيء داخل الغرفة إلا الجدران خالية، وأحياناً يتم فك الأبراش أو حتى قصها، فتوضع كل الأغراض فوق بعض، أغراض الشباب الخاصة، وأغراض الغرفة، ويتم أخذها إلى مكان للفحص يسمى (المشكيف)، بحيث تمر كل قطعة على هذا المشكيف الذي يكشف أي قطعة حديد، وثم يقومون بتفتيش كل الأغراض بطريقتهم الخاصة، وأخذ الدفاتر والأوراق الخاصة لفحص ما فيها كما يزعمون، ويبقى هذا الفحص أحياناً لشهر، الأغراض التي تؤخذ مثل الملابس والكتب والخضروات، وأدوات الطهي من طنجرة، أو غلاية، أو مقلى، أو صحون، أو مولد الطهي، مثل الزيت ومعلبات أكل مثل التونة والفول، أو مواد مشروبات مثل الشاي، والقهوة، والسكر، وما عدا ذلك من مواد التنظيف، مثل الشامبو ومعجون الأسنان، وأدوات كهربائية، مثل راديو، ولمبة ضوء، وسماعة راديو، وما شابه فكل هذه الأغراض توضع بعضها فوق بعض، وعند عودتها بعد انتهاء التفتيش تبقى معاناة الأسرى في كيفية معرفة كل أسير أغراضه، وخاصة الملابس الداخلية المتشابهة، وهذا ما يفعل بالأغراض، أما الغرفة فبعد تجريدها، وتعريتها، وكل شيء تأتي وحدة خاصة للتفتيش، ومعها أدوات البطش بالجدران من مهدة، ومقدح، وشاكوش، ومفكات، وكل شيء يساعد ويستمر الطرق، والدق، والضرب في الغرفة طوال هذه الساعات، لا يهدأ ولا يسكن لتتأكد أن المقصود هنا هو الازعاج للغرف المجاورة، والغرف التي تحتها، أو التي فوقها، ويستخدم

الصاروخ الذي يتم به قص الأبراش، أو قص لوح الصاج الذي يغطي جدار الغرفة بحجة أنه ربما يكون الأسير استطاع أن يضع خلفه شيء، أو استطاع خرقه، ويدقون بالمهدة، والشاكوش ويضربون بالمفك الكبير على كل سنتميتر، حيث يتوزع على الغرفة عشرة من هذه الوحدة، وكل اثنين لهم مساحة من الغرفة، والتي لا تتجاوز في مساحتها ٤ أمتار عرضاً، و ٦ أمتار طولاً، فهناك من يختص بالحمام والدورة، وهناك من يختص بالشبابيك، والأبواب، وهناك من يختص بفحص الأبراش، وهناك من يختص بفحص الجدران، وهناك من يختص بفحص الأدوات الكهربائية.

**طريقة تفتيش الجماد:**

وإليكم شيء مما يحصل بالضبط:

**أولاً**: الأرضية وهي نوعان، نوع بلاط ونوع بلاستك مصبوب فوق البلاط، أما إن كان في الغرفة بلاط، سواء على الأرض، أو في الحمام فهنا يأتي المختص، ويدق بلاطة بلاطة، وبشكل قوي فإذا شعر وكأن فراغاً تحت البلاط، وبمجرد الشك فسيخلع البلاطة، فالأمر حيث وجد الشك لا حيث وجدت المعلومة، أو الدليل وفي الحمام كذلك يتم فحص البلاط، وسيفحص حتى المادة الموجودة بين البلاط، ويستخدم حاسة الشم فإذا شك، أو سمع رنة كسر البلاطة، وكلما شك في التي تجاورها كسرها، وكل ذلك بهدف التخريب وسيترك ذلك من غير إصلاح لشهور ثم يضعون أسمنت خشن.

**ثانياً**: على صعيد الجدران يتم الدق بقوة على كل سنتميتر من غير مبالغة، سيدق بالمفك الكبير، سنتميتر سنتميتر، فإذا شك أن موضعاً رطباً، فهنا سيستخدم كل طاقته حتى يحفر في الجدار حفرة، وهذا الخراب المنفر لمنظر الغرفة، يجعلك تشعر وكأنك تعيش في حياة العصور الوسطى، وتبقى هذه الحفر أماكن استهداف

دائم عند كل تفتيش، وذريعة للشك، ومن هوسهم الأمني أنهم يشكون في أي كلمة، أو سطر على الجدار، أو ورقة فيتعاملون معها على أنها رمز لشيء وراءه، مع العلم أن الجدران التي نتحدث عنها هي من الباطون المسلح القوي جداً، التي لا تخترقها المهدات القوية، ولا حتى المسامير ومن ثم يتوقعون أن الأسرى بأناملهم الناعمة قد حفروا هذا الجدار، وهم أصلاً لا يملكون أي أداة ولو مسماراً حتى يحفروا به.

**ثالثاً**: يأتي دور المختص بالكهرباء الذي سيفتح كل الأدوات الكهربائية، مثل الأباريز، والأضواء الموجودة في الغرفة، والحمام، وكل شيء كهربائي يتم فحصه، والاستمرار في فحصه لفترات طويلة، ويفحص الأسلاك والتلفاز والمروحة.

**رابعاً**: يأتي المختص بمجاري المياه فيفك المغسلة، وهو أسير المياه، ويدخل حتى في أقصى مكان قضاء الحاجة، ويدخل يده وآلاته الإلكترونية، في مكان تجمع فضلات الإنسان.

**خامساً**: يأتي المختص بالشبابيك والأبواب، فيأتي لنافذة الحمام والدورة فيفك أطرافه المحكمة القوة من الداخل، وكذلك باب الحمام فيتم فكه، وفحصه بدقة، وكل ذلك بشكل جنوني، وغريب يستمر لساعات.

**سادساً**: يأتي المختص بسقف الغرفة، ويدق كل سنتميتر، ويفحص أي ثقب صغير، وكذلك الأمر بخصوص خزانات الملابس المعلقة بالجدار، سيتم فكها وسحبها إلى المشكيف.

هذه الحياة المرهقة التي لا تريد للأسير أن يستقر، وبعد هذا الإرهاق الشديد وقد مل الأسرى وهم ينتظرون في الساحة (الفورة)، ثم يعودون وذلك بعد الساعات الطويلة بحجة التفتيش، وأحياناً يبدأ هذا التفتيش من بعد صلاة العشاء إلى ما قبل صلاة الفجر، والأسرى في الساحة لا يستطيعون النوم في البرد القارس، ولا

الجلوس المطمئن، وسيبقون كالمطاردين، وأحياناً بعد يوم طويل من العذاب، وهم ينتظرون طول النهار حتى إذا جاء الليل قالوا لهم لم ننته بعد، ومن ثم سيفرقونهم على غرف أخرى ليعودوا في اليوم التالي بحجة الإصلاحات التي خرجت، ثم يعود الأسرى بعد هذا الانتظار الطويل، وقد وجدوا أغراضهم على الأرض، والغرفة تحتاج إلى تنظيف كل شيء، وتبدأ معاناة غسيل الأغراض المتسخة، والملابس التي تبللت والبحث عن المفقود من ورقة أو دفتر أو لباس، وهنا تتم مصادرة كثير من الأغراض التي يبيعونها بثمن باهظ، ثم يزعمون أنها ممنوعة.

بعد كل هذا السرد الذي ذكرته ما أود الوصول إليه: أننا تفاجأنا في اليوم التالي بالتفتيش مرة أخرى، وثم في اليوم الثالث، وبعض صور التفتيش المتابعة حيث يراقب السجان بعد التفتيش وقد رتبوا أغراضهم وغسلوا غرفتهم، ونظفوها من أوساخ التفتيش، أو حتى إذا انتهينا وما نكاد نرتاح، فإذا بالقوات المدججة تهجم من جديد، لأن أمنهم المهووس أو المزعوم أخبرهم أن هذه ساعة أمان، فإذا كان عندهم شيء أخرجوه، والقصد هنا هو العذاب المهين، لتعلم أنه قد يكون بين التفتيش والتفتيش ساعتين أو ثلاثة، أو يوم، والمعنى أن يبقى الأسير محروماً من هدوئه، واستقراره، ونومه، وكل شيء في حياته، ومن أساليبهم الخسيسة، والخداعة، إيهام التفتيش ثم لا يأتي التفتيش، وطريقة ذلك وأساسها أن السجان يعلم جيداً أن حاسة الأسرى الأمنية قوية جداً، ويشعرون بالتفتيش قبل مجيئه، ويدركون أن للأسرى نظام مراقبة لتحركات السجان، ويعرفون نظامهم بدقة فهنا يعمد السجان إلى مقدمة يظهر من خلالها أمارات تفتيش وعلامات هجوم، من ذلك أن لكل غرفة على كل باب قفلان، وجب إحكام إغلاقهما، فمثلاً يقوم السجان بترك قفل غرفة، أو غرفتين من غير إحكام إغلاقه حتى إذا حصل تفتيش لا يأخذ منه دخول الغرفة ثانية واحدة، لأن الأبواب تفتح على نظام كهربائي سريع، والسجان يعلم أن الأسرى يتابعون تحركات

السجان، وخاصة هذه الأقفال، فيبقى الأسرى في ترقب وانتظار وتوتر حتى يأتي هذا التفتيش، ليس فقط على الغرفتين بل على أي غرفة، لأنه ربما يكون هذا تمويه أن التفتيش سيكون على هاتين الغرفتين، فيكون الهدف غرفة أخرى، ولذلك سيكون كل القسم في حالة استنفار وترقب وانتظار، وإذا كان هناك أمر ما عند الأسرى فإنه سيتوقف ومن ثم بعد ساعات في آخر الليل يأتي السجان ويضع القفل بعد أن صنع ما يهواه من بث التوتر، وعدم الاستقرار، وكأنه يقول ها قد خدعناكم وسنأتي، وعلينا الهجوم وعليكم الترقب، وستبقى هذه الدوامة لا تتوقف إلا بالفرج.

**قرار التحدي:**

أرأيتم كيف يهجم يهود بعتادهم، وسلاحهم، ودروعهم، وكلابهم، وضجيجهم، وصراخهم، في أعداد هائلة مهولة، استعراضية، استفزازية على حين غرة، وتتابع وحدات المتسادا والضباط، وحتى أحياناً تتكاثر هذه الأعداد من جميع السجون لاقتحام غرفة سكانها عزل، في وقت غفلة، أو نوم، أو طعام، وهذا لا يجرؤون عليه في أوقات الاستعداد من الأسرى، فإذا اتخذ الأسرى قرار التحدي، فإن معنى ذلك أن حرباً بين قوتين غير متكافئتين ستجري، ورغم ذلك يدافع الأسرى عن أنفسهم بكل قوة، وعزة دفاع المستميت، وقد تعود الأسرى على مراقبة حركة السجان، ويعلمون أن بداية التفتيش أحياناً تكون في وقت العدد، وكأنهم يريدون عد الأسرى أو كأن السجان يمر مروراً اعتيادياً، وفجأة يفتح الباب وتكون القوة سريعاً خلفه، حتى لا تكاد ترى مكاناً بين الجنود من كثرتهم، بالشكل الذي وصفنا بالأقنعة، والمضادات، والأسلحة المختلفة، والأغطية البلاستيكية على اليدين، والرجلين، وعلى الرأس القناع الحديدي، كل ذلك لماذا؟ فإن يهود لا يحتاجون لذرائع، ولذلك فهم يختلقونها كأن يدعون مثلاً: أنهم رأوا أحد الأسرى يحمل جهاز هاتف نقال (جوال)، فيما لو ضبطت هذه الأجهزة، وغالباً ما يعودون خائبين لا يجدون شيئاً، رغم دقة التفتيش،

فما يكون منهم بعد ذلك إلا الانتقام، تحت ذرائع واهية، فيبدؤون بسلب حاجيات الأسرى بحجة أنها ممنوعة، وهم يعلمون أن هذه الحاجيات والتي لا تساوي شيئاً أصلاً، وقد حصل عليه الأسير بعد معاناة طويلة، وشديدة، إما بدفع المبالغ المالية الباهظة، أو برفع الشكاوي، أو بتقديم عشرات الطلبات، وأريد أن أفاجئكم بماهية هذه الأشياء، مثل النظارة، وكاسه شرب الشاي، كرتونة، سلك صغير، راديو، أو بنطال أزرق، أو بلوزة، أو قميص جميل، فلا يروق أن يكون الخيار بين أيدينا، وهذا هو الحال وبالمناسبة فإن يهود يعلمون جيداً، ما هي السجون التي يوجد بها أجهزة (جوال)، وأي السجون لا يوجد بها، وادعاؤهم بأن الهجوم بسبب الجوال كذب، وافتراء، بل الهدف الخراب، والدمار، والفوضى، والإرباك، فهناك سجون لم يكن فيها تلفونات، لكن التفتيش فيها أكثر، وحينها ستكون هناك ذرائع أخرى، أوراق ممنوعة، أو... إلخ.

### السلاح الذي نقاوم به السجان:

أما هذا الهجوم فإن السؤال الذي يرد على النفس، ويخطر في البال ماذا سيكون دور الأسرى أنفسهم، وكيف يتعايشون مع هذا الواقع المزري، وهل عندهم خطوات وأساليب تحد وتخفف من وطأة هذا الهجوم الوحشي الحيواني الإجرامي، بالتأكيد الإجابة بنعم، كيف لا، وهؤلاء هم من دوخ المحتل خارج هذه السجون، إذاً فما هي أدوات التحدي والتصدي، هذا بسيط وفي كلمة واحدة إنها الإرادة، وإن شئت التفصيل فهي كالتالي تبدأ من السلاح الكبير الذي يملكه الأسرى ألا وهو الدعاء والتضرع إلى الله، أن يحفظ حالهم ويحميهم من كل سوء، ويعمي أبصار يهود عن وسيلة الاتصال، أو أي شيء يبحثون عنه، وقد تعجبون فإن هذا السلاح كثيراً ما كان أشد فعالية من أي سلاح آخر، فيكون الجوال أمام أعينهم وبين أيديهم، ولكن الله يعمي أبصارهم، ويجعل عليه غشاوة، أو قد ظلم كثير من

السجانين، واعتدوا على الأسرى فأحرقت النار ٤٠ ضابطاً، وجنرالاً، وقيادات يهود ممن آذوا واعتدوا على الأسرى.

ثم إن خطة الأسرى بعد ذلك المراقبة الدائمة من كل القسم، وعندنا نظام مناوبات (شفتات)، على الغرف في الليل، وفي النهار، وكذلك فإن لنا مراقبين مختصين يراقبون كل تحرك لإحباط أي مفاجأة، أو هجوم، وهذه الاحتياطات أقوى من كل أمنهم، وتجهيزهم، فما أقدم العدو يوماً إلا وقد كانت عيوننا أيقظ، وأحاسيسنا أسبق من فكرهم، وذلك بفضل الله، ولذلك أدوات كثيرة هم يعرفونها معنا مثلاً، المرآة ذات الحجم الصغير، الذي قد لا يصل إلى حجم بنان الأصبع، بل أصغر بحيث لا تراها عيون السجان المتواجدة في المردوان، ولا كمراتهم المتوفرة في كل مكان، وبمجرد أن يشتم شبابنا رائحة الغدر، والتحركات الغريبة المريبة، ستبدأ المناداة بين الشباب في الغرف وبين الأقسام كلمات مشفرة ظاهرها أخبار، وباطنها حيطة وحذر، وهنا ستبدأ استعدادات الشباب لإرباكهم، ومفاجئتهم، فبمجرد أن يدخل السجان الأول من بعيد يبدأ القسم بالتكبير، وتهتز أجواء القسم من هدير التهليل، وينادي المنادي تفتيش يا شباب، وتنتقل هذه الصيحات إلى الأقسام الأخرى فينقلب الرعب على يهود، وترتد هجمتهم بداخلهم، ويصبح ضجيجهم، وهجومهم باهتاً ضعيفاً أمامه، هذا الإصرار والتحدي، وتتأخر حركتهم، ونحن بذلك نحافظ على معنويات شبابنا، ويتم بها إعاقة هجومهم.

وتبقى معية الله هي الحافظة، ثم سهر الأسرى ومراقبتهم التي تمكث الليل والنهار، وبدون استثناء وتبقى عين الأسير ساهرة لا تتحرك، يمنة ولا يسرة عن الهدف والاتجاه المطلوب منه المراقبة والحذر تماماً، كما يفعل القناصة الذين ينتظرون فريستهم لساعات، ويتدربون على ذلك لأعوام، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الروح الجماعية، والروح المعنوية التوافقية، هي التي تحمي من هذا الهجوم،

فإن السجان إذا وجد أسيراً منفرداً، فإنه سيفرد عليه عضلاته ويعرضه للإهانة والضرب، ولكن الروح الجماعية تمنع أي اعتداء وحشي، أو على الأقل تخفف من حدته، وترهب السجان من المساس بأي أسير، هذا على خلاف السجون الجنائية، والتي يتم الاعتداء فيها على الأسير دون أن يتحرك مجاوره ولو بكلمة، لكن في السجون الأمنية يتحرك كل الأسرى دفاعاً عنه، ونجدة له ويصبح الرد بالمثل، هو المطلوب ولو كلف الأسرى حياتهم فإن الكرامة والعزة فوق كل شيء، نقول ذلك رغم حصول كثير من المضايقات، وقد يتعرض الأسير رغم ذلك للضرب والإهانة، ويجدر التنويه إلى أن هذه الإرادة، وهذا التحدي والتصدي هو يخفف ولكن الاعتداء لا يتوقف، وتبقى الحياة غير مستقرة، وهذا الدفاع تماماً كما لو علمت أمك لا محالة، ستعذب ولكنك تختار الطريقة، وتختار الموقف وتذهب مفاجأة العدو وتقتل الضعف والخور، الذي في النفس ولكن تبقى السياط لا تتوقف والجلاد ما يزال يبطش، وكلما تفرد بأسير أذاقه ما لا يرضاه حر، ولا حتى مقيد، ولكن عين الله ترعانا، ولا نريد هنا أن نذكر ما يدمي القلب، وينفض عن إخواننا رجولتهم، وشهامتهم، وكفى بالله حافظاً وكفى بالله ناصراً ومعيناً، وعسى أن يكون فرحة قريباً، على عباده الأطهار الأحرار.

## ثانياً: القمعات الحرب المستعرة والمواجهة المباشرة:

### معاني هامة:

هل هناك حرب داخل السجون؟ وهل يستطيع هذا الأسير الأعزل، إلا من إرادته وصموده، وتحديه، أن يواجه الرصاص، والغاز المدمر للأعصاب، والهراوات الفاتكة، والكلاب المسعورة؟ وهل يستطيع أن يقاوم آلات الحماية، والأقنعة الحديدية، وكل آلاتهم الهجومية؟ هل يستطيع الأسير الأعزل مواجهة هذه القوات المدججة بكل

عتاد وسلاح، وهل تلاطم الكف المخرز؟ هذا القول والمثل السائد يقال عند اليأس وفقد الأمل في مواجهة القوة الغاشمة، هنا في السجون يصبح هذا القول وهذا المثل بالأعلى قائله وصاحبه، ولا قيمة لأي حرف من حروفه، لأننا هنا نتحدث عن جسد واحد، حقيقة وفعلاً فالأسرى بكل فصائلهم وأصنافهم وجنسياتهم، هم جسد واحد، هم يد واحدة في كل السجون، والمعتقلات، إذا نادى المنادي حي على الجهاد لا تستسلموا، ولا تتراجعوا، تقدموا أقبلوا على الموت، فإنه هنا لا يعرف الخذلان أحد، ولا مكان بيننا لأي جبان إلا جبان واحد، هو العدو هو السجان الظالم القاهر، هنا معاني العزة والكرامة، هنا حياة الشهامة والرجولة، هنا يشعر الأسير بلحظات النصر والقوة لماذا؟ هل لأنه ضُرب وقُتل وديس بالأرجل؟ هل لأنهم فرق شملهم وحرموا من أبسط مقومات الحياة؟ هل هذا هو النصر والعزة والكرامة والقوة؟ كلا هذه هي الحسابات المادية لكننا نقيس الأمر بمقياس الروح، بالإيمان، بالمعنويات العالية، أن نتحدى وأن نصمد وأن نموت واقفين، هذا هو النصر، وقد انتصر أصحاب الأخدود على الملك الظالم الطاغية، وجنوده الباغية، وإن دخلوا نار الدنيا فهنا هذا هو الانتصار، فلا مجال للتراجع أو الخنوع أو الخضوع فطلاب الحرية، وطلاب الكرامة وطلاب الشهامة لا يعرفون للجبن طريقاً، أو للهزيمة سبيلاً، أو للنكوص ملاذاً هنا، القتال ولا غيره هنا، المواجهة هي السبيل الوحيد هنا، أن تقتل أو تجرح في وجهك، لا في ظهرك، بكل عزة وفخر وبسالة، ورجولة لماذا؟؟ هل سئمنا الحياة؟ أو هل هو طريق من طرق الانتحار الحديث؟ كلا ولكنها المواجهة الحقيقة ولا مفر ولا مناص، فأن تكون بين خيارين لا ثالث لهما، الخضوع، والركوع، والخنوع، أو القتل بكرامة والإصابة بشهامة فإن الاجابة عند الحر واحدة لا نقاش فيها ولا جدال عليها ولا محيص عنها هي الثانية بالتأكيد، أما الأولى فهي خلق يهود وهم الذين قال عنهم القرآن ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] أي حياة ولو بذل ومهانة قال عنهم

القرآن ذلك، ومن هنا جاءت كلمة حياة نكرة لأنهم حريصون على أية حياة فهم في يأس من الآخرة أما نحن المسلمين المؤمنين الموحدين المجاهدين، فقد قال القرآن في حقنا ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣] فهل يبدل الأسير المعزول طريقه أو هل يتراجع عن كفاحه وجهاده ونضاله؟ كلا ثم لا ولن ولا والله ما زادتنا الأيام إلا صلابة ورسوخاً وإقداماً هذه المواجهة الحتمية لا نتمناها ولا نطلبها، ولا نختارها بل تفرض علينا فرضاً لأننا أحرار وعلينا أن نصبر ونقاتل فقد علمنا رسولنا الكريم حينما قال «لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا»(١) وهذه هي القاعدة التي نسير عليها إذا جاء السجان القاهر اليهودي فأراد أن يفرض شروطه على الأسرى وأن يفرض عليهم حياة يريدها رغم أنوفهم هنا ليعلم هذا العدو الجبان أن ذلك يحدده الحر لا الجبان هذا العدو الذليل الذي يستفرد بالأسير المعزول يجد شخصيته في الدم المراق على الأرض، وفي القيد الذي به يقيد الأسرى وهو ينظر إليهم وقد جردهم من ملابسهم وهم عراة، حتى من الملابس الداخلية هو يتمنى ذلك ولا يفتأ ما بين الفينة والأخرى يفتعل الأفاعيل لأجل ذلك ولكن دون ذلك المواجهة والقتال ولا استسلام ولا تسليم عندما يتجبر السجان ويتكبر ويتغطرس ويصر على حياة بشروطه، ينبري الأحرار لرفض هذا الذل وطرق هذه المواجه الحتمية المستمرة كثيرة، ولكنها كلها تستمر خلف مفهوم واحد هو الاعتداء على الأسرى، أما كيفية الاعتداء فهذه طريقتهم وهي كثيرة جداً وهي بعدد القمعات تتنوع ولكل قمعة أسبابها أولها السجان المعتدي وفي المقابل فلن يستسلم الأسرى أو يرضون بالذل والهوان.

وإليكم وصف لبعض القمعات كيف حصلت، إلام انتهت، وما هي النتائج، ومن الرابح ومن الخاسر؟ من خلال عدد من القمعات سنوضح ذلك وسترون

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٠٢٦)، ومسلم في «صحيحه» (١٩) (١٧٤١).

الحقد والضغينة والحسد وراء كل ذلك وإن شئت وقلت: الانتقام، فلن يختلف المعنى كثيراً ذلك أنه وبعد إضراب الكرامة عام **٢٠١٢**، والذي انتصر فيه الأسير، في هذا الإضراب لاطمت الكف الناعمة المخرز فانثنى خائباً مكسوراً وقويت معنويات الأسرى بالانتصار وبنجاح الإضراب وتحقيق أهدافه بينما انكسرت عنجهية وجبروت السجان وقد اعترف بهذا الانتصار المحتل الصهيوني قبل المقاتل الفلسطيني، ولكن هنا نجد أن السجان الماكر لا يريد لهذا الانتصار أن يمر ولا لهذه الفرحة أن تستمر وسيحاول أن يفتعل الأفاعيل ليرد بعض الكرامة لسجانيه الذين كُسروا أمام صلابة وصمود الأسرى المضربين عن الطعام وليتنصل من وعوده الكاذبة التي قطعها على نفسه أمام المنظمة الحقوقية والدول وفي مقدمتها مصر الشقيقة.

**انتصار في ذكرى النكبة:**

إن خلق يهود الذي وصفهم الله به في كتابه نلمسه يومياً وخاصة نقض العهود حيث قال تعالى عنهم ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ [البقرة: ١٠٠]، وهذا ما حصل بعد انتصار إضراب الكرامة والذي كان في ذكرى النكبة بتاريخ **١٤/ ٠٥/ ٢٠١٢**م، وفي يوم الانتصار نزل غيث من السماء ليغسل الله عنها كآبة وإرهاق أيام الإضراب فهو إعلام من الله بتنزيل الرحمات والبركات وتحتفل ملائكة الرحمن معنا، في هذا اليوم لتلتقي فرحة السماء مع فرحة الأرض ولتعم الاحتفالات أرجاء الكون ويتعجب ضابط السجون وهو يرى هذا الغيث المتدفق في وقت لا ينزل فيه المطر عادة فنحن على أبواب الصيف ويحسدنا على الغيث الهاطل فتفلت من لسانه كلمات قال فيها: «حتى الله معكم في هذا اليوم، وينزل المطر لأجلكم؟» وما هي إلا أيام وتتحرك جبلة يهود، لتنكث العهود، وتتنصل من

كلمتها ووعدها والتزاماتها، وإذا بمدير سجن رامون يتكلم عن قانون جديد عن التفتيش، بحيث إذا جاءت وحدات تفتيش من خارج السجن فستقوم بطريقة جديدة لم تكن من قبل وهي غير المتعارف عليه سابقاً، والمتفق عليه بين الأسرى والسجان التفتيش السابق كان بآلة كهربائية لا تمس جسد الأسير، ولكن إذا غطت بنطاله مسافة تقدر نصف شبر، بحيث يبقى البنطال إلى ما فوق الركبتين ويغطى معظم الفخذين وأعضاءَه الحساسة، ولكن قام الأسرى بعدة عمليات طعن وضرب للسجانين في أكثر من موقع حتى اضطر السجان صاغراً وخضع وتعهد بعدم تكرار ذلك لأن هذا عند الأسرى يعتبر خرقاً لأعراف المسلمين وامتهاناً للكرامة، وعليه فإن ثمن تجريد الأسرى سيكون الدم من جديد، وجاء بعد الإضراب مدير السجن وضباطه بطريقتهم الخبيثة التاريخية، قالوا هذا القرار ليس من عنده ويطلب تمرير هذا القرار فقط لمرة واحدة ويتعهد بعدها بعدم تكراره، وهو الخبيث ابن الخبيث وهل يقبل الحر أن يهان مرة واحدة وبعدمها تأتيه الكرامة وهل يطلب حر كرامته بطريق فيها إهانته كلا لا والله ولو نزل الدم وأريقت الأرواح ثم قال مدير السجن: التفتيش سيكون على أحد الأقسام المحسوبة لحماس أي ذات الأغلبية الحمساوية، ورفض تحديد القسم وموه في موعد التفتيش وهنا كانت تعليمات قيادة الأسرى بتشديد الحراسة والرباط لمدة **٢٤** ساعة، وخاصة في الليل هنا نحن مضطرين للرباط وللاستنفار، وليس لنا إلا ذلك وإن كان على حسابنا وفيه فقد للطمأنينة والهدوء والاستقرار وهذا الهدف وحده كفيل أن يريح السجان لكننا نحرس بالليل وبالنهار واحتمالية الهجوم في النهار ضعيفة، لأن السيطرة على الأسرى ستكون أشد كلفة وأقل مفاجأة، وهم غالباً ما يختارون الهجوم الليلي وهنا ستكون المناوبة ساعة ثم يأتي بعدها أسير آخر أي سيكون في القسم الواحد أسيراً يرابطون في نفس اللحظة، وإذا كبر هؤلاء المرابطون فمعنى ذلك أن هجوم يهود ابتدأ وأن ساعة المعركة قد دقت.

**الاستعداد والتأهب للمنزلة والقتال:**

بتاريخ ٠٤/٠٦/٢٠١٢ ولمدة عشرة أيام والرباط طول الليل والنهار، والأسير هنا هو الذي يراقب السجان لأنه سيدافع عن نفسه ولن يتخلف عن الدفاع إلا جبان، ولن تجد أسيراً يقبل على نفسه هذا الوصف، وعندما يبدأ التكبير من أحد المرابطين ما هي إلا لحظات أو اقل فإذا بهدير المكبرين يملأ القسم بأكمله ويسمع الأسرى في الأقسام الأخرى هذا التكبير فينضمون إلى إخوانهم الأسرى ويكون كل السجن يهتز من أصوات التكبير، وفي سجن رامون أكثر من ثمانمئة أسير، وهنا في سرعة البرق سيرتدي كل الأسرى لباسهم الذي من خلاله يعلنون للسجان جهوزيتهم التامة للقتال واللباس الموحد هنا هو لباس الشاباص أي لباس السجن الذي لا يسمح للأسير بالخروج من قسمة إلا به وهنا يستغل الأسرى هذا اللباس الموحد ليعلنوا أنهم على قلب رجل واحد وكلهم سيلبس حذاءه [بوت أو بسطار ومن الشباب من يضع عصابة على رأسه ومنهم من يضع من لباسه قناع، وكل ذلك لإدخال المزيد من الرعب على الجبان المهاجم ويزيد الحماس بين الأسرى في التحدي والتصدي، وكل يوم تقرأ البيانات والتي فيها حث على الجهاد وطلب الشهادة وتستمر المفاوضات بين السجان المدجج بالسلاح وبين الأسير الأعزل إلا من إرادته ويبقى السجان مصراً على موقف ويرفض كل الحلول، وهنا باتت المعركة حتمية ولكن متى سيبدأ الهجوم ومتى ستكون ساعة الصفر، وبينما المرابطون على الأبواب والشباب تتحلق حول موائد الطعام، وقد اختار هذا الوقت السجان بدقة حيث معظم الأسرى في هذه الأوقات قد جلسوا ليأكلوا، وهنا الأكل جماعي، أما المرابطون فسيأكلون بعد انتهاء مناوبتهم وفجأة فإذا بالتكبير يهز أركان السجن، وينفض الأسرى عن طعامهم، ويتأهبون للمواجهة والتي ستبدأ عند معرفة نتيجة التفتيش، وليس عند قدوم السجان فأمر التفتيش قانون مسلم فيه، ولكن بكرامة

لا بإهانة دخلت القوات المدججة بالسلاح دخلت قسماً ظنته سهلاً لأن الأحكام فيه أغلبها حول العشر سنوات، ولم يدخلوا الأقسام التي يغلب عليها المؤبدات وبعد التكبير هدأت الأصوات ولا تسمع إلا همساً وكل الأسرى على استعداد وتأهب وانتظار هل سيرتكب السجان حماقته ويتجاوز الخطوط الحمر ويصر على التفتيش المهين، ولكن السجان لجأ إلى خطة خبيثة، حيث رفض الأسرى في الغرفة المستهدفة إنزال البنطال، ولكنه لم يصر على طلبه بل اقتاد أسراها إلى مكان مجهول، وهناك بعد الاستفراد بهم وهم في عزلهم أجبرهم على إنزال البنطال، وقام بالتفتيش المهين، وأيديهم مقيدة من الخلف ونزع عنهم ثيابهم وهم مقيدون معزولون وسمع الأسرى وهم يترقبون سمعوا كأن صوت تكبير مخنوق يستغيث بهم فانطلقت حناجر الشباب تدوي بالتكبير، ويسمع شباب القسام هذا الهتاف المزلزل، وتتحد الأصوات ويعلو الهدير في مشهد تكاد تنخلع معه الجبال، وترتعد منه فرائص السجان، والضرب والطرق على الأبواب مستمر بكل ما أوتوا من قوة، حُرقت فرشات ألقى بها الشباب من داخل غرفهم على السجانين، ما يملكون من معلبات وبيض وطعام وتستمر المعركة وحتى تنطفئ الشرارة، يجب على حامل لواء المعركة إنزال الراية وكيف ستنزل الراية والأعراض انتهكت والخطوط الحمر قد تم تجاوزها، فهنا العصيان وهنا المواجهة وهنا العناد والرفض والكبرياء مهما كلف الأسرى، سنشتري الكرامة بالدم سنرد على الإهانة بالحرب والحسم، وهنا سيحسب السجان ألف حساب قبل الاقتحام لأن الشباب نفوسهم ثائرة وحناجرهم صادرة، أو بعد قرابة ساعة يتقدم أحد الوسطاء من جهة السجان ليدعي أنه ليس له علاقة بالأمر، ولم يحصل تفتيش ولم يتم إنزال البنطال، وأن الأمور التي تحصل ما هي إلا إشاعات فما كان من قائد الأسرى في القسم إلا أن أعلن للشباب ليأخذوا قسطهم من الراحة، وأنه تم الاتفاق أن يعود الشباب خلال خمس دقائق من عزلهم،

وإن رجع الشباب وأكدوا أنه تم تفتيشهم باحترام ولم يتم إنزال البنطال سيكون كل أمر بسلام، وستتحمل المسؤولية كاملة عما جرى وذهب هذا الوسيط والمفاوضين وكان الشباب يحسبون بالثانية، فما إن انتهت الخمس دقائق حتى انتفض الشباب من جديد، وكأن الخمس دقائق استراحة مقاتل، فعادوا بوتيرة أقوى من قبل وكلما هم ضابط بالدخول إلى القسم أمطر بوابل من مكونات الغرفة البسيطة، في تحد للخطوط الحمر عند السجان فهذه هي الحرب تغيب الدبلوماسية وتتوارى الحوارات بالسياسة ليكون الحوار بالدم والقوة، وليصاب جزء ممن تجرأ من الضباط بدخول القسم ويستمر هذا الحال من الجهاد إلى ما يقارب خمس ساعات، وما كلّ الشباب ولا ملوا وفي المقابل لن يطيق السجان على ما يسميه الانفلات والفوضى واستهداف ضباطه وسجانيه، وما تزال قواتهم تتجهز من جيش وشرطة من كل وحدات السجون المختلفة وبكل أنواعها لتدخل إلى ساحة السجن وهي مدججة بالسلاح الحي والسلاح الحارق والغازات والكلاب في استعراض للقوة والجبروت، لكنه أمام عنفوان وغضب الأسرى لا قيمة له ولا وزن، وحصلت فيهم إصابات في الرأس وفي الأرجل، ثم تقدم مفاوضهم ليتفاوض على احتواء الموقف وتقليل الخسائر لأن التدهور الخطير سينتقل إلى السجون الأخرى ومن ثم فإن الشارع الفلسطيني سيقف في انتفاضة باسلة ستؤثر على الاقتصاد، وستقتل بعضاً من المحتلين ويخشى المدير وزبانيته أن تفشل خطة هجومهم فتتم إقالته، وفي المقابل فإن الشباب وقد قاموا بالواجب وشحنت نفوسهم بمزيد من العزة والكبرياء وما يزالون تحت الأمر وهم يدركون أن ما قاموا به قد ردّ كيد المعتدين وهو في حسابات الربح والخسارة والانتصار والهزيمة يعتبر ربح انتصار.

**لا انتصار من غير خسائر:**

وصدر الأمر للشباب بالتوقف، وخرج ممثل الأسرى ليتفاوض مع مدير

السجن رأساً برأس ونحن نعلم أن ما قام به الشباب في مثل هذا الموقف يعتبر أكبر تحد وفي ذات الموقف ستكون نفسية القائد، والمسؤول الذي يتحلى بالعزة وفي نفس الوقت بالمسؤولية، ستكون عينه على شبابه ليخرج بأقل الخسائر ويتم التفاوض على تحسين شروط الحياة واستتباب الأمن وإنهاء الأمر بكرامة، وفي مثل هذه الحالات تخرج السيطرة والقيادة من مدير السجن إلى مدير السجون، وقد خرج الشباب من هذه المعركة بعزة وانتصار، وأصيب عدد من السجانين فيما سلم الأسرى من أي اعتداء وتم الاتفاق بين ممثل الأسرى والسجان على نقل ضابط القسم، وفي المقابل على أن يتم نقل نصف القسم وبكرامة إلى سجون أخرى، وهذا في ميزان التفاوض وفي أعراف السجون يعتبر انتصار للأسير، لأن غاية الحرب هي تحقيق سياسات فشلت الدبلوماسية في تحقيقها ومعنى النقل بحرية وكرامة، عدم مس كرامة الأسير وإهانته والاعتداء عليه أو على أغراضه، وغالباً ما تكون عقوبات مثل هذا التجاوزات كبيرة، وتمتد لوقت طويل وتكون غرامات مالية باهظة وقائمة طويلة من العقوبات: مثل حرمان من زيارات الأهل لشهور، وسحب التلفاز والمراوح وأدوات الطبخ، وتقييد التحركات داخل السجن وباختصار تم تجاوز كل ذلك بسبب تحدي الأسرى الجماعي الموحد.

**إعادة الهجوم في سجن آخر:**

وبعد هذا الانتصار بدأ السجان يتلمس طريقاً آخر وفرصة سانحة ليرد الاعتبار لشرطته وجنوده المهزومين، ولم يستطع أن يحقق هذا النصر على طريقته في سجن رامون، فأعد العدة في سجن ضعيف معزول، عدد الأسرى فيه قليل، ذلك هو سجن السبع وما هي إلا أيام وإذا بقوة تدخل القسم الوحيد لأسرى حماس والجهاد، ودخلت بطريقة همجية جداً، وألقت بالأسرى على الأرض في مشهد مروع، فما كان من أحد الأسرى إلا أن حاول أن يدافع عن نفسه فانهال عليه ما يزيد عن عشرة

جنود، وما تركوا فيه موضعاً إلا وظهرت عليه كدمات وجروح، وكبر الأسرى وكانت القوة على جاهزية تامة، وقد أعد المدير عدته لمثل هذا الهجوم والقسم فيه ١٨ غرفة، في كل غرفة ٨ أسرى، وفي سرعة البرق كانت الأبواب كلها فتحت، وإذا بجيش كامل من الجنود المدججين بالسلاح دخلوا كل الغرف بحيث لا ترى فراغاً، ولا فضاء من كثرة عددهم الذي يتضاعف عن عدد الأسرى وقد ظن معظم الأسرى أن هذا تفتيش اعتيادي وما علموا أنه انتقام لما حصل للسجان في سجن رامون، وتم اقتياد جميع الأسرى ووضعهم في ساحات السجن متفرقين، كل أسير معصوب العينين ومقيد اليدين للخلف، وكذلك الرجلين وإذا همس أسير همسة انهالوا عليه ضرباً، فكانت والله بساطير وأحذية العدو السجان تطأ رؤوس الأسرى بنعالهم الحقيرة، وهذا أحد الأسرى يستغيث الله بصوت عال بعدما نال منه السجان بسب أمه وقذفها في عرضها، فجاء الضابط وركله في وجهه ليشخب الدم، وكادت تذهب عينه، وقد كانت عدد الإصابات في هذه القمعة ٧٢ إصابة بين الأسرى كلها، وهم مقيدون مستضعفون وهذه من القمعات الخطيرة التي ما يزال السجان يتوقع ألا تمر هذه المجزرة البشعة، دون رد فإن ثأر الأسرى لا ينسى وانتقامهم لأنفسهم قادم، ولو بعد سنين ولكن هذا السجن نفسه قد حقق انتصارات لاحقه على السجان مما جعل مدير السجن يندم على اليوم الذي فكر فيه بالهجوم على الأسرى، فقد كان الشهيد ميسرة أبو حمدية في سجن إيشل قبل انتقاله بيوم إلى المستشفى الذي استشهد فيه وهنا انتفض السجن على بكرة أبيه لمدة خمس ساعات متواصلة، ولا يستطيع جندي واحد دخول القسم، وبعد صراع طويل تم التوصل مع ممثل الأسرى إلى اتفاق وفيه نقل نصف الأسرى إلى سجون أخرى بطريقة محترمة، وفي نفس يوم استشهاد ميسرة أبو حمدية ٠٣/ ٠٤/ ٢٠١٣ أيضاً كانت قمة لسجن رامون، وقد استطاع الأسرى خلع ٥ أبواب من أبواب الغرف وتحطيم كمرات المراقبة،

وخلع الأبراش ولم يستطع ضابط أمن السجن السيطرة إلّا بعد أن ضرب الأسرى بغاز خطير وسام واختنق الشباب وقد ارتمى الجميع على الأرض في حالات خطرة جداً، وكادت تصعد بعض الأرواح إلى خالقها فاستدرك ضابط الأمن نفسه قبل أن يتفاقم الأمر، وتحصل الكارثة وقام برش الأكسجين المضاد للغاز السام، وكانت العقوبات على سجن رامون لوحدة تقدر بـ**٥٠** ألف دينار.

**قمعات شهيرة:**

في العام **٢٠٠٣** كان قد تم إنشاء وحدة تسمى المتسادة، وقد اقتحمت سجن عسقلان فاقتحمت هذه الوحدة السجن، وأذلت الأسرى وقامت بإجراءات مهينة وقت التفتيش واعتدت على الأسرى وأحدثت فيهم إصابات، فتم اتخاذ قرار في السجون بمواجهة هذه القوة مهما كلف الأمر، وقد حصل رباط واستعداد، وفي نهاية العام **٢٠٠٣** وبداية **٢٠٠٤**، تدخل هذه القوة قسم **١٠** في سجن نفحة وهي مدججة بالسلاح في اقتحام مفاجئ بعد صلاة الفجر وكان الشباب على أهبة الاستعداد، وتم أخذ كافة الاحتياطات مثل وضع زيت القلي (السيرج) على الأرض لسحل الجنود أو ربط حبال عند باب الغرفة للوقيعة بالجنود، وهذا ما حصل فما إن دخلت هذه القوة القسم حتى كبر الشباب وما إن فتحوا باب الغرفة المستهدفة حتى تصدى لهم الشباب بما لديهم من كاسات زجاج ومعلبات تونة، وهنا كانت المفاجئة إصابة ٧ جنود وخطف جندي، وقد انسحب الجنود على الفور دون قدرة على دخول الغرفة من غير أن يعلموا أن أحدهم الآن بين أيدي الأسرى، ثم عادوا ليهاجموا القسم هذه المرة بالغاز السام المؤثر في الأعصاب، وعند هذا الغاز لن يستطيع أسير أن يبقى واقفاً، وتم إخلاء الغرفة بمن فيها ثم كانت العقوبات على كل السجن الذي وقف بالمرصاد، واتحد هتافه وضرب الأبواب وكل فنون التصدي الموحد من المعتدي والعقوبات هنا تعود بالسجين إلى مرحلة الصفر، بحيث تسحب كل الأدوات الكهربائية وتقيد حركات

الأسرى في الخروج للفورة لساعة واحدة، وهم مكبلون ومقيدة أيديهم والممنوعون من الزيارات وتكون عقوبات مالية باهظة وباختصار تبدأ حياة السجين من الصفر ليبدأ يصارع في استرداد الأغراض المصادرة، مما يسميه الأسرى تحقيق الإنجازات، بمعنى أن هذه العقوبات تبدأ تتلاشى شيئاً فشيئاً، بطرق أخرى واحتجاجات وخطوات في معادلة متوازنة يرضى عنها الطرفان، ويكون قد تم نقل عدد كبير من الأسرى الذين يعتقد السجان أنهم يقفون خلف هذا التحدي والصمود.

ومن أشهر القمعات كذلك قمعة سجن النقب في العام ٢٠٠٧ والتي استشهد فيها الأسير محمد الأشقر، والذي أصيب بالرصاص الحي وكانت إصابات الأسرى يومها تزيد عن مائتي حالة بعضها خطيرة، ومن الأسرى من فقد بصره ومنهم من فقد سمعه ومنهم من فقد خصيته من شدة إطلاق النار، والفلفل الحارق وأعداد القمعات كثيرة جداً، وهي لا تقل عن مئة قمعة شهدتها سجون الاحتلال، ذاق الأسرى فيها الويلات والعذابات وقاموا بالتحديات والبطولات في مقابل ذلك، وكل القمعات سببها السجان وتكون ردة فعل الأسرى فقط دفاعاً عن الكرامة ورفضاً للإهانة، فقد كانت قوات السجان في سجن جلبوع تجرد الأسرى من كل ملابسهم في التفتيش، فما كان من أحد الأسرى إلا أن سكب الزيت المغلي على أحد الضباط دفاعاً عن كرامة الأسرى، وكذلك حصل في نفحة أن جردت أم أسير في يوم زيارتها في تفتيش السجن فتم طعن مدير السجن، وكذلك في سجن رامون تم تعرية زوجة أسير على حاجز تفتيش يوم الزيارة، فتم ضرب ثلاثة سجانين وكان على أثر ذلك قمعة وقبله سجن نفحة، وقد حصل من قبل في سجن هداريم فما كان من السجان بعد أن تمكن وسيطر بالغاز السام أن جرد الأسرى من ملابسهم كاملة، ومن غير أي شيء يقي جسدهم وعوراتهم، وتركهم لساعات في البرد القارس في ساحة مكشوفة، وهم مع بعضهم في مشهد مؤلم جداً.

المهم أن يعلم القارئ أن الأسير مستعد للتضحية بكل ما يملك حتى نفسه وبصره، وسمعه، ولحمه وعظمه مقابل كرامته وصون عرضه، وهو يعلم كذلك أنه بهذا التحدي سيتم سحب كل شيء يملكه الأسرى فلا ملابس ولا كهرباء ولا طعام ولا كنتينة وحياة ضيقة وقحط وجحيم.

إن هذه القمعات إن دلت فإنما تدل على أمرين الأول للأسير وهو البطل هنا وهو الذي يرفض الذل والمهانة ويطلب العزة والكرامة، والثاني للسجان الذي يستكثر على الأسرى بعض الإنجازات فيسعى لجعل حياة الأسرى خالية من أي مقومات حياة ليبدأ بعد ذلك الصراع لتحسين شروط الحياة.

وستبقى هذه القمعات مستمرة ما دام هناك أسرى فالسجان خليس وماكر ولا يروق له أن يرى للأسرى أي استقرار وفي المقابل الأسير صابر وثابت ويرفض التسليم، أو الاستسلام، إننا نأمل أن يأتي اليوم الذي تكون فيه يد المقاومة قد أزاحت هذا العبء عن كاهل الأسرى، وردت الصاع صاعين والقمعة بقمعات ويسألونك متى هو، قل عسى أن يكون قريباً.

❋ ❋ ❋

# الفصل السادس

## الإضراب

## معركة الأمعاء الخاوية

## ما هو الإضراب:

هي معركة شديدة شرسة عنيفة تفرض على الأسرى فرضاً، ولكن الذي يختار شرارتها ويعلن بدايتها هو الأسير بخلاف القمعات، فإن الإدارة تختار الزمان والمكان المناسبين أما الإضراب فإن الأسرى من يختار الزمان والمكان، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن ما هو الإضراب؟ وماذا يجري بالضبط خلال لحظات ودقائق وساعات وأيام وأسابيع الإضراب، وما هي أسباب الإضراب وكيف يتم الإعداد له، وما هي عوامل الصمود والانتصار أو الفشل والانكسار، وهل يهزم المضرب؟، وما هي الخطط المقابلة من السجان لإحباط وإفشال الإضراب؟ وما هي خطورة الإضراب على الأسير، والسجان، وكيف يفك الإضراب، وماذا عن الحياة بعد الإضراب؟ أسئلة كثيرة جداً سأجيب عنها باختصار مما عشته، مع أطول إضراب في تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية في سجون الاحتلال.

الإضراب يقصد بكلمة الإضراب الامتناع عن تناول الطعام بكافة أشكاله وألوانه، والسوائل وكل شيء، مما يدخل الفم إلا الماء هو الشيء الوحيد المسموح، لأنه يدخل جوف الإنسان وهذا يطلق في القانون وفي عرف الأسرى عن الامتناع ليوم واحد فما فوق، والمقصود به الإضراب المفتوح عن الطعام، والذي لا يقل في الغالب عن أسبوعين، وقد استمر آخر إضراب عام ٢٠١٢م استمر هذا الإضراب إلى ٢٨ يوماً وفي بعض السجون ٢٩ يوماً وحديثنا هنا عن الإضرابات الجماعية التي يدخل فيها كل الأسرى أو شريحة كبيرة منهم لا عن الإضرابات الفردية.

### سؤال فقهي:

وأول سؤال يخطر على بال القارئ المسلم الملتزم بالإسلام، هل يجوز للأسير أن يعذب نفسه، ويطلب الهلاك؟ هل يجوز للأسير أن يفتح على نفسه باباً

واسعاً من الأمراض المحتملة المترتبة على هذا الإضراب؟ خاصة أنه قد سقط فيه من قبل شهداء وقد فتكت أمراض بمئات الأسرى جراء هذه الإضرابات، لأن الناحية الشرعية مهمة في خوض الإضراب، وهل إذا مات أسير أثناء الإضراب سيكون له ثواب وأجر الشهداء؟ هذه الأسئلة بحثها الأسرى وفيهم فقهاء وهم بأنفسهم خاضوا هذه الإضرابات، وكتبوا لها فقهاً خاصاً بل وسألو كبار علماء العصر، وعلى رأسهم الإمام يوسف القرضاوي وكانت الإجابة جوازه شرعاً، ولا مانع منه شرعاً، بل ويستحب إذا حقق شروطه وبعضهم كتب في وجوبه لأنه الجهاد والقتال في عرف الأسرى وما يحققه الجهاد من رد العدوان رغم الألم والخسران، وفقدان الأرواح والأبدان هو عينه ما يحققه الأسرى في إضراباتهم المفتوحة عن الطعام.

**لماذا الإضراب:**

لماذا الإضراب، وما هي الأسباب الداعية لخوض هذه المعركة؟ والإجابة طويلة وسنختصرها في كلمات وهي الكرامة وتحسين شروط الحياة ورفض كل أساليب القهر والإذلال المتعمدة، والتي تتوالى على الأسرى يوماً بعد يوم وهنا حقيقة يجب إيضاحها، وهي أن سجون يهود تختلف عن كل سجون العالم فالسجون في كل العالم تتسابق وتتنافس في أيهما يوفر كرامة للأسير، ويحافظ على حقوقه ويوفر للأسير شروط الحياة الكريمة إلا في سجن يهود فإنهم يتنافسون مع بعضهم وفيما بينهم أيهم يستطيع أن يجعل من حياة الأسرى ذلاً ومهانة وعذاباً وجحيماً، يبرز ذلك من خلال كل مسؤول جديد عند السجون، ففي كل العالم المسؤول الجديد يعطي مزيداً من الإنجازات والتخفيض على الأسرى والمعاملة الحسنة إلا عند يهود فكل مسؤول جديد يتوعد ويهدد بأن يرجع السجون إلى عهد السبعينات النازي، والذي تجاوزه الأسرى بتضحياتهم وشهدائهم وإضراباتهم، إن يهود المحتلين يعتبرون أن تفكير الأسير الحر يؤذيهم، وهو عندهم في السجن ليعذبوه ويقهروه لا ليطعموه

ويسقوه ويوفروا له الاستقرار كل السجون في العالم تحبس الجسد وتطلق الحرية للروح والإبداع كل سجون الأرض تعاقب السجين فتحجزه عن المجتمع لجرم لحق به، وعند العرب لخلاف سياسي كذلك، لكن أن تستمر في حرب نفسه وفكره والحط من قيمته، فهذا ليس موجوداً إلا عند يهود وبأساليب ناعمة خبيثة وبناءً على هذا التفكير المنحط عند يهود يبدأ التضيق المدروس يوماً بعد يوم ضمن خطة محكمة، وكل يوم يخرج بقانون جديد أو تصرف غير مسبوق وعنده ساحة السجون الواسعة للتطبيق وكل سجن فيه مدرسة من الأساليب الخبيثة تختلف عن السجن الآخر، وعلى كل حر في وطنه فلسطين لا تروق لهم حريته يقتادونه مكبلاً من بين أهله، وينتزعونه من بين أولاده ليمارسوا طقوسهم التعذيبية بحقه وتبدأ الاحتكاكات اليومية تزداد سوءاً، والتي تحدثنا عن بعضها في فصل المعاناة اليومية للأسير تبدأ هذه الاحتكاكات بالدم والجوع يبدأ هذا السجان ببطء بتنفيذ خطته المحكمة للحط من قدر أسيره ليصل بعد سنة أو سنتين الى مراده وهدفه.

**أساليب التضييق الممنهجة:**

إن هذه التضييقات قد يراها الذي تعود على البلاء بسيطة هينة، ولكنها عند الأسير مهلكة وقاتلة لأنها تستهدف عزة الأسير وكبرياءه وشموخه، وستتراكم هذه الاستفزازات والمضايقات لتصل بحياة الأسير إلى حد الجحيم الذي لا يطاق، وبالمثال يتضح المقال فببطء مدروس قد لا يشعر به إلا الأسير الخبير بتصرفات السجان من صور هذا التضييق تكثر الازعكاء (صفارة الإنذار) وهي تشبه أصوات سيارات الإسعاف، ومعناها إشعار الأسرى بحالة الطوارئ ويتم التضييق والتقييد في تحركات الأسرى ثم تصبح هذه الازعكاء بشكل يومي، لتزداد وتزداد حتى لا تقل في اليوم الواحد عن ثلاث أو أربع مرات، ولا تفرق بين ليل أو نهار وخاصة في الليل الساكن، فلن يبقى أسير إلا وصحا من نومه فزعاً، ثم يضاف إلى ذلك استهداف

في زيارة الغرف التي حققها الأسرى بالإضرابات فيمنعونها يوم الجمعة والسبت، ثم بعد أيام تمنع الرياضة في يومي الجمعة والسبت، وتبدأ إدارة السجان تماطل في تلبية طلبات الأسرى المشرعة، وأي شيء سيتعطل أو يخرب ولو بفعلهم فلن يتم إصلاحه فماكنة الحلاقة ستقرضُ الشعر قرضاً لقدمها، ولا بديل والتلفاز يتعطل ولا سبيل الآن لإصلاحه وسيتم سحب بعض القنوات ليصل عددها إلى ٨ قنوات قطعوا بث الجزيرة ثم BBC، ويتركون لنا القنوات التي تهدم ولا تبني منها ثلاث قنوات عبرية، وتزداد قذارة السجان في تعامله السيء أصلاً سوءاً على سوء وتتزايد التفتيشات الليلية والنهارية، ويتم إشغال الأسرى بأشياء وهمية وإرهاق حياتهم وستتكاثر هذه التوافه، فمثلاً: يجب إخراج كل القسم بأغراضه بحجة رش دواء مضاد للصراصير، وهو بالمناسبة يزيد عددها ولا يقتلها، وسيتعذب الأسرى وهم يفرغون القسم ثم سيتعذبون وهم يعيدون الأغراض ويرتبونها ثم بعد شهر يطلب تفريغ القسم كاملاً بحجة إصلاحات في السجن، ويتم نقل القسم إلى قسم آخر ومن ثم بعد أسبوع أو يزيد يعودون إلى نفس القسم من ثم بعد شهر سيخرجون القسم كله، بحجة أنه يجب جرد الملابس والأغراض ومصادرة ما يزيد عن حاجة الأسير، ثم تكثر حركة نقل الأسرى من سجن إلى سجن والاستفزازات التي تصاحب هذا النقل من سحب حاجيات الأسرى البسيطة أثناء التنقلات وترتفع وتيرة العقوبات وتمتلئ الزنازين بالأسرى المعزولين، ويتم التضييق والتقييد في زيارة الأهالي لأسراهم فبعد منع أغلبهم من الزيارة سيعيقون الأهالي في سفرهم، ليخرج دور الأسير في منتصف الليل ليعودوا إلى بيوتهم في منتصف الليل الآخر، ويحرم الأسير من لباسه المدني في زيارة ذويه ومن ثم وضعوا زجاج بين الأسير وذويه ولم يكتفوا بالشبك والأسلاك والقضبان التي تمنع من رؤية الأسير لذويه، أو رؤية ذوي الأسير لأسيرهم وتفتعل الأزمات مع الأهالي إلى أن تعود على السجن بأسراه وبتوتر

شديد، وتمنع حقوق الأسير في إدخال الأغراض مع ذويه مثل الملابس الداخلية، ليبقى يواجه البرد بجسده العاري، ثم قانون منع إدخال الملابس والأكل ثلاثة أشهر، وعند وصول هذه الملابس تمنع فتدخل ملابس الصيف في الشتاء وملابس الشتاء في الصيف ثم تكثر التضييقات فلا يزار من الأسرى إلا قليل، فهذا الابن للأسير والذي عمره ثلاث سنوات يمنع من زيارة أبيه والذريعة منع أمني، وهذه العجوز التي قد بلغت من الكبر عتيا تمنع من زيارة حفيدها والسبب منع أمني، ومعنى أنه منع أمني أي لا نقاش ولا تراجع في القرار، البلاد واستمر أسرى قطاع غزة ما يزيد على ست سنوات وهم ممنوعون من زيارة ذويهم لهم، ثم كان التضييق في طعام الأسرى ومنعت أصناف كثيرة من الطعام وأجبر الأسرى على أكل طعام محدد من صناعة يهود لا تستسيغه النفس السليمة، مثل طعام الحمير والذي هو طعام يهود كل سبت وأحد وهو بيض بقشره يسلق في نفس الطبيخ، ولا يطيق الأسرى رؤيته فضلاً عن أكله ويستبدلون الخبز بنوع أردأ ولا ناضج، ولا تعرف كيف تأكله من شدة تجعده، فنضطر إلى إلقائه في دورة المياه، ومن ثم منعوا كثيراً من الأغراض التي كانت تأتي من قبل في الكنتينة، وحققها الأسرى بدمهم، يريدون تحويل حياة الأسير لاستجداء يهود في أتفه وأبسط الأشياء، فالإبرة ممنوعة، وكأس الشاي الزجاج ممنوعة، والقلم والدفتر في أوقات طويلة تمنع، ولا يسمح إلا للون معين، وأقلام ودفاتر رديئة، فالقلم الأزرق ممنوع، والدفاتر نوع محدد وغيره ممنوع والمسطرة ممنوعة، وقائمة الممنوعات تحتاج إلى دفتر كامل، وسترتفع يوماً بعد يوم قائمة سحب الإنجازات لتتحول الحياة إلى توترات يومية، والحديث هنا يطول ويطول ولكن هذه الأمور عند الأسير هي حياته وهي استقراره وهي ما يملكه من الدنيا وهنا سيكون على الأسرى رفع وتيرة التصدي والتحدي فتبدأ خطوات الاعداد للإضرابات وإعلان النفير العام لإرجاع ما كان إلى ما كان أو على الأقل للحد من هذا التدهور في حياة

الأسرى والمهم في كل هذه الاستفزازات والتضييقات ليس قيمتها المادية بل قيمتها المعنوية فالحرب هنا في السجون تستهدف نفس الأسير وروحه ومعنوياته لا جسده فحسب وهنا يكون لا بد من التضحيات للحفاظ عل ضروريات الحياة التي بدونها سينسلخ الإنسان من آدميته، ويصبح كالقطيع يساق سوقاً ولا يتكلم هناك يصبح الأسير إنساناً، وهكذا يريد السجان وهذا ما يعمل على رفضه الأسرى فنحن نعلم أن الكليات الخمس التي جاءت الأديان للحفاظ عليها هي الدين والعقل والنفس والمال والعرض، وهذه الكليات هي هي التي من أجلها يضرب الأسرى عن الطعام فاستهداف الأسرى هو استهداف لدينهم وعقيدتهم وفكرهم، ولذلك ينبغي الحفاظ عليها ولو كلفنا ذلك الأرواح حتى تستقيم حياتنا وكذلك العقل إذا سلم بالأمر الواقع فسيصبح ممسوخاً وإمعة، وهذا ما يرفضه الأسرى ويعملون على الحفاظ عليه بالجوع والظمأ وكذلك الأمر في قضية النفس فإن قتلها المعنوي والحقيقي هو هدف عند المحتل وكم من الشهداء سقطوا في الأسر حتى وصل عدد شهداء الحركة الأسيرة إلى ما يزيد عن مئتي شهيد من الأسرى، لكن الإضراب سيحيي هذه النفس ولم تقتل الإضرابات أكثر من ثلاثة أسرى، لجان الإضراب تقدر الحالات الخطيرة، وتجبرها على فك الإضراب لأن الهدف هو إنقاذ الأرواح لا قتلها وإحياءَها لا إماتتها.

**الإعداد للإضراب:**

بعد تذمر معظم الأسرى من ضغوط السجان وعدم الصبر على استفزازاته تبدأ تتوالى الرسائل من معظم الأسرى لقيادتهم، وتتكدس كل تجاوزات السجان في كل السجون والمعتقلات بين أيدي قيادة الأسرى الوطنية والتي ستبدأ تعد العدة لرد العدوان، ورفضه الذل والهوان وتبدأ المشاورات في كل السجون والمعتقلات وتأخذ وقتاً طويلاً، في هذا الوقت تكون التجاوزات في ازدياد حتى لا يبقى أسير

إلا ويتحمس للإضراب، وتتفق معظم شرائح الأسرى على خوض الإضراب ومن خلال النقاش والحوار في كل السجون سيتم الاتفاق على أهداف الإضراب، وتحديد المطالب التي سيحققها الأسرى وتسجيل مطالب الأسرى وهو الحد الأدنى لهذه المطالب الذي إن تحقق سيتم فك الإضراب وهذا الحد الأدنى يختلف حسب مدة الإضراب وطول فترته فمطالب الحد الأدنى لأول عشرة أيام تختلف عن الحد الأدنى بعد **٢٠** يوماً، وهكذا وهناك مطالب خاصة لكل سجين ومطالب عامة للسجون كل هذه المطالب توضع في قائمة واحدة وتتفق عليها غالب قيادات الأسرى ويبدأ الحديث مع السجان بشأنها، إدارة السجون الصهيونية، بطبيعتها متعجرفة متكبرة لا تقبل حتى الاعتراف بالأسير بأنه رقم موجود وهنا تبدأ خطوات التصعيد السابقة للإضراب والتي ستكون نهايتها وذروتها الإضراب ولذلك ربما تتراجع إدارة السجون الصهيونية وتخضع للاستجابة لمطالب الأسرى ولو بالحد الأدنى، فالأسرى وهم آهبون تجاه الإضراب تكون مطالبهم كثيرة، ولكن في مقابل التنازل عن خوض هذه المعركة وما بها من آلام وعذابات فإنه لو تم تحقيق جزء من هذه المطالب فسيتم الكف وتأجيل هذا الإضراب ولكن عودتنا إدارة السجون الصهيونية بالمماطلة والمكابرة لأن هذه هي طبيعة يهود التاريخية والقرآنية والواقعية اليوم فلا يعطون شيئاً إلا والسيف فوق رؤوسهم وهكذا تعامل معهم خالقهم في مواقع كثيرة وأزمنة مختلفة فلا يكون بداً من خوض الإضراب وسيكون هناك خطة تصعيد وبرنامج خطوات نضالية يتسع يوماً بعد يوم.

**التدرج في التصعيد ضد السجان:**

فقبل الإضراب بأشهر تبدأ هذه الخطوات بإرسال الرسائل إلى الجهات المعنية، وتبدأ خطوات محاربة السجان ضمن الرسائل التي ترهق السجان وتشحن الهمة عند الأسرى وتمهدهم يوماً بعد يوم للخطوة الاستراتيجية فهي خطوة

الإضراب المفتوح عن الطعام، وسيكون قبل الإضراب المفتوح كل أسبوع يومين إضراب، وأحياناً ثلاثة أيام وهذه الإضرابات يتم فيها إرجاع الوجبات اليومية وفي مقابل هذا التصعيد يقوم السجان بتصعيد مقابل، فيغلق السجن وتمنع تحركات الأسرى ويضيق الخناق عليهم وسيتكرر هذا الحال إلى وقت الإضراب وهنا يزداد حماس الشباب للتحدي، والإضراب المفتوح بفعل تجاهل السجان المتغطرس وستكون هناك خطوات تصعيدية كثيرة جداً مثل الضرب على الأبواب وعدم الوقوف على العدد أو عدم الرد على تشخيص عدد المساء، وهذه الخطوات كثيرة جداً وهي الآلية التصعيدية التي تناسب وضع الأسرى وفي المقابل ستبدأ لجنة خاصة بقيادة الإضراب في كل سجن بإصدار النشرات والبيانات وإلقاء المحاضرات الإرشادية والتوجيهية والتحفيزية والتشجيعية فهناك الإرشاد الصحي، وهناك التحفيز المعنوي وهناك بيانات تطورات الأوضاع وإطلاع الأسرى على كل جديد وستبدأ تتوقف معظم النشاطات الثقافية والتعليمية لتصب في اتجاه واحد، وهو الإضراب وستكون خطب الجمعة في نفس الاتجاه وستبدأ الحركة الأسيرة تعيش ظروف الإضراب، وستبدأ إدارة السجون بحركات انتقامية واستفزازية لإحباط الإضراب قبل الشروع فيه بطرق كثيرة، ومنها عقوبات النقل الموسعة في صفوف الأسرى بين السجون خاصة القادة وكل من يظن له علاقة بالإضراب والوقوف خلفه ومنها نقل إجباري للغرف، وللأسرى في نفس السجن، وبعد اتخاذ كافة الإجراءات ودراسة كافة المعطيات والمطالب والخطوات وجميع الاحتمالات وسيكون عند جميع الأسرى موعد تقديري لا تحديد، بمعنى أن تحديد اليوم بالضبط لن يكون عند جميع الأسرى، وإنما فقط عند قيادة الأسرى وهنا ستبدأ قيادة الأسرى بحصر أسماء المرضى لإخراجهم من قائمة المضربين وسؤال من عنده عذر مع ملاحظة أن الدخول في الإضراب اختياري، ولكن الاستمرار فيه إجباري فلن يجبر أسير على

خوض الإضراب، ولكن إذا دخله فيصبح الالتزام عليه بالإضراب فرض لا يصح له فك الإضراب دون إذن من قيادة الإضراب في كل موقع والتي تدرس كل حالة على حدى وحتى يكون الإضراب ناجحاً، ولا يعرف الهزيمة فيقسم قادة الأسرى اليمين بعدم الانسحاب قبل تحقيق المطالب وسيكون هذا القسم أمام جميع الأسرى وفيه أنه ستتم محاسبة المقصرين وفيه أنه سيتم معاقبة من يكون سبباً في النكوص والتراجع كل ذلك من باب الاحتياط والحذر من الوقوع في شباك وخداع السجان وعندما يصبح كل الأسرى على قلب رجل واحد، ومتأهبون لهذه المعركة على كل الجبهات وفي جميع الاتجاهات كل الطواقم التي تقود الإضراب تعمل بجد ونشاط والمعركة هنا يجب قيادتها بامتياز، وأهمها المعركة الإعلامية والصمود في الميدان والوحدة في القرار هذه هي أهم عوامل النجاح للإضراب لأن الإضراب معركة والمعركة معرضة للانتصار أو الانتكاس والإضراب كسائر المعارك، وهناك معارك خاضها الأسرى ونجحوا فيها ١٠٠٪، وهناك معارك خاضوها تفاوتت فيها نسبة النصر والهزيمة، وهناك معارك أخرى كانت فاشلة والهزيمة جرت مزيداً من التدهور والتوتر كل ذلك في حسبان المضربين وقادة الإضراب ماثل أمام الأعين، وهذا التاريخ من النصر والهزيمة هو الذي سيقود إلى النصر القادم، فتدرس قيادة الإضراب بدقة كل خطواتها وتحسب لكل صغيرة وكبيرة حسابها وأمامها تجارب تاريخية من النجاحات للأخذ بها وتاريخ من الفضل للاتعاظ بأسبابه وقد مرت إضرابات في حياة الحركة الأسيرة لا تُحصى ولا تعد، وكانت في البداية ضعيفة وتنتهي بالفشل وأحياناً بتحقيق أمور بسيطة جداً، ولكن هذه الأمور مع تراكم السنين صارت سبل راحة وتخفيف من معاناة الأسرى فكل ما هو موجود اليوم من إنجازات في سجون الاحتلال، إنما تم انتزاعها بالجوع والموت والإضرابات فلم تكن في السجون فرشات ينام عليها الأسرى فتم تحقيقها بالإضراب، ولم تكن هناك

حرامات (أغطية) فتم تحقيقها بالإضرابات، ولم يكن هناك راديو ولم يكون هناك مراوح ولم تكن هناك ملابس غير لون واحد من السجان، ولم تكن هناك بلاطة للطبخ ولم تكن هناك لا دفاتر ولا أقلام ولا كتب ولم يكن هناك تلفاز ثم عندما أصبح هناك تلفاز لم تكن إلا محطات عبرية، ثم أصبحت عربية كل ذلك خلال عقود من المعاناة والألم ويسلم السابق اللاحق الراية ويكمل المشوار، واليوم حياة السجن على ما بها من ويلات ومعاناة إلا أن كثيراً من الأغراض الموجودة، وأساليب الحياة الكريمة إنما انتزعت بالجوع والألم والصبر، وهذه الإضرابات هي الوسيلة الأكثر نجاعة لانتزاع هذه الحقوق، ونؤكد هنا أن ثمنها الدم وليس الجوع فقط ففي الأسر تتفق كلمة الأسرى ولكن شعبهم من خلفهم هو الذي يدعمهم وهو الذي يسقط من الشهداء والجرحى والمظاهرات التي تعم الشوارع، ومن هنا ومن خلال كل ما سبق فإن هذه التجارب جميعها بين يدي قيادة الإضراب.

**عوامل نجاح الإضراب:**

لنجاح الإضراب وإحراز الانتصار عوامل، منها إدارة المعركة إعلامياً في الخارج، ففي إضراب ٢٠١٢ اعترف العدو الصهيوني أن قيادة الإضراب قد نجحت نجاحاً كثيراً في فضح العدو الصهيوني وانتهاكه الصارخ لحقوق الأسرى في سجونه بالإعلام الخارجي، وهذا ما أخزى المحتل وفضح تستره خلف ثوب الديمقراطية، وحقوق الإنسان فتم الاتفاق مع كل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وإمداد هذه الوسائل بكل جديد، وإبلاغهم عن ماهية مطالب الأسرى، وكلها مطالب عادلة ومشروعة وبسيطة جداً ومن عوامل نجاح الإضراب وحدة القيادة وعدم التفاوض مع قيادات محلية في السجون بل مع قيادة الإضراب فقط، وذلك أن السجان تعود في معظم الإضرابات عزل قيادة الإضراب ولكن في إضراب ٢٠١٢ تم رفض التعاطي والتفاوض مع السجان، إلا مع اللجنة المشرفة التي تقود الإضراب

وهي المخولة بفك الإضراب ولن يستطيع أي أحد من الأسرى فك الإضراب، أو الدعوة إلى فك الإضراب إلا عبر هذه القيادة.

**حملات انتقامية مسعورة:**

وستحاول إدارة سجون الاحتلال ومن خلفها قيادة الكيان التي تتابع هذا الإضراب باهتمام بالغ سيحاولون إفشال الإضراب بشتى الطرق، فما أن يعلن الإضراب حتى تبدأ الحملات المسعورة من اليهود السجانين على الأسرى، وهي حملة جداً مسعورة ويراد منها إذلال الأسرى وأخذ إنجازاتهم بعد الإهانات المتكررة المقصودة ففي كل إضراب مفتوح عن الطعام يخرج الأسرى كل ما لديهم من طعام وكل ما له علاقة بالطعام ويتم تسليمه لإدارة السجن وهو الإعلان والإعلام بدخول الإضراب فلا يبقى عند الأسرى سوى الماء الذي سيعيشون عليه أيام إضرابهم ولكن إدارة السجون لا تكتفي بذلك بل تشن هجمتها الشرسة على كل شيء وذلك حتى ترهق الأسرى وتنهك عزمهم وقواهم، وهي تعلم أن ذلك لن يفت في عضد المضربين ولن يتراجع وضرب واحد ولكنها خطوات قذرة سخيفة خسيسة يراد منها فقط الانتقام والثأر وإليكم أهم هذه الاعتداءات في أول ساعة من صبيحة اليوم الأول للإضراب تكون هناك وحدات تفتيش تقتحم كل السجون المضربة عن الطعام وتخرج الأسرى من غرفة غرفة، ويتم سحب كل أغراض الغرفة وكل أمتعة الأسرى ويتم حشرها في وجوه الفرشات والملابس وأدوات المطبخ الكهربائيات المياه الفارغة، وحتى المكنسة والقشاطة تجتذب كل غبار أو شعر أو وبر وحتى الغطاء الخاص يتم سحبه واستبداله ببطانية من السجان قديمة ذات رائحة كريهة ويطلب من الأسير أن يبقى معه بشكير ولباس داخلي واحد والبنطال الذي عليه والقميص ونعل بلاستيك غير ذلك لا يبقى في الغرفة شيء والأغراض التي تصادر يتم حشرها من غير تمييز غرض أو لباس أسير عن أسير آخر بطريقة استفزازية

وتجر جراً أمام أعين الأسرى وهم خارج غرفهم وسيبقون خارج غرفهم طوال اليوم الأول لأن السجان سيعبث بما تبقى في الغرفة من جدران وخزانات وأبراش طوال اليوم كأنك في ورشة حدادة أو كأنك في بيت تريد هدَّ أركانه حتى إذا كان آخر اليوم عُدت إلى غرفتك وهي مليئة بالحصى والرمال المتساقطة بفعل الضرب بقوة في الجدران، وكل شيء على الأرض وعلى الأبراش تعود إلى الغرفة وأنت مرهق متعب من الانتظار خارجها طوال اليوم، ولا تجد ما تنظف به الغرفة تغسل أرضها أو تزيل ركامها فما يكون من كل أسير ألا ان يستلقي على فرشته ويوسد بطانية ويعيش هذه اللحظات التي ستمر من اليوم بطيئة ثقيلة حتى إنه ليخيل إليه أن عقارب الساعة لا تتحرك فمن اليوم سيكون جهادنا الصبر والثبات، والاستغفار والذكر والتفكر فقد أرشدتنا القيادة أن نحافظ على مخزون الطاقة فلا نتذمر أو تنفلت أعصابنا أو نجادل أو نناقش أو نتحرك إلا قليلاً ومن اليوم هناك فقه خاص حتى بالصلاة فسنصلي جمعاً وقصراً، وسنصلي قاعدين لا واقفين وهذه التوجيهات والتعليمات يعلم بها السجان من خلال عيونه فيكون عنده برنامجه اليومي المكثف الذي سيرهق الأسير حتى يقصر أمر الإضراب إلى أقل أيامه، وهو يعلم أن الأسير حتماً سينتصر في هذه المعركة ولكن عليه أن يدفع ضريبة النصر بالعذاب والألم حتى يفكر ألف مرة قبل أن يقوم على هذه الخطوة مرة أخرى، والتفتيشات من أول يوم للإضراب ستشتد أدوارها، والاستفزازات في فحص الشبابيك سيطول أمدها، وأنت أيها الأسير من اليوم لن تخرج فورة إلا ساعة واحدة، وستخرجها وأنت مقيد ومكبل وعند فحص الشبابيك ستخرج من غرفة إلى غرفة وأنت مقيد وستعود وأنت مقيد بالسلاسل وسيتم إشغال وإرهاق الأسير طوال اليوم، وتبدأ حركة نقليات واسعة في كل أيام الإضراب إلى خارج السجون وداخل كل سجن فلا يبقي أسير في غرفته، ولا يبقي أسير إلّا في قسوة ولا يبقى أسير في سجنه وستبدأ قذارة المحتل بأبشع صورها، ففي

كل قسم يجعلون غرفة في وسط القسم فيها سجناء يهود جنائيون من أحقر وأحقد يهود على المسلمين، وطلب منهم أن يبقوا طوال اليوم يشوون أشهى المأكولات ذوات الروائح الزكية، وأحلى الحلويات ذوات النكهات المميزة ويتقاضون على ذلك رواتب ويعدونهم بحوافز وسيستمر ذلك طوال أيام الإضراب لقهر الأسرى نفسياً، ومعنوياً بعصيهم يركلونه وهو تحت أرجلهم مقيد مكبل، ولا يفعلون ذلك إلا بعد أيام من الإضراب ويكون جسد الأسير قد ضعفت قوته وتراخت عضلاته حتى إنه لا يستطيع الوقوف للصلاة وهنا عن حوادث الاعتداء فحدث ولا حرج فهذا الأسير أحمد القدرة يسمع صوت أسيرين تحت سياط السجانين فما كان منه إلا أن قال بصوت مرتفع الله أكبر الله أكبر حتى يخفف عن أخيه فما كان من هذه القوات إلا أن انهالت عليه وهو مكبل ومقيد القدمين واليدين، فما تركوا منه موضعاً إلا وقد أوجعوه فيه فما هي إلا دقائق فمن كان يعرف أحمد قبل خمس دقائق، ورآه بعد الاعتداء والضرب لم يعد يعرفه فقد تورم وجهه وتغير لون جسمه وما عاد يعرفه حتى أقرب الناس إليه، وقد كان هذا في اليوم الثامن للإضراب ولأتفه الأسباب يتم اقتياد الأسرى إلى الزنازين الانفرادية، وهناك سيجد الأسير من الفخاخ والمصائد التي قد أعدت ونصبت له فهذا السجان مهمته أن يقتاد الأسير، والآخر مهمته أن يضع رجله أمام قدميه ليقع على الأرض وثالث مهمته أن يعتدي فإذا رد الأسير المكلوم أمرٌ اعترضه فإن القوة جاهزة، وهنا مع مر الأيام ستكثر حالات التساقط بين الأسرى لا التخاذل، وإنما هو سقوط على الأرض من شدة ألم الجوع، وتبدأ الأوجاع والأمراض تتكشف وتظهر وهنا عند السجان حسب زعمه طاقم جاهز، ولكن هذا الطاقم هو للإهانة والازدراء لا العلاج والشفاء فمهمة هذا الطبيب والذي هو شرطي في الأصل مهمته فقط أن يحاول استفزاز الأسير ويقول وهو يقلب كفيه ليس لك علاج إلا فك الإضراب فهذا الذي تمر به من مرض علاجه فقط هو فك

الإضراب، وهناك عند الطبيب تبدأ المساومات فعنده في أيام الإضراب ما لذ وطاب من الطعام والمشروبات والفواكه الطازجة، وسيكون دور هذا الطبيب المساومة وإذا فشل فسيكون علاج هذا الطبيب ذو اللسان المعسول قبل دقيقة سيتحول إلى قرد وخنزير يسب ويشتم ويتلفظ بألفاظ نابية، وسيترك الأسير يعود إلى حيث أتى مكسور الجناح خائب الأمل.

**قوة الجسد تتبع قوة الروح:**

إن الصبر والثبات الذي يتنزل من الرحمن في أيام الإضراب يفوق كل توقع فمع كل حالة تُروى أو تدهور صحي ترى عجباً عجاباً من قصص البطولة والفداء، حيث يقف العدو حائراً أمام هذا الصمود الأسطوري فيمر أول يوم بشكل اعتيادي، لأننا متعودون على الصوم وجسد الإنسان يحتمل صبر يوم على الجوع وخاصة أننا نشرب ماء طوال اليوم لأن الماء هو الزاد الذي سيخفف الألم والمرض الضيف وسيشعر في نهاية اليوم الأول بالجوع فقط الجوع يعض البطن، وفي اليوم الثاني سيكون هناك صداع شديد في الرأس وشعور بالدوخان والزوغان، هذا الصراع القوي يذهب كل تفكير في الجوع فيذهب الجوع ويبقى الصداع وستبقى تعاني لحظة لحظة، هذا الألم وعليك أن تنتظر وجمّل نفسك بالتفكر والتذكر ولن تستطيع قراءة القرآن لأن الألم شديد والإرهاق عسير، وسيبقى هذا الصداع يشتد ويشتد بمرور كل لحظة حتى نهاية اليوم الثالث أو الرابع، ثم في نهاية اليوم الرابع يبدأ هذا الصداع يخف تدريجاً ليحل مكانه الهزال والضعف والإرهاق والشعور بالملل وطول اليوم، وأطول ما فيه الليل فيذهب النوم حتى إنك لن تستطيع أن تنام من **٢٤** ساعة سوى سويعات قد لا تتجاوز ٤، وهي متقطعة لا تكاد تصل أطوالها إلى نصف ساعة ولا تعرف للنوم وقتاً محدداً فقط تغفو لحظات في النهار أو في الليل وهذه الغفوات أقرب إلى الغيبوبة منها إلى النوم وستبدأ بعد خمسة أيام تتزايد حالات الإغماء والغيبوبة والسقوط على الأرض،

ففي كل يوم حالة أو حالتين أو ثلاث من القسم الواحد ستحمل على الحمالة إلى العيادة ثم يعود إلى معاناة، ومحافظاً على صبره وثباته وذاكراً ما مر به من مغريات وتستمر حالات الإغماء والسقوط على الأرض في ازدياد وفي آخر أيام الإضراب وصلت الحالات إلى أكثر من ثلاثين حالة يومية في القسم أي ربع الأسرى يخرج يومياً للعيادة، ومنهم من يحمل إلى المستشفى وأخطر حالات السقوط على الأرض إذا كانت في الحمام، أو بيت الخلاء، أو في الزنازين فهناك من المضربين سقط وفي زنزانته وحيد ليكتشف وضعه بعد ساعات، وكانت دماؤه قد ملأت الأرض من إثر جرح أصيب به في رأسه، عند وقوعه وكاد يفارق الحياة لولا عناية الرحمن، وكثيرة هي الحالات التي تكاد تتحشرج وتحتضر وهي صامدة صابرة، وترفع السبابة وتتمتم بالشهادة لأنها تكاد تفارق الحياة إلى لقاء الله.

**قصص واقعية تحسبها خيالية:**

إن أكثر قصص البطولة والفداء وقصص الصبر والثبات هي في الإضرابات، وإن الإنسان لتحدثه نفسه ألف مرة بأن يفك إضرابه من شدة ألم الجوع، لولا تصبير الرحمن وما يراه من طوله من الأسرى وهم يشدون أزر بعضهم ويرفعون معنويات أنفسهم بأنفسهم، فهذا أسير وقد قذف الدم من فمه فما يشرب الماء حتى يخرج دماً، ويغيب عن وعيه ثم يأتي الطبيب ويحذره من مرض شديد وخطير قد أصابه، وإن عليه أن يفك إضرابه فتأتي قيادة الإضراب وتقول له لا بأس عليك وصمودك أسطوري ولكن حالتك خطيرة فيضطر أن لا يفك إضرابه إلا مع إخوانه ويرفض أن يدخل أي شيء في جوفه، هذا الأسير محمد حلس من قطاع غزة قد اشتد الألم في رأسه حتى ما عاد يطيق الصبر ويصرخ ويئن وماذا عسى الأسرى من حوله يفعلون إلا الحوقلة والدعاء بالتثبيت، ثم يشتد به الصراع أكثر فأكثر ويقع على الأرض وثم يظهر ورم في وجهه ويكبر خلال أيام وينتفخ هذا الورم، وتدخل حالته مرحلة الخطورة ويتم أخذه

على وجه السرعة إلى المستشفى خارج السجن وهناك يساوم على فك إضرابه لأنه ستجري له عملية جراحية، ولن يكون الأمر وهو على هذه الحالة ولكنه كان يرفض ومن ثم اضطروا إلى تنويمه وتخديره وإجراء العملية الجراحية ثم عاد إلى السجن وهو مصر على استمرار إضرابه مع إخوانه حتى النهاية، فبدأت قيادة الأسرى بإقناعه في فك إضرابه لأن حالته حرجة ولكنه رفض إلا أن يستمر في إضرابه حتى النصر أو الشهادة وأحب أن أنوه هنا إلى أن جدية المحتل في علاج الحالات الخطرة ليس خوفاً على الأسير وإنما ما يترتب على استشهاده فحينها سيزداد صبر المضربين وتلتهب النار تحت أقدام المحتلين في كل مكان، وستكون فضيحة المحتل الكبيرة وهو يقتل أسراه ويجعلهم يموتون مقابل مطالب عادلة، وكذلك فإن هناك حالات حرجة وإصابات بالغة وهم من أهل الأعذار ولكنهم يرفضون التخلف عن إخوانهم ويربطون مصيرهم بمصيرهم، وأن الرجل الصلب في جسمه القوي في عضلاته تمر به أيام الإضراب، وقد انهكت هذا الجسد ولم يبق فيه غير الروح فهذا فقد عشرين كيلو غرام من وزنه وهذا فقط ٣٠ كيلو، وأكثر الأسرى نحافة وضعفاً فقد ما لا يقل عن خمسة عشر كيلو من وزنه ولكن تبقى المعنويات عالية والروح قوية والمعنويات مرتفعة، وحينها تتأكد أن الإنسان بروحه وقلبه وعقله لا بجسده وجسمه فهذه الروح إن شحنتها فستكون قادرة على الصمود والثبات إلى حد لا يطيقه ولا يتحمله بشر وما كنت أحلم يوماً في حياتي ولم أصدق إلى اليوم أنني أعيش وقد مكثت ٢٨ يوماً، ولم يدخل جوفي غير الماء وكلما مرت الأيام وازداد ضعف الجسد وتتزايد استهدافات السجان وقهره واعتداءه وحالات الطوارئ وهذه الحال ما هي بالحال التي تسر ولكننا كمن يصبر فوق الجمر وننتظر لحظة بلحظة أن يأتي خبر النصر ونتابع بدقة وقلق التعاطف والتأييد في الشارع الفلسطيني والعربي والدولي حتى تنتهي هذه المعركة ويتحقق النصر.

﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

إن أوقات الإضراب العصيبة على الأسرى هي ذات الوقت عصيبة على السجان قال تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فأيام الإضراب أيام إنهاك للمحتل وسجانيه إن استمرار التوتر والطوارئ يجعلهم يداومون على مدار ٢٤ ساعة، وتلغى الإجازات ويبقى الدوام طيلة أيام الإضراب ويمنعون من الخلود إلى زوجاتهم ولن ينام السجان لاحتمال حدوث أي طارئ أو جديد، وستواجه الدولة بكاملها إرهاق المظاهرات والتأييد للأسرى وكلما صمد الأسرى أكثر ازدادت قوة التظاهرات في الشارع وتصبح الخطوط الحمر عند السجان قابلة للتفاوض، وبدلاً من أن يكون هو القوي المتغطرس يصبح هو المستجدي المتنازل قهراً وذلاً، وتصبح قيادة الإضراب في الأيام الأخيرة رغم الألم والعذاب والاستهداف هي صاحبة العزة والشرف والقوة والكلمة الأخيرة وتدخل مرحلة المفاوضات والحوار وهنا تفرض الحركة الأسيرة كلمتها وتتدخل الدول للإشراف على المفاوضات ففي الإضراب الأخير عام ٢٠١٢ كانت مصر هي التي ترعى الاتفاق بين الأسرى المضربين وبين دولة الكيان الصهيوني المغتصب، وكانت الحركة الأسيرة ومن خلفها الشعب في غزة والضفة والقدس ٤٨، كلهم ينتظر خبر النصر وعند ساعات النصر وعند خبر فك الأسرى إضرابهم وتحقيق المطالب الكبرى وهي إخراج الأسرى المعزولين من عزلهم والتقاؤهم بإخوانهم الأسرى في السجون والموافقة على مطالب الأسرى وأهمها زيارات الأسرى الممنوعين أمنياً وزيارات ذوي الأسرى من أهل غزة هنا تنزلت الرحمات في يوم مبارك في ذكرى النكبة كان الانتصار وكان الأمل وكان التكبير للأعياد في السجون يعلو ويعلو ليتعانق مع مسيرات الفرح في كل ربوع فلسطين وزغاريد الأمهات وهدير المتظاهرين كلهم يكبر تكبيرات الانتصار وفي هذا اليوم المبارك نزل غيث

من السماء كثيف وغزير وصافٍ وكأنه احتفال السماء مع احتفال الأرض وانكفأت كل صناديد يهود واسودت وجوههم وخابت آمالهم وهم يرون فرحة الأسرى من خلفهم وأمامهم وعن أيمانهم وشمائلهم يفرحون وتعانق كل الابتسامات والتهاني والتبريكات ويبقى في هذا اليوم الخاسر والهالك هو السجان ومن خلفه دولته المسعورة وقد اعترف بانتصار الأسرى وهزيمة السجان قيادةُ الاحتلال فصبت أم غضبها على السجانين الذين كان بإمكانهم تجاوز وتجنب هذا الحرج حسب زعمهم ولا يبقى بعد هذا الانتصار إلا الانتظار وفاء الأحرار وكلنا في يوم انتصار إضراب الكرامة كنا نتطلع الانتصار المرتقب وحدنا وثبتنا متأكدين أن صباح هذا النصر قاب قوسين أو أدنى إنه وفاء الأحرار الثاني، ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريباً.

❋ ❋ ❋

# الفصل السابع

# زيارات ذوي الأسرى لأسراهم

**نافذة أمل:**

الزيارات نافذة أمل يطل بها الأسير من قبره على الدنيا وبارقة تفاؤل يسلي بها عن روحه ونفسه وهي ماء الحياة لمن كاد يفقد الحياة وهي الرطوبة والبلل والخضرة بعد الجفاف والكحة واليبوسة، وهل هناك في الدنيا أجمل من أن يلتقي الحبيب بحبيبه والمولود بوالدته ووالده، هل هناك أعذب وأحلى من أن يلتقي الأسير والشريد والطريد والغريب والبعيد بعد فراق طويل بأمه وأبيه وزوجته وأخيه وبناته وبنيه، يعيش الأسير أيامه ولياليه خالي الذهن صافي الفكر فارغ الذكر شارد العقل إلا من أهله وبيته ووطنه هذا، هم الأسير معه أول لحظة يقع فيها أسيراً يفكر ويقدر ويهتم ويغتم ما هو مصير الزوجة والأولاد؟ ومن سيعين ويخدم والديه من بعده؟ وكيف ستمضي الحياة وهو عنهم بعيد وتتزاحم الذكريات وتتفاقم الكربات كربات التحقيق وكربات الإخوان والخلان وكربات الوطن وهم العمل وكربات الأهل والزوجة والذرية يعيش أسره أيامه ولياليه لحظة بلحظة متى سيكون اللقاء الأول؟ هل سيفرج عنه ويحتضن أمه ومن يهواه؟ أم ستكون هناك لقاءات تجمع بين الحزن والسرور داخل هذا الأسر؟ ومتى وكيف؟ وتمر الأيام وتمر الشهور وتتابع السِّنون وما يزال ينتظر والأسير في عزلة عن أحب الناس إليه محروم من رؤيتهم، أو حق سماع صوتهم تجيش في النفس الخواطر وتتقلب طوال الليل ويهجم بخياله في صباحه وضحاه وظهيرته ومساه يستذكرهم في نفسه ويحدث عنهم أصحابه ويكتب أسماءهم ويرسم صورهم في دفتره ورسائل يكتب الرسائل تلو الرسائل عاد ليصل الخبر ويطمئن عليه محبوه ولا تكل يده ولا تمل نفسه ولا تفرغ قريحته، وهو يكتب ويأمل أن يصل الكتاب وتصل الكلمات وزين العبارات ويحسن الخط وينتقي الجمل، ويكتب بعض ما يجول بخاطره ولكن دون جدوى ودون سماع خبر يسمع عن الأسرى يزورهم ذووهم يتلفت حوله يسأل عنهم فلا يكاد يجد منهم إلا قليلاً

ويسأل صاحبه فلان فيقول لي عشر سنوات لم أزر، وأخاه فلان فيقول لي **١٢** عاماً لم أزر، وهذا كذا وكذا من السنين فقلت في نفسي وقد مرت علي بضع سنوات وماذا عساي أقول في هذا المصاب الكبير، وأين من يتشدقون بملء أفواههم ويتكلمون بأعلى أصواتهم عن حقوق الإنسان، واحترام كرامته وهل يحرم مولود في الكون أن يرى والده ووالدته وهل سمعتم عن أب في الوجود منع لسنوات طوال أن يرى ابنه أو بنته فضلاً عن زوجته وأمه وأبيه وهذا العمري في الزمان غريب اللهم إلا عند يهود فهذا جائز لماذا؟ الجواب بسيط لأنهم لا يعذبون الجسد ولا ينتقمون من القاتل بل يستهدفون الروح وينتقمون من الرضيع والصبي والطفل والعجوز والشيخ الهرم والأم والجنين، وتستمر معاناة الفراق وتطول الأيام وتزدحم التظاهرات والاحتجاجات من ذوي الأسرى في الشارع الفلسطيني في مشهد مؤلم يتكرر أسبوعياً أمام مقرات الصليب الأحمر الذي لا يسمع ولا يتكلم ولا يحرك ساكناً، يتجمع أهالي الأسرى ومناصرو قضية الأسرى يطالبون بزيارة أسراهم والإفراج عنهم، وتتحرك الحركة الأسيرة في السجون الصهيونية لتعلن التصعيد والإرباكات المتلاحقة التي ذكرتها سابقاً حتى تتوج هذه النشاطات والفعاليات بإضراب مفتوح عن الطعام أبرز مطالبه زيارة الأسرى أي السماح لذويهم بزيارتهم، بعد حرمان معظمهم ووصل حرمان بعضهم إلى ما فوق العشر سنوات، وتذهب أطنان من لحوم الأسرى من شدة الجوع وتنزف آلاف وحدات الدم من مئات الأسرى وكل ذلك رخيص وهين مقابل أن يرى الأسير ذويه، وتمر أيام الإضراب بطيئة ثقيلة كسير السلحفاة ويسلي الأسير نفسه ويمضي وقته لحظة بلحظة وهو شارد الذهن مع أهله، وإذا تحدث الأسير إلى جليسه الأسير أخذا يتصوران كيف سيكون أول لقاء بعد سنوات، وكيف سيحضن ابنه أو يعانق أمه وكيف سيتلذذ بطعام بيته وزيت زيتون فلسطين، وهكذا يسلي الأسير نفسه ويعيش الذكريات في النهار ويطرب لها في

الأحلام والأسير ينام فيكون جوُّه ونومه وصباحه ومساؤه وألمه ووجعه كله في ذويه وماذا فعلت السنون بهم فهذا يفكر في ولده وفلذة كبده والذي لم يره منذ عشر سنين كيف ستكون صورته وصحته ووجهه وجسمه وكلامه وفهمه وكيف سيكون تقبله إليه وهل سينسجم الولد معه؟ وتكون أحلام سعيدة ومليئة بالحزن والأسى وتنقض أيام الإضراب وينتصر الأسرى ورغم شدة الفرح بالانتصار تتساقط الدموع من أعينهم دموع فرح وترقب وانتظار وقبل أن يفكر في لقمة عيشة سيصبح الأسير من هذا الوقت سيتمنى أن تمر الأيام سريعة ويسأل عن تفاصيل الزيارة ومتى ستكون؟ وكم وقتها؟ وما المسموح والممنوع فيها؟ ومن سيزوره؟ وكم عددهم؟ وما هي أعمارهم؟ هذه هي أمنيات وأحلام الأسرى حتى بعد الإضراب.

**وما كادوا يفعلون:**

وتستمر الحوارات مع السجان حول البدء بالزيارة ووقتها وتماطل إدارة السجون الصهيونية تحت ذرائع كثيرة وتريد أن تنقض النصر بالتنصل من الوعود أو تفريغ الإنجازات من مضمونها وستكون أولى الزيارات بعد ثلاثة أشهر من انتهاء الإضراب، لأن ذلك يتطلب تنسيقاً عالياً حسب زعمهم وأن الزيارات تحتاج إلى ترتيبات داخل مصلحة السجون الصهيونية ودراسات لكافة الملفات من قبل الشاباك لمن يزور وتنسيق مع الصليب الأحمر وسلطات المعابر والحدود وترتيب الحراسة والتنسيق مع الجيش، يجعلون من الحبة قبة وتكاد تكون هذه الشهور الثلاثة في حقيقتها كثلاث سنين وهي تسير سيراً بطيئاً وكأننا نحمل الجبال فوق رؤوسنا ونترقب تفاصيل الزيارة وكيفيتها ومدتها، وهل هي كل أسبوعين كما كانت من قبل؟ وكل يوم يصلنا خبر يناقض خبر الأمس وما نزال ننتظر وقبل الموعد المحدد بأسبوع تبدأ فنون الخداع والمكر والتحايل، فالفوج الأول من أسرى غزة وعددهم ٥٠٠ أسير سيكون مكوناً من ٣٨ أسيراً فقط، كل أسير ينتظر على أحر من الجمر هذا

الموعد، فإذا بالإعلان المحبط فقط سيزور ٣٨ أسيراً، ومن سيكون سعيد الحظ بهذه الزيارة ويبقى كل أسير ينتظر وتكثر الشائعات فهذا فوج سجن نفحة، وآخر يقول هذا فوج سجن رامون، وثالث يقول بل هذا فوج سجن إيشل ثم يعلن الصليب هذه الأسماء، ونتأكد الأخبار ويفرح من جاءه الخبر ولكن الجمهرة من الأسرى في غيظ وكبت من هذا التعامل الحقير من سلطات الاحتلال، وتبدأ الاحتجاجات على هذا العدد المحدود ولماذا هذا التلاعب فتكون إجابة السجان أشد استفزازاً وأكثر خيبة فكانت إجابتهم هذا فوج تجريبي وبعدها سندرس الأمر ونقيم الزيارات وتبدأ مشاكل أخرى تطرأ؛ وقت الزيارة ٣٠ دقيقة، وقد كان من قبل ٤٥ دقيقة ثم مشاكل أخرى فالمسموح له أن يزور الأسير فقط أبوه أوأمه أو زوجته وكثير منهم ممنوع بدواعي أمنية، وما عدا ذلك ممنوع ومرفوض، ومن قبل الابن والأخ والجد والعم والعمة والخال والخالة والأحفاد، ومشكلة أخرى يمنع لذوي الأسير أن يصطحبوا معهم أي غرض أو ملبس أو طعام أو حتى صور لذويه كل ذلك ممنوع وبذلك نرى أن السجان يعمل على تفريغ الإنجاز من مضمونه ثم رأينا أن زيارات غزة ستكون كل يوم إثنين، ولكن أسبوع بعد أسبوع بمعنى كل أسبوعين سيسمح لفوج لا يزيد عن ٤٠ أسيراً أن يزورهم ذووهم وهذا معناه أن بين الزيارة والأخرى لكل أسير مدة لا تقل عن ستة شهور، وبعضها يزيد عن ذلك ومعنى ذلك أنه سيكون بعد الإضراب بمدة تقدر بستة أشهر، وما يزال أسرى لا يزورهم ذووهم ثم إن غالب الأسرى سمح أن تزوره أمه أو أبوه، أما كلاهما معاً ممنوع، ومرفوض فهذا هو هم وغم الأسير والمعاناة المفتعلة المدروسة بدقة كل خطوة من خطواتها.

**قصة أبكت الأسرى جميعهم:**

لا تحسب ما ذكرناه سابقاً هو كل المعاناة بل هو بداية الأزمة وأول المعاناة والإحباط، وهناك كثير من العقبات والمشاكل ستبرز كل يوم ومع كل زيارة بفعل

تصرف السجان المحتل وجنود الاحتلال وهي معاناة يحسُّ بها ويتألمُ لها كل من يتابع ملف الأسرى، ولهمومهم ومعاناتهم فهذا الأسير الذي حرم لسنوات طوال من زيارة والدته كان ينتظر على أحر من الجمر، ولكن بعد الإضراب تم تأخير الزيارات ثم عندما بدأت الزيارات تم تأخير اسمه إلى الأفواج الأخيرة حتى إذا ما جاء موعد الزيارة وقبلها بيوم بدأ يستعد وحلق شعره، وأخذ يحمل في هيته ويريد أن تزوره والدته وتراه كأحسن ما تلاقي أم ولدها، فلم ينم ولم يتذوق للنوم طعماً، وهو يحدث إخوانه عن أمه وقوتها وعذوبة ألفاظها ومهاراتها وعن شدة شوقه ينظر لحظة بلحظة ودقيقة بدقيقة، وفي المقابل تتهيأ أمه وبفطرتها وبحاسة الأم القوية ينبض قلبها وهي تتخيل فلذة كبدها، وأغلى ما تملك، وأيضاً لا تعرف للنوم طعماً وقد جفاها النوم وبقيت ساهرة يقظة وما بها من تعب ولا ملل من شدة شوقها، وكأنها في ريعان شبابها ترقص فرحاً وطرباً وتترنم بالزغاريد لهذا اليوم السعيد وتخرج في عتمة الليل، وبعد منتصف الليل الساعة الثانية صباحاً الموعد المقرر والمنتظر وسيخرج أهالي الأسرى في باصات الصليب، ومعها أبناؤها وزوجها الذين أوصلوها إلى موقف الباص، وودعوها وبلغوها أحلى التهاني لابنهم وأخيهم الأسير، وانطلق الباص حتى إذا اكتمل عدد ذوي الأسرى المسموح لهم بالزيارة، هنا يأتي القضاء والقدر وتكون المصيبة والفاجعة مصيبة الموت قدر الله الغالب، وهي في طريقها إلى رؤية ابنها تفارق هذه الدنيا الفانية، وتصعد روحها الطاهرة إلى باريها، وكأنها ستعانق روح ولدها عند ربها، وهناك الطرف الآخر الأسير ينتظر وينتظر وما ينام الليل حتى صلاة الفجر صلى الفجر ثم دعا ربه أن يسير الأمر، وأن تمر هذه الزيارة على خير وما درى هذا الأسير المسكين المغلوب على أمره أن والدته الآن في عليين وروحها حول العرش، ولكنه ما يزال ينتظر حتى إذا وصل ذوو الأسرى وتطايرت الأخبار وسمع الجميع الخبر الحزين والخبر المفجع، فماذا يفعل الأسرى وهذا

قدر الله؟ ثم بدأ الأسرى يجتمعون حول أخيهم الأسير ليزوروه بدل زيارة أمه توافدوا عليه في غرفته، وإلى هذه اللحظة ببهائه وجماله ولباسه الجميل وما يدرى ما الخبر، رآهم يتهامسون ويرقبونه بأبصارهم، علم أن في الأمر شيئاً غريباً، وأدرك أن مصيبة تلف حوله من غير أن يدرك، وما أصعب الموقف هنا على ناقل الخبر وحامل النعي الذي يجب أن يتجلى بأرفع آيات الصبر والقوة، وهو ينعى أم الأسير للأسير، فكان ما لا تستطيع هذه السطور التعبير أنه كانت رواية كاملة حزينة مؤسفة، ولكن ليس للأسرى فوق مصابهم إلا المؤازرة والمؤانسة، ولا حول ولا قوة إلا بالله فكان يوم الفرحة يوم الزيارة هو يوم الحزن، والأسرى في جميع السجون وعند جميع الأسرى وقدر الله غالب، ولكن السجان الظالم والمحتل الغاصب هو الذي ظلم الأسير وقهره ثم عاقب الأم والأهل بحرمانهم من رؤيته رؤية ابنهم، ماطل ثم أهمل ثم زاد من الإمعان حتى فارقت الأم الحياة.

**نزيف الأمل:**

إن ذوي الأسرى المسموح لهم بالزيارة هم الآباء والأمهات والزوجات، وهم في الغالب من كبار السن وممن نهكتهم الحياة وكادوا يفقدون أبصارهم من حزنهم على فراق أبنائهم لكن المعاناة والعذاب الذي يلقاه ذوو الأسرى في طريقهم لزيارة ذويهم، يجعل من هذه المعاناة والعذاب حاجزاً وعائقاً للفرحة أن تكتمل فعلى كل أم أو أب أو زوجة تنتظر رؤية ابنها أو زوجها، عليها أن تخرج في منتصف الليل الساعة الثانية ليلاً ويتم تجميع الأسرى من أنحاء قطاع غزة، وعند معبر إيرز يتم الانتظار الطويل في الباص الثقيل ولا تعلم سبب الانتظار، يزعمون أنه للتدقيق في الأوراق وثم في حدود الساعة الخامسة فجراً يتم إنزال الأهالي من الباصات ليقطعوا مسافة طويلة على الأرجل ويخضعوا لتفتيش دقيق ودقيق جداً، فعند معبر إيرز يدخلون غرفة كاشفة لأي معدن، أو حتى دبوس فكل داخل من هذا

المعبر يجب أن يدخل من هذه الغرفة التي ستكشف أي شيء ولو كان تحت اللباس وهنا إجراءات الدخول تأخذ وقتاً طويلاً وشاقاً حتى إذا تم الانتهاء من معبر إيرز، يتم تجميعهم في باصات أخرى للصليب الأحمر وتبقى تنتظر ولا تتحرك حتى إذا تجاوزت الساعة التاسعة صباحاً سمح للباص أن يتحرك وعليه حراسات مشددة من آليات الجيش خوفا من أن يفر عجوز فوق السبعين ليعمل عملاً فدائياً ضد يهود.

**أعظم الحسرات وأشد التوجعات:**

وتستمر الباصات في طريقها في طريق طويل متعرج يموج صعوداً، وهبوطاً في مسافات شاسعة في الصحراء القاحلة لتزيدهم هذه الطريق ألماً فوق ألمهم فألم الفراق من ألم الشوق مع ألم السفر مع ألم ومعاناة المعاملة الفجة الغليظة المرهقة، ويزيد فوق هذا الألم ألم كبير، بما لا يشعر به إلا من يدخل أرضنا المحتلة عام ٤٨، ومع طول الطريق وآباء وأمهات الأسرى ينظرون بحسرة وتوجع يفوق أي توجع على هذه البلاد الشاسعة الواسعة بجبالها وأشجارها وصحرائها وخضرائها، ويتذكرون الأيام الغابرة يوم كانوا صغاراً فيها، وهذه أمي تحدثني عن حسرتها وهي تمر من أمام أراضينا هناك أكثر من ٣٠٠ دونم، حقها وملكها لا تستطيع والدتي حتى أن تلقي عليها نظرة واحدة لتتعاظم الذكريات ويشتد الوجع في الطريق وكل أم أسير تتحدث مع أم أخرى وكل أب يتحدث مع أب آخر في الطريق على ذكريات الأرض الجميلة المغتصبة وكيف إن هذا المحتل المغتصب ينعم بخيراتها، بعد أن شردنا منها وما يزال يقتل أبنائنا ويسحب شبابنا، وكأن هذه الالتفافات في الطريق قصد بها نكأ الجراح، خاصة أن العدو الصهيوني عودنا أن نتلقى منه كل شيء عذاباً ومعاناةً.

**السجان يضرب ذوي الأسرى ببعضهم:**

حتى إذا وصل ذوو الأسرى السجن المتواجد فيه أبناءهم تبدأ إجراءات التنسيق

لدخول قاعة الزيارة، وما أطولها من إجراءات، وما أملها من تصرفات، فتؤخذ هويات وتصاريح ذوي الأسرى ويتم إدخالهم من غرفة إلى غرفة، ومن تفتيش إلى تفتيش، ويتعمدون التأخير والمماطلة بحجة التفتيش، ويقف ذوو الأسرى في طابور وقفة طويلة، وكلهم يريد أن يسابق وينافس بداعي الشوق، وما هو بالسباق لأن الذي يختار الأسماء ويحدد الأفواج هو السجان، وكلما تأخر أحد ذوي الأسرى في التفتيش تذمر الأهالي وهم يظنون أن هذه العجوز المسكينة، أو هذا الشيخ الكبير هو السبب لأنه يحمل معه ما هو ممنوع أو لأنه لم يحفظ الدرس ويتعلم الممنوع من المسموح وما هكذا حقيقة الأمر ولكنه تلاعب السجان أننا نحن معشر الأسرى نعرف ألاعيب وكذب هذا التفتيش فينقلب جحيم الانتظار الطويل على ذوي الأسرى أنفسهم حيث يظن بعضهم أن من سبق هو السبب في التأخير، ولكن السبب هو هذا السجان الذي يتلذذ وهو يعذب الأهالي ويتصرف معهم بوقاحة وكلما كاد ينتهي من التفتيش مع أحد ذوي الأسرى قال له: ارجع فان معك ممنوعات وهذا الباب كذاب لأن الذي يتحكم في صفارته هو الضابط ثم يحسب ذوو الأسرى أن السبب هو ذا أو ذا، ويرمقونه بأبصارهم وربما أسمعوه ما يؤذيه حتى يتعجل فحسبنا الله ونعم الوكيل على هذا السجان.

**السجان يربك الأسرى قبل زيارة ذويهم:**

ثم بعد تفتيش الأهالي يتم تجميعهم وحجزهم في مكان قريب من قاعة الزيارة وعندها ستبدأ إجراءات تجهيز الأسرى وهي إجراءات شديدة الاستفزاز وتأخذ وقتاً طويلاً فعند قدوم وفود الأهالي ستتعطل كثير من حقوق الأسرى بحجة الانشغال بالزيارات، وعند الساعة ١٢ ظهراً يتم مناداة أسماء الفوج الأولى ومضى وكأن السجان في عجلة من أمره ويسارع نفسه ويضغط على الأسرى بسرعة لنزول للزيارة، وهو لم يكن آخر الأسرى إلا توّاً، فمن الأسرى من سيدخل إلى بيت

الخلاء حتى لا يحشره البول، أو يحقبه الغائط ومنهم من سيدخل الحمام ويرتب هيئته ليظهر لذويه في أبهى صورة وأجمل منظر، وفي كل المناسبات هناك لحظات الترتيبات الأخيرة ثم عندما يريد الأسير أن يأخذ معه بعض الأغراض المسموح بها ستبدأ الاستفزازات والتنقيص من نوعية هذا الأغراض، وعددها وحجمها ومن ثم تفتيشها وتفتيش الأسرى كل ذلك ليسرق البسمة من وجوههم بين ذويهم وسرعان ما يكون السجان جاهزاً لإعلان صفارات الإنذار، وحالة الطوارئ لإعاقة الزيارة، وكل ذلك يعرفه الأسرى بخبرتهم وسنيِّهم الطويلة ويحاولون تفويت الفرصة فقط من أجل فرحة الأهل برؤية ذويهم وبعدها سيكون لكل حادث حديث.

**خفقات القلوب وقشعريرة الاشتياق:**

كل عجلة الشيطان السابقة فقط ليطيل لحظات الانتظار في غرفة الانتظار، وستمر ساعة والأسير ما يزال ينتظر ولكن انتظاره لا ككل انتظار هنا ترتجف القلوب، ولا هم ولا غم للأسير إلا ذووه ولا يخطر بباله غيرهم، تنظر إلى كل أسير وقد امتلأ وجهه بسمة وتهللت أسارير وجهه، وتلألأت أنوار عينيه وتصوروا بعد هذا الانتظار الطويل وهذا الفراق الأليم، وبين الأسير وذويه أمتار معدودة كل يتهيأ وكل يتجبر ويحبس أنفاسه ويكتم حشرجة صوته ودمع عيني هذه اللحظات التي انتظرناها لسنين، ها هي تنقضي كالبرق وكأننا ما رأينا فراقاً قط السكون والهدوء والدموع والابتسامات اضطرابات وأجواء متقلبة بين الفرح والحزن بين الأسى والسرور وتزداد خفقات القلوب ويفتح السجان باب غرفة الانتظار، وهنا تسابق نظرات العيون خطوات الأرجل وكأننا في زحام شديد، وما هو بزحام المتفلتين وإنما هو زحام المشتاقين وهنا يصل الأسرى قبل ذويهم إلى مقاعد الزيارة وكل يختار المكان الفارغ وعدد المقاعد بعدد الأسرى الذين سيزورهم ذووهم، وحتى تتخيل الموقف هنا سيكون الأسرى في جهة ولهم مقاعد خاصة من باطون وسيكون

ذوو الأسرى في الجهة المقابلة، ويفصل بين الأسرى وذويهم جدار سميك فيه ألواح زجاج بلاستيكي، مقوى يصل سمكه إلى ثلاثة سنتميترات، وهذه الألواح على شكل نوافذ يطل منها الأسير إلى ذويه وبالعكس ويحجز بينهم الزجاج السميك، ولا يسمعون صوت بعضهم البعض إلا عبر سماعة التلفون التي يتحكم في إيصال الصوت فيها وقطعه السجان ليحدد الوقت بالضبط وبالثانية بل باللحظة.

**حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها:**

وجلس الأسرى ينتظرون وما هي إلا لحظات وفتح باب غرفة الانتظار لذوي الأسرى وكأنهم في سرعة وثوبهم في ريعان شبابهم، وهم في غالبهم قد جاوزوا الستين والسبعين سنة وقد أنهكتهم الطريق بطولها وأرهقهم عدم النوم، ولكنهم ما عادوا يفكرون إلا في اللقاء وما أصعب هذا الموقف، وما أكثر قصصه وما أعجبها فيها المضحك المبكي والمحزن المفرح، فيها كل شيء كل ينظر إلى ذويه وذوو الأسرى ينظرون إلى أبنائهم سنوات طوال مرت هل غيرت أو بدلت في صورة الأسرى أو ذويهم، نعم غيرت وتبدلت فمن كان له شعر تساقط شعره ومن كان أسود الشعر ابيضَّ رأسه من اشتعال الشيب فيه، ومن كان ضعيفاً نحيفاً ها هو سمين بدين ومن كان سميناً بديناً ها هو نحيف ضعيف هي الأيام والسنين تفعل فعلها.

**من غرائب القصص وأعجب الحكايات:**

وهنا القصص التي لا تكاد تصدق، وإليكم ما حصل معي وما أزال كلما تذكرته يدمع قلبي جلست على كرسي الزيارة، كانت والدتي من المتسابقين وأسرعت نحوي وكأنها رأتني بقلبها، قبل أن تراني بعينها، وجلست إلي تضع يدها مقابل يدي ويحجز بيننا الزجاج وتوزع نظرها وبصرها في سرعة البرق إلى كل جهة من جسمي، وأنا الأسير الجديد مقارنة بالأسرى القدامى، إلى الآن ما يزال الشوق

طبيعـي واعتيادي، ولكـن الغريب وكل ذلك في لحظات الغريب هو قدوم أم أسـير آخـر كانـت لم تر ابنها منذ سـبع سـنين، وكأنها من شـدة الوله والشـوق والفرح، ما عادت تميز بين أسير وأسير فجلست بجانب أمي وكأنها ما رأت أمي، جلست تلوح بيدها بحرارة وابتسامة كبيرة، وهي في كبوسها وكأنها بنت العشرين، وبهتت والدتي وهـي تشـير إلي عن جنب والمسـكينة لا تدري من هذه؟؟ فأشـرت إلـى أمي بخفة أنني لا أعرفها، والأسـرى في هذا الموقف كل له أمه إلا أنا فلي أمان، والأسـير ابن تلك الأم يبحث عنها، وهو لا يراها وفجأة وإذا بصاحبي الأسـير ينادي بصوت عالٍ ومـا يدري ماذا يجري حيث عثر على أعز ما يملك بعد ضياع اسـتمر للحظات هذه هـي أمي أمي ها هي أمـي وتذرف عيناه، وتتوزع نظرات تلـك الأم، والأخرى إلينا، وكأن ابنها كان في مقتبل عمره يشبهني ولكن السنين فعلت فعلها، ثم ها هو قد تغير لونه وابيضَّ شعره، وغلظ جسمه، ولأنني مشغول بوالدتي الحنونة، ما علمت كيف تسـلل من جانبي صاحبي الأسير، وأمه التي غفلت عنه من شدة ما رأت في سفرها، وقلة نومها وبعد فراقها وكانت هذه هي أول زيارة لي داخل الأسـر، والمواقف التي تحصل وتحدث في هذا اللقاء عجيبة وغريبة وكثيرة، ولكن كل أسير مشغول بذويه ولا يفكر في غيرهم.

**قصة محزنة جداً:**

وعندما عدنا إلى غرفتنا، تبقى ألستنا عامرة بذكر ما حصل معنا من موقف، وسأذكر قصة أخرى فقط لأن القصص لا تتوقف وكل قصة أحزن من أختها، فهذا أسير توفيت أمه وهو صغير، فهو عاش يتيماً وكتب الأشعار في أمه في الوقت الذي يحن فيه الأسرى إلى لقيا أمهاتهم، ووالد الأسير منع من زيارة ابنه والذريعة منع أمني، وهو فقط عقاب للوالد وللأسير وليس هناك سبب أمني حقيقي، المهم هنا سمح لجد الأسير بزيارته وقد جاوز السبعين، وهو أصلاً لا يستطيع الذهاب إلى

المسجد يصلي من شدة تعبه وكبر سنه وهرمه، وفتك الأمراض به، ولكنه عندما سمع أن هناك زيارة لحفيده تشجع ونافس الشباب، وهرع إلى الباص مع الزائرين في منتصف الليل البهيم، وركب الباص وعانى ما عانى، وهو شيخ هرم كبير حتى إذا وصل ـ بعد العناء الشديد ـ شباك الزيارة وجلس مقابل حفيده وكان جلوسه على الكرسي أقرب إلى الراحة منه إلى رؤية حفيده، وكانت علامات التعب والنصب والإرهاق والإنهاك بادية عليه، نفسه يكاد يلاحق بعضه، يغمض عينيه ثم يفتحها، وما هي إلا دقائق معدودة قد لا تتجاوز الخمس دقائق، فّاذا بالجد يخفض رأسه نائماً ثم يحاول رفعها، وكأن ملكاً يخفض رأسه أو كأنه جبل فوق رأسه يحاول ويقاوم أن يرفع رأسه فما يستطيع، وهنا والجد يقاوم نفسه، خارت قواه، وغلبه النوم الثقيل، وغط في نومه على شباك الزيارة، وكان يقول الحفيد لجده ـ والدمع يذرف من عينيه، على هذه الحال ـ: نام يا جدي نام يا جدي نام، فلا يعلم أسمعها جده فنام أم نام قبل أن يسمعها؟ وهنا كل أسير مشغول بذويه، وهذا الأسير الحفيد تذرف عيناه، وينظر حوله يمينه وشماله، والأسرى من حوله يضحكون، ثم ينظر إلى جده الذي قاوم تعبه وحمل الجبال، والأثقال مع طوال سفره، ولكنه لم يستطع لم يطق هذا الألم فنام من شدة الألم، ثم كان حزن هذا الشاب وهو يسرد قصته حزناً لكل إخوانه من حوله، ولعنة الله على الطغاة والظالمين الذين عذبوه وحرموه رؤية حفيده، بيسر وسهولة وحرموا أبا الأسير من رؤية ولده فلذة كبده.

**هل هناك دناءة أحقر وأشنع:**

وستتفاقم المشاكل ومسألة الأوقات أثناء الزيارة بافتعالات السجان حيث لا يروق له أن يرى البسمة على وجوه الأسرى وذويهم، ويريد أن يتدخل في كل شيء فالحديث بين الأسير وذويه عن طريق سماعة وستكون هذه السماعة مرة معطلة ومرة صوتها خافت، وسيجد الأسير صعوبة في سمع صوت ذويه والعكس صحيح،

كذلك وينادي على الضابط ليحل المشكلة والسجان على علم مسبق ولكنه التنغيص والتنكيد، وموقف آخر: فهذه أم تطلب من ولدها إلي سجن شبلاً، طلبت منه أن يقف لتطمئن على سلامته، فما كان السجان إلا أن أمره بالجلوس، ثم كانت المناوشات بين السجان والأسير، أما ذوي الأسرى وهنا ستتفاقم كثير من الأزمات التي لا حصر لها بفعل السجان وعن عمد فما يكون من الأسرى إلى كتم الأنفاس، والغيظ يملأ قلوبهم حتى يمر وقت الزيارة ويومها بسلام وبعدها لكل حادثة حديث، وها هي تنقضي هذه الدقائق سريعاً سريعاً فهذه أول دقائق منذ سنين ويودع الأسرى ذويهم والدموع تذرف والقلوب تبكي ويعود ذوي الأسرى ما بين فرح باللقاء وحزن على الفراق، وسيكون الألم في العودة أصعب وسيصل ذوو الأسرى إلى بيوتهم بعد المساء أو منتصف الليل بعد سفر طويل، وعذاب وتفتيش وإرهاق شديد ليعود الآباء ولتعود الأمهات إلى فرشهم قبل أن يتحدثوا مع من ينتظرهم، ويترقبون في شوق شديد أن يسمعوا أخبار الأسرى ويجدر التنويه إلى أن زيارتي الأولى هذه كان النصيب الثاني لي فيها بعد ستة أشهر، وأنا محروم وما يزال كثير من الأسرى حتى لم يهنؤوا ولو بزيارة واحدة، قصص الزيارات، وآلامُها لا تنتهي وعند الأسير كل شيء يهون وتهون عليه حياته ونفسه مقابل راحة ذويه، وأهله، ومشاكل تفتيش ذوي الأسرى مهينة وحقيرة، وكثيرة هي القمعات التي كان سببها استفزازات الزيارات، فتعامل السجان غليظ وجاف جداً والجنود على الحواجز يذيقون الأهالي الويلات في مرات عدة أهينت زوجات الأسرى بتعرية اجسادهن في التفتيش، سواء على الحواجز أو على أبواب السجن وهنا ما يكون من الأسرى إذا سمعوا هذا الخبر أو شيء منه إلا أن ينتقموا من السجان مهما كلف الأمر، فلو فقدنا حياتنا جميعاً فإن عرضنا وشرفنا يجب أن يصان ولا يهان، وقد تم طعن مدير سجن نفحة من قبل حينما تم تعرية زوجة أسير، وقد ضرب عدد من السجانين جراء اعتداء الجنود على

ذويهم في أوقات متفرقة وهذا ملف خطير وكبير ومؤلم ومحزن، وكفانا ما ذكرناه من ألم ومن عذاب وفيما ذكرنا عبرة وعظة لمن اتعظ، وهذا الألم يفوق كل ألم، وسنسدل الستار عسى الفرج أن يكون قريباً.

❊ ❊ ❊

# الفصل الثامن

# المناسبات والشعائر

# في السجون الصهيونية

## أولاً: شهر رمضان المبارك في سجون الاحتلال:

شهر رمضان المبارك شهر الصبر والنصر والأمل، شهر العبادة وقراءة القرآن، والقيام والصيام شهر المغفرة والرحمة والعتق من النيران، هذا الشهر الفضيل في بعض فصوله هنا ما أروعه وما أحلاه وفي فصوله الأخرى ما أحزنه وما أقساه، في استقبال رمضان تتكثف النشاطات الثقافية والتربوية والوعظيه، لتهيئة النفوس والقلوب لاستقبال هذا الشهر الفضيل، والتذكير بأفضل الأعمال فيه وتعد المحاضرات وتتحد مواضيع خطب الجمعة، وتوزع النشرات الفقهية والإيمانية وتتكاثر البيانات والتعاميم الفصائلية للتهنئة بقدوم الشهر الفضيل، والتذكير بأفضل الأعمال فيه وتعد المسابقات من قبل رمضان، ولتعلن في بدايته لتزدحم المناسبات؛ مسابقات حفظ القرآن، وتفسير القرآن، ومسابقات ثقافية في انتصارات رمضان، وغزواته وكل ذلك يتم تجهيزه قبل رمضان ويتم إيقاف كل البرامج التنظيمية المعتادة من محاضرات ودروس ومسابقات ترفيهية، وتكون الأولوية في هذا الشهر هي للعبادة وتكون هناك المواعظ والنشرات التربوية والتوعية الفقهية، التي يستعد من خلالها الأسرى للشهر الفضيل والتي تركز في غالبها على الحفاظ على الأخوة وحرمان المقاطعة والهجران وخطورة الغيبة والنميمة والتذكير بواجبات شهر رمضان من ذكر وتسبيح وقراءة قرآن وبمجرد سماع خبر حلول الشهر الفضيل وظهور هلاله تترنم أصوات الأسرى وهم يهنئون بعضهم البعض بحلول رمضان، ويدعون أن يكون شهر انتصار للإسلام والمسلمين والقضية الفلسطينية، وانتصار كذلك للأسرى فالظروف هيئت والأجواء إيمانية عالية ويختار كل أسير الجو الذي يناسبه في كيفية اغتنام هذا الشهر الفضيل، ويخيم على السجن وأقسامه وغرفه هدوء كبير وصمت مطبق فكلٌ قد ذهب إلى ورده وقد بدأ السباق والمنافسة بينه وبين إخوانه حسب برنامجه فهذا يتلو القرآن، وهذا يصلي القيام وهذا يذكر الله ويسبحه وهذا يستمع إلى موعظة أو درس

علم وبرامج الشباب متنوعة في رمضان فأهل حفظ القرآن هذه فرصتهم للمراجعة، فقد كان جبريل عليه السلام يعرض القرآن للرسول ﷺ كل رمضان مرة، وفي العام الذي قبض فيه عرضه مرتين وهناك أهل السباق في قراءة القرآن والذين تعاهدوا على ختم المصحف بشكل يومي فيختم المصحف في رمضان ثلاثين مرة، وهناك من جعل ليل رمضان كله قيام فلا يترك صلاة إلا لتجديد وضوء، أو ما يساعده في القيام من طعام أو شراب أو غيره، وما رأيت رمضان كرمضان السجن لا تخلو ساعة من قيام ليل، في رمضان تشعر بتنزل الرحمات وأن السكنية قد عمت السجن بأكمله وكل يحرص على الهدوء لغيره قبل نفسه فلا تسمع في الليل البهيم إلا أنين المذنبين وحشرجة الصدور، وهي تشهق بالبكاء المكتوم ودوي كدوي النحل في عتمة الليل هنا نتذكر صلاح الدين الأيوبي وهو يمر على خيام المجاهدين فيجد خيمة لا يسمع فيها دوي القرآن فيقول من هنا تأتي الهزيمة، لكن الذكرى هنا على العكس وأنت تمر وتسمع بكاء المتضرعين وخشوع القائمين وأنين التائبين، تقول من هنا يأتي النصر من هنا يأتي الفرج في هذه البقعة النائية من جوف الصحراء في ظلام دامس من بين هذه الجبال الشاهقة لا تسمع إلا همس المصلين، هنا ترى شعاع النور يمتد من هذه الفئة المظلومة المغلوبة نور الهدى، أصوات القرآن في هذه البقعة ترتفع الأيادي إلى باريها أرادوا لهذه الأجساد أن تحبس وتسجن ولكن الله أراد أن يعبد في هذا المكان وأن تتحرر هذه الأرواح من كل الدنيا فالدنيا ضيقة، وهذه الغرفة المغلقة تتسع وتتسع لأننا بقلوبنا مع الله وبعقولنا نسبح في الفضاء الواسع نفكر ونتدبر ونتذكر نعيش مع الله، فلا يجد الغريب هنا نفسه غريباً وهل سينام جفن أو تقر عين، كلا أي أسير يرى هذا الجو الروحاني الإيماني يتحرك في داخله وتتفاعل في نفسه نبضات القلوب الحية، فيسري جو عام ينعكس على كل أسير وهكذا ينتهي الليل حتى إذا جاء الصبح وسحور المؤمن خفيف ظريف فهناك من يكتفي بجرعات ماء مع شيء

من التمر وهناك من يعد سحوراً خفيفاً لمن أراد التسحر، بعض البيض المسلوق وبعض اللبن، أو الططلي مع كاسة شاي، وثم يعود كلٌّ إلى مكانه لأن جو الفجر هو جو التسبيح والاستغفار حيث قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، ونصلي فريضة الفجر ويكون هناك فريق من الأسرى قد أخذ قسطا من الراحة في الليل، فقد اكتفى بقيام جزء أو جزأين ليبدأ من بعد الفجر ويبقى في مصلاه جالساً مسبحاً مستغفراً ذاكراً داعياً، الى أن تطلع الشمس من مشرقها وتعلو قيد رمح فيصلي ركعتين ويسأل الله أن ينال الثواب عمرة أو حجة تامة، ومن الشباب من لا تراه إلا يتلو القرآن فإن تعب غفا غفوة أو نام نومة خفيفة، ثم عاد يستأنف نشاطه وقراءته عند طلوع الشمس، ووقت الضحى لا تظن أن الصخب عم، والأصوات ارتفعت، كلا بل يشبه جو الليل في صمته وسكونه وهدوئه، اللهم إلّا أن نور الإيمان يتلألأ على الوجوه الباسمة، وأصوات وترانيم تلاوة القرآن تخرج عن همس ليكون دوي القرآن أعلى وأعلى بما يناسب جو النهار في أرض العافية، قد لا ترى هذه المشاهد أو قد تظن أنها مبالغات لكنها حقيقة، فأنت في أرض العافية إما في البيت عند الأهل والأحباب، وإما في العمل وصخب الحياة وضجيج النهار، وتهدأ أو تسكن عندما تذهب إلى المسجد لكن، هنا كل شيء مكشوف وكل عبارة ظاهرة أما عينيك واضحة، أمام ناظريك تنعكس على الآخرين فينقلب الجو روحانياً صافياً خالصاً في الليل، أو في النهار، وهناك من الأسرى من يكون مشغولاً في إعداد الطعام فإنَّ من فطر صائماً فقد حصل على مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئاً، فما بالك في الشاب الذي يمكث ساعات وهو يجهز لفطور الصائمين، فإنه سينال أجره؛ قراءته ذكره وتسبيحه وصيامه، وسبحان الله كل ميسر لما خلق له فمن يمضي وقته في إعداد الطعام يجد راحته ورضا ربه في ذلك ومن يذكر ربه ويسبحه بالغداة وبالعشي يجد راحته ورضا ربه بذلك ومن يقرأ القرآن، ولا يتركه يجد راحته ورضا ربه بذلك

ولا تظن أن المرء يجد بذلك مللاً أو تعباً فما أسرع أيام رمضان كل الشهور تمضي بطيئة ثقيلة بالنسبة للأسير إلا شهر الصيام فهو سريع وظله خفيف وبعض الشباب يقول مازحاً: ما إن ينتهي أول يوم من رمضان انتهى رمضان بشدة سرعته المعتادة في السجن فكلما شعر أن خيراً فاته في اليوم الأول حرص على استدراكه في اليوم الثاني، وفعلاً تأكد أن الشياطين قد صفدت في هذا الشهر الفضيل وما إن تنتهي العشر الأوائل عشر الرحمة حتى تشحن الهمم من جديد لنيل الرضوان والمغرفة، وما أسرع مرورها وهنا تبدأ قبل العشر الأواخر عملية شحن للهمم، ورفع للعزائم ونستذكر همم الرسول ﷺ فتدخل العشر الأواخر وقيام ليلها أفضل الأعمال وكل يحرص على ليلة القدر فلا تكاد ترى نائماً في ليل العشر الأواخر إلا قليلاً ممن استراح من تعب، أو غفا غفوة من شدة نعس، وعادة ما تنقلب الأيام العشر الأخيرة من رمضان إلى يقظه وعمل بالليل ونوم وتقلب بالنهار إلى وقت الظهيرة عن فترة نوم فيجدها بعد صلاة الفجر حتى يقرب من الظهر، وعادة ما يكون نوم النهار في رمضان ليس فراراً من الجوع فالجوع في السجن أقل منه للعامل المتحرك في أرض العافية لكن نوم النهار هنا للتفرغ لقيام الليل في العشر الأواخر ويشتد الزحام في المنافسة في ليلة السابع والعشرين، فمنهم الغرف تختم القرآن وصلاة القيام في هذه الليلة فكل يوم يختمون جزءاً في صلاة التراويح، وفي هذه الليل يصلون القيام على ثلاث مراحل وفي كل مرحلة جزء وثم يصلون الوتر ويختمون المصحف بدعاء طويل على غرار الدعاء في المسجد الحرام بمكة المكرمة.

**ولكن:**

ولكن في هذا الجو الإيماني والعجيب لا تخلو من عور واشتياق لأعمال جليلة وطاعات عظيمة يفتقدها الأسير، وهو في سجون الاحتلال فهل يستوي من يصلي التراويح في عدد محدود لا يتجاوز عشرة مصلين، هل يستوي هو والخشوع

والتذلل مع هذه المئات أو الآلاف في المساجد إن الطاعة في السجن قد تكون أقوى، وقراءة القرآن أكثر ولكن الحرارة الإيمانية التي تتفاعل معها وأنت في بيت الله ستفقدها هنا في السجن، أو على الأقل ستضعف كثيراً، فيا أخي الحر وأنت تنعم بالحرية هناك معاني لا تدركها إلا حينما تفتقدها فنحن هنا نتمنى لو نقيم الليل مع القائمين ولو ركعات محدودة ومعدودة إن رائحة المسجد، إن طبيعة المسجد وأنت تترك هذه الدنيا خلفك وتتجه إلى بيت ربك تعبده فيه إن هذه المشاعر بألف منها في السجن فتصور، وأنت تصلي في الليل هنا في السجن فإنك ستصلي في غرفة ضيقة هي المحراب وهي غرفة النوم وهي المرحاض التي تقضي فيها حاجتك وهي المطبخ الذي فيه تطبخ والمطعم الذي فيه تأكل وهي سهر الساهرين وحديث السامرين وهي غرفة المحاضرة والدروس والمواعظ وهي غرفة فيها حركة الشباب لا تتوقف وفيها تلفاز فكل ذلك تحت بصرك وعينيك وتسمع كل شيء وكل حركة بأذنيك وهنا سيكون الخشوع بالتأكيد أقل لأن الملهيات في كل زاوية من الغرفة وقد رفض ﷺ أن يصلي المسلم وأمامه مزخرفات حتى لا تلهي العابد عن ربه، وهنا كل حركة ستكون تشويشاً غير مستقر على المصلي فالمرور بين يدي المصلي ممنوع في شرع الله حتى لا تتشوش الصلاة أو ينقطع الخشوع فكيف والحركات وكل شيء عن اليمين واليسار ومن الأمام والخلف وأفضل وصف للغرفة هو ما ذكره العلامة يوسف القرضاوي وهو يصف غرفة سجنه فيقول:

هي حجرتي فيها نهاري مجلسي ... هي غرفتي للنوم حين ننوم

هي مكتب حيناً وحيناً مطعم ... إن جاء ميعاد الطعام فأطعموا

هي ساحة لرياضتي أعدو بها ... في موضعي إن الضرورة تحكم

هي دورتي في الليل إن طال المدى ... أو في النهار إذا أبوا وتحكموا

هـذا وليس علي أول شهرها أجـرٌ لسـكناها بـه أتقـدم

حييت يا زنزانتي فلأنت لي قفص وإني في حديدك ضيغم

فنحن نصلي في نفس المكان الذي نأكل فيه ونشرب ونغتسل ونلعب ونسهر، وهنا عبادة نفتقدها ولا يعرف قيمة حرمانها إلا الأسير فإن الأسير يتمنى أن يفرج عنه ينعم بنعمة رمضان، وخاصة زيارة الأرحام فمهما كان قبل اعتقاله قائماً بأمر أرحامه فيشعر وهو في السجن كم كان مقصراً وسيتمنى لو يفرج عنه ويذهب إلى زيارة الأرحام إلى أخته أو بنته أو عمته أو خالته فإنها تعدل من الحسنات ما لا يستطيع إدراكه أي أسير وكفى بها من نعمة هذه الراحة النفسية، والكلام الطيب العذب الرائع المتبادل في هذه الزيارات وملائكة الرحمن تحفك في رمضان، قد تتذكر الموت في كل لحظة وأنت في أرض العافية لأن حولك من هو على وشك الموت ولأن بجوار بيتك مقبرة ولأنك تصلي في المسجد على ميت ولأنك تمشي كل يوم في جنازة ولأنك ستذهب إلى المقبرة وكل يوم لملك الموت زيارة وسيختطف الموت كل يوم حياً من حولك لكن هنا في السجن رغم الألم والمعاناة ستنسى الموت، إلا قليلاً نعم ستشعر بالموت وستكون كأنك ميت ولكن ستبقى تتنفس لأن سنة الحياة أن الموت في فئات العمر مجتمعة أضعاف أضعاف ما هو في فئة عمرية غالبها الأعظم دون الخمسين سنة، ولن تلتقي في السجن بأكثر من ١٢٠ أسيراً معك في القسم فحوادث الطرق وجرائم الاحتلال والشيوخ والعجائز سيكون الموت فيهم أسرع وهذه المعاني لا يشعر بها الغافل الشارد وهو يسري في حياته فقط الذي يشعر بقيمتها هو من فقدها وحرم المشاركة فيها إنه الأسير والأسير فقط.

**جرائم الاحتلال في شهر الصيام:**

إن جرائم المحتل تطال كل أسير في سجنه، تطاله في عبادته، في نفسيته في

جسده إنه سيعمل جاهداً على تضييق الخناق على الأسير بشتى الوسائل والطرق وما أكثرها وما آلمها، وأن هذا السجان أشد ما يستفرد بالأسير المكلوم المصاب الجريح المريض فعلاج كل مريض في شهر الصيام هو فك الصيام وأكل الطعام إن أي أسير يتوجع أو يمرض ولو في أطراف جلده أو تساقط شعره فإن العلاج عند السجان سيكون في محاربة الصوم فالعلاج عنده هو شرب الماء وأكل الطعام وتحريم الصيام هذه هي إجابة من يسمى كذباً وزوراً طبيب السجن ويستهزئ هذا الطبيب المزعوم بشهر الصيام من خلال نصيحة الثعلب الماكر والإرشاد الصحي الكاذب.

عليك بالأكل وترك الصيام فإن سبب ما أنت فيه هو الصيام، فهذا أسير شكا من ألم في أسفل ظهره من أثر التحقيق، العلاج عند الطبيب في شهر الصيام، أن الصيام يؤثر على ظهرك، وأنت بحاجة إلى غذاء وشراب، وهذا الذي يعاني من ألم في أذنه ، وذاك كسر في عظمه، وآخر ضعف في بصره، فالعلاج هو ترك الصيام، وأعجب من ذلك طبيب الأسنان، فلكل ألف أسير طبيب أسنان واحد، يداوم يوماً في الأسبوع، يجيد خلع الأسنان أو تكسيرها عند حشوها، يسيل الدم من اللثة، ومع ذلك فإن ألم الأسنان وشدته تجبر الأسير لا محالة إلى طلب الذهاب إلى هذا الطبيب، فألم الأسنان لا يستطيع أهل الصبر الصبر عليه، ويقولون في المثل: «إذا أردت أن تدعو على إنسان فادعوا عليه بوجع الأسنان».

لأنه لن يعرف للنوم طعماً ولا يقر له جنب، ولن يغمض له جفن، فيضطر هذا الأسير تحت هذا الألم أن يسجل على الدور لينتظر الموعد المحدد، وما أطوله من انتظار، وقد تستمر شهراً وأنت تنتظر، لكن في شهر الصيام وكأن قيود المفترس قد فكت وأنيابه قد برزت، ومخالبة قد خرجت، فجأة يصبح شهر الصيام هو الوقت المناسب، من أراد علاج أسنانه فهناك متسع، ودكتور السجن جاهز، لأنهم يعلمون

أن الأسرى منكفئين على عبادتهم، ولن يوقف عبادتهم أو يفك صيامهم خدعة طبيب واهم أو علاج كاذب.

وغير بعيد جرائم ذات صلة بحق الأسرى في شهر الصيام، حيث كل مسعى السجان اليوم هو إرهاق وإنهاك قوى الأسرى، وقتل وقتهم وتعطيل عبادتهم وإفساد صيامهم، بكثرة البوسطات والسفريات والتنقلات من سجن إلى آخر في هذا الشهر، فقد يمرض الأسير ويشكو من ألم في ظهره أو عظمه أو جلده، ويبقى يطالب بالعلاج والسجان يماطل ويراوغ، حتى إذا حل شهر الصيام ، فإذا بالأسير المريض الذي يئس وهو يطالب بالدواء، فجأة يجيء اسمه بوسطة إلى ما يسمى (سجن الرملة)، وكأن كل الأيام والشهور ضاقت إلا في هذا الشهر وفي هذا الموسم، وينظر الأسير بين يديه وهو يقلب كفيه، أيذهب إلى البوسطة وهو صائم جائع؟ وهو يعلم أنها تستمر أياما صعبة مليئة بالتعب والنصب أم هل سيطلب تأجيل هذه البوسطة، والتي سيستغلها السجان ويبدأ المساومة مع الأسير، إما أن تخرج الآن لأننا حجزنا لك من قبل، أو توقع على إلغاء طلب الذهاب للمستشفى في (سجن الرملة)، ويقول السجان ليس عندنا شيء اسمه التأجيل، فقط الإلغاء وهم كاذبون ومراوغون، فما يكون من الأسير إلا أن يذهب إلى حيث يتمنى الشتاء، ثم يعود وقد أرهقه التعب وزاد عليه الوجع ولا حول ولا قوة إلا بالله، مع العلم أن الأسير يعلم أحكام الرخص في السفر ولكنه يقلقه بشدة أن تفوته نعمة ولذة عبودية هذا الشهر الفضيل.

ثم إن حركة نشطة ستبرز في شهر الصيام، إنها حركة النقليات، نقل الأسرى من سجن إلى سجن، تركيز المحاكم في هذا الشهر، الذين يرفعون قضايا على السَجان الظالم، تضيق كل الأوقات لإجابة المحكمة إلا في شهر رمضان لأن الأسير قد يتنازل عن القضية.

**أعظم الجرائم منع الشرائع:**

إن من الجرائم التي تطال جميع الأسرى هو حرمانهم من حرية العبادة في هذا الشهر، وحرية العبادة حق مكفول في كل الشرائع والأعراف والقوانين، إلا عند يهود، فلا يسمح للأسير أن يصلي الصلاة المعهودة، صلاة التراويح، لا يسمح لهم أن يؤدوها جماعة كما هي عبادة المسلمين، لا ضير عندهم أن تذهب إلى الساحة (الفورة) ساعة أو ساعتين في اليوم، أمَا أن تصلي التراويح فيها فهذا ممنوع، لماذا؟ فقط لأنها شعائر المسلمين ولأنها تراويح يُروح بها الأسير عن نفسه، فما يكون من الأسرى إلا أن يصلوها في غرفهم، حتى خطبة الجمعة يجب أن تعرض من قبل وتكون في ورقة مكتوبة ووقتها محدد، ممنوع أن تتجاوز ثلث ساعة، ثم هم يتحكمون في الوقت الذي نخرج فيه إلى صلاة الجمعة في الساحة للقسم، فصلاة الجمعة عندهم لكل قسم، وقد يكون بيننا وبين القسم الآخر فقط باب في جدار وكل فريق يسمع خطبة الفريق الآخر، لكن يمنع التجميع لأكثر من قسم، المهم سيماطلون في إخراجك لسماع خطبة الجمعة المكتوبة في الورقة وأحياناً تأخر عن الصلاة مدة ساعة كاملة، وفي كل أعمالهم الخاصة بهم التزام دقيق فلا يتأخر عدد ولا يتأخر فحص شبابيك ولا الطوارئ، فلا يتسع وقتها إلى عبادات المسلمين، في حقوقهم المزعومة وقوانينهم لا يتأخرون لحظة، وفي كل حق للأسير يجب أن تدفع ضريبة الانتظار، في أيام رمضان من شعائر المسلمين الإفطارات الجماعية سنة وشعار لأن من فطَر صائماً فكأنما صام، لكن عند السجان في الأيام العادية هناك زيارة غرف تحدثنا عنها سابقاً لكن هذه الزيارة ستمنع عند الإفطار حتى يحرم المسلمون من فرحتهم عند فطرهم ويتبادلون أجور بعضهم البعض، ثم إنهم سيستمرون في إجراءاتهم التعسفية اليومية ليشغلوك عن العبادة، ويقضُّوا مضاجع الأسرى، فهذا الأسير الذي قام الليل كله، سيأتيه السجان في النهار ليمنعه من النوم

بقوانينه مثل فحص الشبابيك، فيضيق على العابد عبادته والقارئ قراءته، في جو لا يقل عن ساعتين يومياً ويصل إلى ثلاث ساعات أحياناً، حتى لا تستطيع أن تأخذ قسطاً من الراحة بعد قيام الليل، ولن تستطيع التعبد في هذا الوقت الذي سيشغلك فيه السجان بالنقل من غرفة إلى غرفة، وتوتر وصخب كل يوم عندهم أهم من الصلاة عندنا، وإذا كان بعض المسلمين يؤخرون الصلاة، فإن اليهود لا يؤخرون فحص الشبابيك ولا استفزازاتهم وهذه هي عبادتهم وستلاحقنا هموم التفتيشات التي لا تتوقف حتى في رمضان، واستهدافات خبيثة متعمدة في تأخير الطعام وقطع الكهرباء، فإن أيام رمضان سيؤخرون موعد الطعام إلى ما بعد الغروب وزيادة على ذلك فإنهم سيفصلون الكهرباء كثيراً بفعل قوانينهم المفتعلة، فهو الذي يمدك بالكهرباء ويتحكم في قوتها وضعفها، ولكنه بالطبع سيرجع بالذنب على الأسير عند فصل الكهرباء، حجتهم أن ضغط سحب الكهرباء هو الذي يفصلها، ليتأخر فطور الصائمين أحياناً إلى ما بعد صلاة التراويح، وكثيراً ما تذهب حلاة الطبخ بسبب هذه التقلبات، فما هو بطعام ولكننا سنضطر إلى أكله لأننا جائعون.. ولا تتوقف هذه القوانين التي ألمها الأكبر ليس في هذه القيود بذاتها، وإنما الذي يغيظ ويحز في النفوس هو أن هذا السجان يشعرك أنه يفعل بك ذلك عن عمد وعن قصد، لينال منك ويعلمك أنه فوقك وتحتك وعن يمينك وشمالك، وعليك أن تستجديه في طلب كل شيء، يقول ذلك في اليوم الواحد عشرات المرات بلسان الحال طبعاً ومتى سيكون نفير الأحرار لإنقاذنا من هذه النار.. قريباً إن شاء الله هذا هو الأمل وعلى الله التكلان.

## ثانياً: الأعياد في السجون:

العيد هو الفرحة الكبرى في الحياة ، فيه يبتسم كل شيء لكل شيء، ترى كل ما هو حولك يضحك ويرقص طرباً بحلول العيد، هي فرحة في السماء تتنزل

أهازيجها على الأرض، هي أعياد كتبها الله في هذين الموسمين عيد الفطر السعيد، وعيد الأضحى المبارك، وكما ينادي الله في ملكوت السماء: «إني أحب فلاناً فأحبوه ثم ينادي في أهل الأرض إني أحب فلاناً فأحبوه»(١)، فيصير هذا المحبوب من الله محبوباً بين الناس، وكذلك الأمر في هذين الموسمين ، فإن الله يكتب في السماوات هذه الفرحة ، ثم تتنزل على الأرض فما تترك من شيء، لا حجر ولا شجر ولا بشر، ولا هواء ولا سماء، لا أرض ولا جو ولا بحر، كل شيء في هذا اليوم يفرح ويبتسم بل ويضحك، وكأن الملائكة قد نزلت من السماء ترفرف بأجنحتها، وتبسطها لتبعث في كل مخلوق على الأرض الفرحة والبسمة والسرور، فترى الطيور بزغاريدها تداعب أفراخها، وهي ترقص طرباً وفرحاً، ألا ترى الأشجار والنباتات والأعشاب في هذا اليوم وهي ترقص بتمايلها ذات اليمين وذات الشمال، ترى أغصان الأشجار تتلألأ وعليها قطرات الماء الصافية العذبة، وكأنها فرحة بها وقد أخذت عيدها من خالقها.

**نسائم الذكريات:**

ما تزال تمر بي الذكريات وأعيش أجواء العيد لحظة بلحظة، أتذكر البيت الذي فيه ترعرت والشوارع التي فيها تجولت، والمسجد الذي فيه تربيت، في يوم العيد كان كل شيء من حولي يبتسم لي وأبتسم له، ما رأيت طفلاً إلا داعبته وأدخلت عليه الفرحة والبسمة كما أدخل علي بفرحته راحة وطمأنينة ورضاً وسروراً، وما رأيت شاباً يافعاً أو رجلاً كهلاً أو شيخاً كبيراً إلا والبسمة ترتسم على وجهه، والنور والضياء يتلألأ من وجنتيه، أبادلهم ويبادلونني التهاني والتحيات، وكلٌّ منا يسلم على حبيبه ورفيقه وأخيه بحرارة ويعانقه معانقة تتقارب بها القلوب وتتعارف بها الأفئدة حتى إنك في هذا اليوم لا تعرف خصماً ولا عدواً، ولا تحمل في قلبك إلا الحب والوفاء والرضا، في مثل هذا اليوم أول ما يخطر ببالي، بيتي، أهلي، أمي، أبي، إخواني، أصدقائي، وتجول الذكريات

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٢٠٩)، ومسلم في «صحيحه» (١٥٧) (٢٦٣٧).

لأستحضر كل عيد من يوم ما ولدت أو من اليوم الذي فيه وعيت، وتتسارع صورهم وتحركاتهم وسكناتهم ووقوفهم وجلوسهم ومجيؤهم وذهابهم، أتذكر صباح كل يوم عيد في بيتي، وأمي لا تعرف إلا البسمة وهي تضحك لنا وتعد لنا الحلوى وتحضننا ولداً ولداً، فما عرفنا يومها من العيد إلا يوم الفرحة والسرور والفكاهة والراحة، وأذكر والدي وأنا أسرع نحوه لأعانقه ويعانقني معانقة شديدة ويقبلني وأقبل يديه ثم يمد يده في جيبه ليخرج من النقود التي ادخرها لهذا اليوم، وهي لا تعبر أكثر مما تعبر عن الفرحة والبسمة التي يجب أن يراها والدي عليَ وعلى إخواني وما كنت أنا وإخواني وأخواتي إلا حلقة وعنقوداً متراصاً متكاملاً كل منا يفرح بطريقته ويعبر عن سروره بكلماته البسيطة وآماله المتواضعة وينظر إلينا الوالدان وهما يبتهجان سروراً بهذه البسمات وهذه الأمنيات والكلمات، وهكذا مرت السِّنون، وما ازدادت أعيادنا إلا جمالاً ونقاءً وعطاءً وسؤدداً، ثم إنني ما أزال أذكر والدي وهو يجمعنا ونذهب سوياً في مشهد يتكرر من معظم الآباء مع أبنائهم، نذهب سوياً إلى المسجد لنصلي صلاة العيد، ولنكبر ونحمد الله، ونحن في طريقنا إلى المسجد وصيحات التكبير تملأ الآفاق، وصيحات التكبير لها وقعها الخاص على الأعداء، فنقتلهم بالتكبير ونغلبهم، وننتصر عليهم بالتكبير، وترتجف قلوبهم إذا سمعوا التكبير، لكن تكبير العيد له معنىً آخر، سبحان الله، الكلمات هي هي بحروفها وألفاظها، غير أن معناها في العيد الفرحة والسرور، وأن إرضاء الله والسمع والطاعة بوجوب الفرحة هو خير تكبير لله، وكان بيتنا مزيناً بأحلى زينة وأبهى منظر احتفالاً واحتفاءً بالعيد، فكذا كل بيت من حولنا، حتى وكأنك تسير في عالم ما كنت تعرفه من قبل، كل شيء يتغير في هذا اليوم، كل شيء جميل رائع وخلاب، الشوارع، الدكاكين، الصغار، الكبار، كل شيء من حولك يبعث في داخلك البهجة والسرور، ونسير ونحن نكبر ونحمد الله على نعمه، ومن كل حدب وصوب تتقاطر جموع العابدين الفرحين المبتسمين، يتقاطرون ويتوافدون إلى المسجد الشامخ بمآذنه، الثابت بأركانه وزواره، في هذا اليوم للصلاة في المسجد

طعم خاص، الصلاة زينت بالتكبير، والخطبة افتتحت بالتكبير، وأفواه المصلين تحتفل بالتكبير، وهكذا زينة هذا اليوم التكبير والتحميد، لكنها اليوم بفرح، كما هي يوم النفير بنصر، وما إن ينتهي الخطيب من خطبته حتى ترى القلوب والأفئدة تتعانق في مشهد أشبه ما يكون بزهرات تتفتح، وورود تبتسم وأغصان تتشابك، وبعد الصلاة والخطبة، نعود إلى بيتنا لنأخذ مشوار الفرحة ونبدأ من البيت من الأم والأب والجد والجدة، فيطوف بنا الوالد ونحن ندور معه حيث دار، وهل هناك يوم في الوجود غير هذا اليوم الذي يسير فيه المرء من صباحه إلى مسائه، وهو يبتسم ويهنئ ويبادل الآخرين شعور الفرحة والسرور، وحينما أتذكر العيد وابتساماته، أقول لو كان هناك اسم لهذا اليوم غير العيد لو كان اسمه يوم الفرحة والسرور، فالسرور في هذا اليوم يجب أت يتجول ويتحرك وينتشر ويسيطر على كل شيء.

**ابتسامات الماضي وفرحة الحاضر وأمل المستقبل:**

أحبتي، أهلي، عشيرتي، أصحابي، إخواني، إنني لو تركت العنان لقلمي فلن يتوقف وهو ينزف المعاناة، غير أنني أحببت أن أشير إشارة وأوجز ولو بعبارة عما يجول في الخاطر في هذه المناسبات وهل هي اليوم ونحن في الأسر كما هي، لو كانت كما هي لما عشنا على الذكريات، ولما طرب القلب بالماضي يستذكره ويستحضره، ليفيض على حاضره من ابتسامات الماضي، وليزداد الشوق عيداً بعد عيد، وليحنَّ الفؤاد في كل مناسبة إلى يوم جميل، يكون معنى التكبير فيه الفرحة والسرور، هنا للأعياد طعم آخر، ولن أقول وأتغنى كما تغنى المتنبي وهو يقول:

عيدٌ بأية حال عدت يا عيد        بما مضى أم لأمر فيك تجديد

قال المتنبي ذلك وهو يتوجع من حاضره، ويتحسر على ماضيه، ويقابل مستقبله بيأس الأحزان وقنوط البائسين، ما هكذا أقول وما هكذا هي أعيادنا، ولن

نقبل لها أن تكون هكذا، لكن والاستدراك هنا واجب ولازم، يجب ذكر الأحزان والأفراح في هذا اليوم، وهو وصف لواقع وسرد لحياة تستمر خلف الأسوار، يجب أن تذكر وتروى على حقيقتها، ليعلم القريب والبعيد وليعلم الحبيب والغريب، كيف نعيش ونفرح في مثل هذا اليوم، ويعيش فرحتنا ويعمل لدفع حزننا وكشف كربتنا، والأسرى هنا بشر على اختلاف الطبائع وتعدد المشارب، والفرح والسرور أساسه القلب، ويظهر على الجوارح، تماماً كما هو الإيمان، ما وقر في القلب وصدقه العمل، وكل عمل قلبي يخضع للزيادة والنقصان، والأيام تفعل فعلها بالأسرى، فليست فرحة من هو بين أبيه وأمه وزوجته وبنيه، كمن هو غريب شريد طريد، أو كمن هو بين يدي عدوه أسير مكبل اليدين والقدمين، ويجلد بسياط الفراق والبعد صباح مساء، فهل تستوي فرحة حبيب بين يدي حبيبه، مع فرحة حبيب بين يدي عدوه، هنا العذاب الحقيقي هنا الفرحة لها طعم آخر، وهنا لا بد أن نتحدث عن عيد الأسرى، وعيد ذوي الأسرى، فهم شريكان في الهم والعذاب والعقاب، وهل يقر لحبيب جنب أو يغمض له جفن، وطبيبه بعيد عنه، كلا.. فكيف إذا كان هذا الحبيب بين أنياب العدو ومخالب الظالم، أمّا عيد الأب والأم والأخت والأخ، فسأحيل القارئ إلى زيارة ذوي الأسرى في يوم عيدهم والنظر إلى حالهم وسماع آهاتهم منهم مباشرة.

أما هنا فذكريات الأسير الغائب، تجيش في نفسه الخواطر وتتحرك الذكريات بداخله وهو يغني الذكريات لنسائم الخلان، محفورة في القلب والوجدان.

**ألبوم الصور.. أحزان وأفراح:**

ثم يهرع إلى ألبوم الصور، ليعانق الصور، ويقبل الصور، ويبتسم للصور، ويتكلم مع الصور، ويذرف الدموع، وتتساقط على الصور لترويها وتحييها بدموعه،

دموع حارة، صافية، بريئة، حزينة، وينظر في عيون ذويه، يحدق في وجوههم ويبحلق في لباسهم وجلوسهم ووقوفهم، ينظر إلى البيت، إلى المسجد، إلى الحارة، ينظر في كل زاوية بما توفر لديه، ويعطي كل شيء وكل حي، كل قريب أو بعيد حظه من الزيارة، والزيارة هنا هي الذكرى، فيجلس دقائق وساعات مع والدته أو والده وأهل بيته ، ويقف مع أصحابه ويستذكر سمرهم وسهرهم في أيام العيد، ويستذكر كل أيام العيد، ويستذكر كل عادات وتقاليد وأفراح العيد، ويكون كل مناه في هذا اليوم أن ينظر إلى حارته أو قريته أو مدينته، فينظر إلى التلفاز وهو أقرب شيء إلى الدنيا، لعله يمر خيال قريب أو صديق من ذكريات الماضي، ينظر إلى أعياد الناس، وأفراحهم، فيفرح لفرحهم ويستحضر ذويه وأهله من غير أن يراهم، ويتمنى لو يمر طيف ممن يعرفهم، فلا يجد مما يتمناه شيئاً، فيتمنى لو تتوفر له وسيلة اتصال، على الأقل ليسمع صوتاً وحديثاً لمن يحب، ليسمع فرحهم ورضاهم، فيفرح معهم، ويضحك معهم ويرضى معهم، لكن هيهات، فإن ذلك كمن يبحث عن جوهرة في وسط صحراء لا دليل فيها، وكلما مرت دقائق العيد تحركت العواطف وتفاعلت مع الذكريات، وهو يرى الأسرى من حوله، كل في ذكراه يجول، وكل فيما بين يديه من صور يحدق ويدقق، منهم من يضحك، ومنهم من يبكي، ومنهم من يبتسم، ومنهم من يذرف الدموع، فهذا الأسير وهو أب، وقد مرت عليه السنون حتى أصبح جداً، وله أحفاد، وهو ينظر إلى أبنائه وأحفاده، وقد حرموا من عطفه وحنانه، وقد حرم هو من رؤيتهم وتربيتهم، فأصبحوا في ذاكرته مجرد صور، لا تتكلم ولا تتحرك، هم ذكريات، وكيف سيعيش هذا الأسير ويرى فرحة العيد وابنه عنه بعيد، يتحدث والد أسير إلي، وهو يستحضر أولاده فيقول: وكأني بهم يخاطبونني، يا أبتِ؟ لماذا تركتنا وذهبت يا أبتِ، كل الأطفال لهم آباء في عيدهم إلا نحن، فأين أنت يا أبي، وينشد بنشيد ابنه وأولاده.

أبي أشتاق رؤياك.. فهل في الغد ألقاك.

هذا الطفل الصغير، يسير به أبوه إلى جدته، إلى عمته، إلى خالته، يأخذه إلى الملاهي، يحضر له الحلوى والألعاب، فينظر ابن الأسير وقد غُيب أبوه في سجون الاحتلال، فيذرف الدمع وهو في عيد فرحة وسرور، يذرف الدموع ويدمي قلبه شوقاً وحرقة لرؤية أبيه، فلست أعلم أأحزن لحالي واشتياق أبي لي وأمي وأخي، أم أحزن على حال الأسرى من حولي، وقلبي يعتصر ألماً وأنا أستمع لأخي وشوقه لابنه، أم أتمزق كمداً على هذا الولد الذي غاب عنه في عتمة السجون، أم على الزوجة الصابرة المحتسبة، وقد كان زوجها هو تمام حياتها وكمال فرحتها، وهو الذي يملأ البيت ويقضي الوقت في إدخال البهجة والسرور والفرحة على زوجته، تلمسه اليوم فلا تجده تجاهها، هو ينام على سرير من حديد وهو بعيد، وهي تنام وحيدة حزينة لا تجد من يمسح دمعها ويواسي جرحها آهٍ ثم آهٍ ثم آهٍ يا عيد، وقد صدقت يا متنبي وإن لام اللائمون وعزل العازلون، صدقت يا أبا الطيب إذا كنت تقصد فيما تقول الأسرى في السجون، وسأغني معك شعرك حتى تزول هذه الغمامة السوداء، من فوق رؤوس هؤلاء المحبوسين المأسورين المسجونين المقهورين المظلومين المكبلين.. سأغني معك، وهو غناء لما أراه من حولي حتى ينتهي هذا الغمام، وحتى تعذرني في هذا الغناء وهو واقع وألم وهو دمع يهطل ودم يذرف، حتى تتأكد من ذلك إليك هذا المثل البسيط، في أحد الأعياد زار التلفزيون بيت أحد الأسرى وله زوجة وبنون وبنات، ووالدهم الأسير رجلٌ مشهور بصبره وقوة بأسه وجَلَده في تحمل الشدائد، أخبر هذا الأسير أن التلفزيون سيبث مقابلة مع أولاده فليوطن نفسه وليكن على استعداد ولا يبكي أو يتألم على بعض الكلمات التي صدرت من أولاده، وهو معروف بصلابة قلبه وقوة تحمله، وجاءت الحلقة بعد العيد بأيام وصار يتكلم أحد أولاده بعفوية وينطق بواقع أليم، كلماته بسيطة، لكنها غائرة وعميقة في

المعاناة، قال الولد وهو يخاطب المصور ويشير الى صورة والده، هذا أبي، ولدت وهو ما يزال هنا على هذا الحال أراه يكبر وهو في الصورة صار عمري خمس عشرة سنة ولم أره يوماً ويقولون لي هذا أبوك لماذا كل الناس آباؤهم يمشون ويضحكون ويتكلمون إلا أبي؟ الناس آباؤهم من لحم ودم وأبي من ورق ولون، ثم قال الثاني: أبي أبي ولم يتكلم ولكنه بكى ثم بكى والدمع من عينيه يسيل ثم قام الى صورة أبيه يقبله ثم وقع على الأرض يبكي ثم قال الثالث وقد كان أكبرهم، أبي في السجن عند يهود، ولكن الذين حبسوه هم الذين تركوه لماذا كل هذه السنوات وهو في السجن يقولون عنه بطلاً ومجاهداً ومقاوماً فهل الأبطال هم فقط الذين في السجون؟ أين أصحابه؟ أين إخوانه؟ لماذا يتركونه إلى اليوم؟ وقد كانت الحلقة كالسكين الذي يخترق قلوب الأسرى جميعهم لا قلب الوالد الصبور الذي لم يتمالك نفسه، وهو يسمع كلام الأبرياء وما كان ممن حوله إلا أن خففوا عنه ببكائهم جميعاً بين يديه هذا هو عيد الأسرى أليس بعد ذلك عذر؟ ألا يحق لنا أن نتغنى مع المتنبي فسنغني حتى يأتي الفرج.

عيدٌ بأية حال عدت يا عيد ... بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وفي نفس الوقت وفي ذات السياق سابقت الأمل، وأصبر الأهل فأقول:

يا أمي اشتدي ولا تهوني ... هذا هو قدر الأحرار

يا أمي اشتدي ولا تهوني ... هذا هو صبر الأحرار

سأفرح وسأحزن فإن فرحت فرّحني الرحمن والفرحة واجبة في هذا اليوم وإن حزنت فلما أرى من حولي من مآسي وأحزان وآلام.

وأنا حينما أقول: برغم الجراح سنقيم شعائرنا ونحتفل بعيدنا أقول ذلك؛ لأثبت المكلوم وأصبر المحروم وأقوي عزم المظلوم وفي جانب آخر؛ لأغيظ

العدا، وأقهر السجان واتحدى المحتل الظالم، وحينما أقول: بأي حال عدت يا عيد؛ ليتذكر المجاهد والمرابط أخاه الأسير فيواسيه ويؤازره ويحرره ويفك أسره ومن لا يستطيع فليخلفه في أهله وليواسي ذويه بزيارتهم ورفع معنوياتهم وتلبية حاجاتهم «فمن خلف غازياً في أهله فكأنما غزا»

**خسة السجان وعزة الأسير:**

وهنا سآخذك أُخي القارئ إلى معاناة أخرى غير معاناة الفراق، إنها معاناة استهداف الأسير من قبل السجان الظالم في العيد؟؟ نعم في العيد في يوم العيد عند السجان جبن ومكر ودناءة وخسة، فلا يُسر السجان أن يرى أسيره يضحك أو يبتسم وكم تغيظه هذه التكبيرات فصيحات التكبير التي كانت قبل قليل من خارج السجن كانت تكبيرات فرح هي هنا تكبيرات تنفيس وإغاظة للسجان، وقبل أن تبدأ هذه التكبيرات سيهرع لتنفيذ خططه للتضيق الشديد على الأسرى في يوم عيدهم ولن أذهب بعيداً لأروي لكم مئات القصص من تاريخ الحركة الأسيرة، فقط سأذكر لكم ما حصل الآن وأنا أكتب هذه السطور في هذا العيد خرجت عصابة من قوات الأمن ووحدة المتسادة، واقتحمت غرف الأسرى في سجن النقب، متى؟ في ليلة العيد حيث يستحضر كل أسير ذكريات ذويه، ويودون لو يفرحون مع ذويهم، في هذه الليلة كانت حملات قمع وتفتيش مهينة، وتم الاعتداء على الأسرى بالضرب، وتم مصادرة حاجياتهم وتم نقل عدد كبير منهم إلى الزنازين، ثم نقل آخرين في نفس يوم العيد إلى سجون أخرى، وهكذا أراد السجان أن يكون عيد الأسرى، فهل اكتفى السجان الذي يتلقى أوامره من حكومته المتطرفة؟ هل اكتفى بذلك؟ كلا ففي صباح يوم العيد وبعد أن أكملت هذه الوحدة همجيتها في سجن النقب، توجهت مباشرة إلى سجن شطة لتقتحم الغرف قبل أذان الفجر، وبالطبع ستحدث صدامات بين الأسير الأعزل والسجان المدجج، وتم عقاب معظم الأسرى في هذا السجن

وبعد ما تم الاعتداء على ثلة من الأسرى تم اغلاق قسم بكامله ونقله الى سجون أخرى فهذا هو عيد الأسرى وهذا عمل يهود في يوم عيد المسلمين ولكن لكل فعل قبيح من السجان تبرير أقبح، فادعى هذا السجان أن حارسه وأحد زبانيته وهو يمر من أمام إحدى الغرف سمع أسيراً يتحدث، وشك هذا السجان أن هذا الأسير لربما يتحدث من بلفون (جوال) مهرب مع ذويه فتم استدعاء هذه القوات لهذا المجرم العظيم على افتراض أن هذا صحيح فأين حقوق الإنسان من عقاب سجن بكامله، وهل هذه مصادفة أم هو ترتيب زبانية حكومة الاحتلال؟؟ لا نشك في ذلك أبداً أن إدارة السجان واتب أن تنشط فعالياتها في يوم عيد الأسرى ففي يوم العيد ستكثر حركة نقل الأسرى من سجن إلى سجن في حركة نشطة لا تتوقف عذاباتها، وحركة تنقلات كذلك للمحاكم فيكون يوم عيد الأسير هو يوم محاكمته وحركة تنقلات للمستشفى في هذا اليوم بالذات، وقد كانت أمس وقبل أمس مرفوضة وممنوعة ففي هذا اليوم لا يعترف السجان بعيد المسلمين، وفي هذا اليوم بالذات سيقدم على أقبح فعاله ويكثر من بوسطاته حتى لا يشارك الأسرى بعضهم وإخوانهم بهجة العيد المنقوصة أصلاً فمعنى النقل في هذا اليوم هم وغم على الأسير وعلى من حوله كذلك لأن الأسير سيفارق من تعود على معيشتهم وتعرف على طبائعهم وانسجم معهم إلى سجن آخر لا يعرف من سيكون رفيقه وأنيسه وستقطع كل الحبال التي كانت موصولة وسينسج من جديد حبالاً أخرى ليتأقلم مع حياة أخرى والنتيجة عدم الاستقرار ومتى في يوم الاستقرار يوم العيد.

ثم هناك استفزاز وتضييق في نواحي أخرى ففي يوم العيد سيتنصل السجان من بعض الحقوق ويتنكر لبعض الإنجازات التي حققها الأسرى بأمعائهم الخاوية ففي مثل هذا اليوم من حق الأسرى أن يزور الأسير أخاه الأسير ليواسي بعضهم بعضاً، وهذا ما يعرف في السجون بـ(نظام زيارة الغرف) فيتم التضييق على الأسرى

ويحرمون من عدد هذه الزيارات ثم يحرمون من التجمع إلا بعدد محدود حتى لا يكون تجمعهم مبعث أمل وسرور وحتى صلاة العيد وخطبة العيد فعليها قيود، ونظام صارم في التعامل قبل وبعد الصلاة وخطبة العيد بحيث لا تتجاوز ثلث ساعة ويحرم الأسرى من توزيع بعض أنواع الحلويات المتواضعة المصنوعة بأيدي الأسرى من الخبز الناشف المبروش يصنعونها لهذا اليوم ويسمونها حلوى فيستكثر السجان عليهم ذلك فيدعي أن هذا ممنوع في قانون السجن والممنوع عند يهود ليست الحلوى بعينها بل الممنوع عندهم هو بسمة الأسرى وفرحتهم ولو في يوم العيد، في يوم العيد يزداد عدد السجانين ويكثر ضباطهم تكون حالات الطوارئ على سن ورمح وتتأهب وحدات القمع والضرب والاستفزاز وسيكون الاستفزاز بالأسرى في يوم عيدهم هو عيد يهود فإذا أعلن بعض الأسرى فرحتهم أو خرجت أصواتهم وتغنوا بأناشيدهم فإن هذا أشد ما يكون غيظاً للعدو وهنا ستكون قواتهم على أتم جاهزية لماذا؟ للاختراق الكبير وهو التمرد على السجان بزعمهم فلا يروق لهم أن يفرح الأسرى جميعاً، وأن يروحوا عن أنفسهم ببعض النشيد، وهذه فرحة المسلمين التي تربوا عليها وصارت جزءاً من بنيانهم الجسدي والنفسي والفطري، وفيها تنفيس عن كثير من همومهم فما أن تعلن شاشات التلفزة ظهور هلال شوال باسماً حتى يبتسم له الأسرى ويعلنون التكبير والتحميد في فطور مهيب ومشهد عجيب تعلو أصوات الفرح يفرحون بقدوم العيد وأول فرحهم يبدأ بالتكبير لأنهم بالتكبير يصغرون السجان العنيد وأجمل ما في هذه الفرحة أنه بعفوية وارتجال وأن التكبير بالذات له طعم يختلف تماماً عن التكبير خارج السجن ولذلك نتعجل التكبير قبل موعده ونحزن إذا انتهى أجله فنحن مثلاً في عيد الأضحى يبدأ التكبير عندنا من صبيحة يوم عرفة وسيكون كذلك التكبير بعد كل أذان تماماً كما هو بعد كل صلاة ومن المواقف المؤثرة هنا هو تكبير آخر أيام التشريق حيث ينتهي التكبير عند

صلاة العصر في اليوم الرابع من أيام العيد فهنا غالباً ما تجد الأسرى بشكل عفوي ما إن يؤذن العصر حتى يكبروا ولكن هذه المرة تكبيرهم يعلو عن كل مرة وأصواتهم به ترتفع حتى ما يكون أقرب إلى الهتاف منه إلى الذكر وذلك لأنه اللحظة الأخيرة التي سينتهي فيها التنفيس عن النفس ويحاولون إغاظة السجان بهذا التكبير ويخففون به من آلامهم ويروحون عن أنفسهم وتظهر البسمة على قلوبهم ووجوههم أن هذا لا يتم تداوله بين الأسرى بهذه الكلمات وإنما هو حال نفوسهم وتنطق به أسارير وجوههم وطبائع أنفسهم من غير أن يصرحوا بذلك وهذا ما أقرأه من خلال نفسيات الأسرى وأزعم أنها قراءة صائبة بامتياز.

**من عجائب الذكريات:**

موكب أخي الشهيد سار في يوم العيد غير أني شخصياً في يوم العيد تجتمع عندي الذكريات المفروضة، فمع ذكريات العيد فإن الأسير أشد ما سيذكره أو يتذكره سيتذكر أعياده الأخيرة المطبوعة في ذهنه كأنها اليوم وهنا لي ذكرى خاصة لا توجد عند كثير من الأسرى ولا أعرف إن كان في الأسرى من حاله تشبه حالي فإني أستذكر عيدي قبل الاعتقال أستذكر ساعات من أول النهار إلى آخر النهار أستذكر فيه كل دقيقة، وكل كلمة وكل موقف ليس لأنني اتمتع بذاكرة قوية بل لأن الذكرى القوية أقوى من الذاكرة لأن العيد الذي أتذكره قد تزين بالدم واختلطت فيه تكبيرات الفرح بتكبيرات الغضب، إنها ذكرى استشهاد أخي الغالي جداً على قلبي أخي الذي ارتبطت به وتعلقت به منذ صغري تربينا معاً وكبرنا معاً وصرنا كأننا توأمان أخي الشهيد عبد الحافظ عاشق الشهادة، كنت أعرف حياته لحظة بلحظة لا يغيب عني سرٌ من أسراره ولا يبعد عن عيني ساعة واحدة ولكنه في يوم العيد في عيد الفطر أصبح ذكرى وذاكرة حية، فأخي الذي كنت أعلم متى سيخرج ومتى سيعود؟ ومتى يضحك ومتى يبتسم؟ ومتى يأكل ويشرب؟ في هذا اليوم كان استشهاده غاب عني

فجأة ابتعد، في أقل من ساعة من بعده عني سمعت انفجارات قوية، إلى من؟ إنها قذائف وصواريخ حقد صهيونية صوبت تجاه جسد أخي الطاهر عبد الحافظ كان ذلك في صبيحة يوم عيد الفطر في هذا اليوم كانت البيوت تفرح وتحتفل ونحن كذلك كنا نفرح ونحتفل ولكن على طريقتنا كان عندنا عيد ولكنه عيد الشهادة كانت فرحتنا وأعراسنا تملأ المنطقة؛ أعراس الشهادة، أستذكر في هذا اليوم جثمانه الطاهر وابتسامته التي ما فارقت وجهه بل استشهاده أو بعد استشهاده أستذكر عيد لأهل بيتي عيده لمي وهو يدخل والدم على وجهه يسيل غضاً طرياً يبتسم لأمي في يوم العيد كانت وصيته لأمي والتي تحفظها جيداً: إن جاءك جثماني مخضباً بالدم فلا تبكي علي لأنني شهيد بل وزعي الحلوى لأن هذا عرسي ولكن المفاجأة كانت أن العرس كان في يوم العيد وهذا ما كان فقد رأيت أمي الحنون الصابرة وهي تزغرد زغاريد الفرح لا على العيد السعيد بل على عرس الشهيد فأقبلت تهرول نحو غرفتها وتناولت الأمانة؛ إنها الحلوى توزعها في عرس ولدها، وفلذة كبدها فقد ارتقى وما سقط فقد ارتفع وما هبط، إنه الآن يعانق الحور العين هذه أمي هذا عرسها وهذا فرحها في يوم العيد فكيف كان عيد أبي؟ إنه صبور بل وفخور كبر حينما سمع الخبر ينظر الناس إلى والدي، وهو يدخل المسجد يصلي مع المصلين على جسد وروح أخي، بعد الصلاة مباشرة يكبر والدي والمصلون، يهدر بصوته هدراً والحناجر من بعده تكبر وتكبر، يقول والدي بحرارة وكبرياء وفرحة العيد: الله أكبر ولله الحمد، والناس خلفه يكبرون هذا هو عيدنا وهذه هي فرحتنا في يوم العيد لا تغيب عني هذه الذكريات الناس يتجولون في الشوارع يزورون الأرحام الأطفال يلعبون غير أن هناك موكباً يسير واحتفالاً يتحرك وينساب من شارع إلى شارع والناس تتوافد عليه والشوارع تزدحم لتكبر معنا، يقود المسير في هذا اليوم والدي وإخواني وأعمامي وأحبة أخي وتعلو التكبيرات حتى يوارى جثمانه الطاهر في الثرى ويعود الموكب

وقد خلد العروس مع عروسه، وتعود العائلة والأحبة ورفقاء الشهيد وأصدقاؤه وإخوانه ليستقبلوا التهاني في يوم العيد ليكون بيتنا موطئ الأفئدة وملتقى الأحبة يهنئون الوالد والوالدة والبيت بهذا العرس، إنه اختيار الله واصطفاؤه ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] في هذا اليوم كنت أوصيت مرئية الأقصى لتبث لنا وصيته حيث بث مرئية الأقصى يصل إلى سجون الاحتلال من جنوب فلسطين مثل عسقلان وسجن إيشل وسجن رامون وسجن نفحة طلبت وصية أخي لأرى وجهه الوضاء لأرى ذكرياته أيامه تدريباته سلاحه تحركاته ابتساماته في يوم العيد في ذكرى أخي الشهيد، فكانت دموعي تذرف دموع فرح وسرور ولكن على طريقتنا، وكما كان الأحبة يعانقوننا ونحن في الخارج في يوم زفاف أخي الشهيد عبد الحافظ ها هم اليوم في نفس الذكرى يعانقونني بعدما شاهدوا معي وصية أخي والناس من حولي في سجني يشاركونني هذه الدموع ويعانقونني بحرارة وهم يرون ويشاهدون معي وصية أخي وهم يرون طبيعة الأعراس ووضاءة ونور وجهه وهو يبتسم ويتسم وينظر إلينا نظراته الأخيرة هذه الفرحة في يومي العيد ستبقى في كل عيد وخاصة وأنني في السجن أعيش على الذكريات وتجتاحني العواطف والخواطر لأعيش ذكريات تزيد على الذكريات وهي ذات الذكريات في بيتنا المجاهد ولكن سنحتفل وكل منا في معية الله وحفظه وتحت إرادته ومشيئته سيحتفل والدي وستحتفل أمي وأختي وإخواني على عرس الشهيد وعلى فراق الأسير خلف القضبان وثالث ورابع قد أثخنتهم الجراح تامر ثم محمد وكل شيء يهون في سبيل الله وما أحلى المنون إذا كان في رضا الرحمن وبهذه المشاعر سأترككم تشاركونني كل عيد.

وكل عام وأنتم بألف خير وعيد سعيد.

حتى يأتي وعد الله بالفرج الأكيد والنصر الأكيد اللهم آمين.

# الفصل التاسع

# وأخيراً

## أولاً: العزل الانفرادي آلام لا تتوقف، والأسير المعزول يئن ويحتضر:

إن السجان الظالم قد زحف علينا بخيله ورجله، يستضعف طائفة من خيرة أسرانا الأبطال يقتل فينا في وضح النهار ينشر الموت الزؤام والمرض العضال في أجساد الأسرى المجاهدين ويبقى الأسير طريح الفراش يئن من كثرة الأمراض و الأوجاع والجراح ينتظر الموت وسكراته وما هو بميت فلا هو في عداد الشهداء في عليين ولا هو من الأحياء المعافين في الأرضين يتلوى من شدة الألم لحظة فلحظة والمرض ينهش جسده الطاهر عضواً عضواً، وينام الناس بعافيتهم ويسهر المرضى بأوجاعهم وآلامهم، هذا هو حال المرضى من الأسرى بشكل عام، فكيف إذا كان الأسير مريضاً ومعزولاً وليس هناك أسير معزول إلا وهو مريض فمن ذا سُيطبب الجراح ويداوي الآلام ومن ذا سيسمع الأوجاع ويواسي الأحزان، ومن ذا سيكون مع الأسير المعزول وهو يتأوه ويشكو ويئن إنه في زنازين مظلمة موشحة مقفرة ومفقرة لا يرى فيها شمساً ولا زمهريراً لا يسمع إلا نباح الكلاب المسعورة وقرض الجرذان الموبوءة وطنين الحشرات المسمومة، ولا يتكلم إلا مع الجدران والقضبان ولا يضحك أو يمرح إلا مع فرشة بالية أو خرقة جافية لا يجد خليلاً يبتسم إليه أو صديقاً يأنس معه لا يبث همومه وأحزانه بعد الله إلا لبرد الشتاء القارس، أو حر الصيف اللاهب ويسأل الأسير المعزول نفسه هل يشعر إخواننا بآهاتنا وعذاباتنا وآلامنا وأوجاعنا وأمراضنا؟ بربكم أيها الناس أيها الأحرار كيف سيحتفل هذا الأسير المعزول منذ سنوات؟ كيف سيحتفل بعيده؟ كيف سيفرح، وهل يقيم عيده وحده؟ هل يعيد نفسه؟ هل يكلم نفسه؟ كيف سيقيم شعائره وصلاته وخطبته وتكبيره سيكبر وحده ويصرخ وحده ويخطب وحده وهل يا ترى سيسمح له بذلك؟ هل يُسمح له بالتكبير وهو معزول مستفرد به مستضعف بعزلته، والعدو من خلفه ومن أمامه ومن فوقه ومن تحته معه إذا نام معه إذا استيقظ معه إذا أكل معه حتى إذا

دخل المرحاض، كل شيء تحت المراقبة وكمرات التصوير تطارده ليس له حرية شخصية حتى في قضاء حاجته، هذا الأسير وهو يكبر يوم العيد يأتيه السجان وهو يبرز عضلاته ويفتل شاربه أُصمت وإلا يحرمونه من الطعام فلا يجد من يؤازره يماطلون في علاجه وشفائه فلا يجد من يواسيه يموت أهله يذبحون يسجنون يعانون المر من فقده وبعده وعدم سماع أي خبر عنه وهو ما يدري أهله أموات أم أحياء يسمع أن حرباً أبادت غزة وأن حصاراً قضى على آلاف الناس، وأن المهجرين يفرون في كل اتجاه فمن ذا يأتيه بالخبر في العيد يدمع وحده يضحك وحده وهل يضحك نعم ليسمع الجدار أو لعل ملاكاً ينقل الخبر، بربكم هذا الأسير المعزول كيف سيعيش رمضان ولا أذان عنده لا من قريب ولا من بعيد، وحتى الساعة في يده فهو محروم منها حتى لا يعرف ليله من نهاره، ولا وقت صلاته ولا إمساك صيامه وحتى القبلة لا يعرف اتجاهها فهو في كل يوم يصلي في قبلة جديدة، ولا يدري هل صام مع الصائمين أو أفطر مع المفطرين لأنه في عزلة تحت الأرض والأضواء مشعلة على مدار الساعة.

**لماذا يعزلون الأسرى؟**

رب سائل يسأل ولماذا يعزلون الأسرى؟ الجواب بسيط، إنه الانتقام فهذا الأسير المعزول قد ضحى بنفسه وماله وأهله ليحمي وطنه وينشر دعوته ويقف في وجه الاحتلال لأنه قائد ولأنه مؤثر ولأنه أثخن في العدو الجراح ولأنه رسم البسمة على أفواه الثكالى والأرامل، لأنه أصيل وحر وقوي هم قادتنا وخيرة أبناء أمتنا لذلك يعزلونهم كان في هذا العزل الشهيد أحمد ياسين والشهيد عبد العزيز الرنتيسي والشهيد إبراهيم المقادمة والشهيد صلاح شحادة كلهم دخل العزل وهل تنتهي معاناة المعزولين عند هذا الحد؟ الشوق والحنين البعد والفراق، كلا إذا كان الأسير وهو في سجنه وبين إخوانه لا تتوقف بحقه الاستهدافات والعذابات،

فكيف بالأسير المعزول؟ إن كل الخيارات مفتوحة وكل العذابات مشروعة وكل الانتهاكات مسموحة وأوامر المحتل لسجانيه إفعل مع المعزولين ما شئت فإن أفعالك بهم غير ممنوعة أو مفضوحة ولا مسموعة اجعلهم يعيشون في قاذورات ومياه المجاري تحت أقدامهم وروائح الفضلات تزكم أنوفهم طعامهم لا ناضج بل ني، ولا كريم بل سقيم ولا نظيف بل سخيف كل يوم عندهم تفتيش في الليل في النهار كل يوم ينتقل من زنزانة إلى زنزانة من قسم إلى قسم لا يرى أحداً إلا السجان ولا يسمع صوت بشر، وعند كل انتقال تصادر حاجاته البسيطة لا يجعل معه إلا القليل القليل من الملابس التي لا تقي برد الشتاء والأغطية التي لا تحميه من أمراض البرد القارس ليس عنده إناء يشرب به أو صحن يضع به طعامه ليس عنده ما يسلي به نفسه كل شيء ممنوع ويتم نقله إلى مكان يسمع فيه صوت بشر أحقاً إنهم بشر، إنهم يتكلمون: أنهم أسرى، أيُّ مكان يسمع فيه صوت بشر؟ أحقاً إنهم بشر؟ إنهم يتكلمون: إنهم أسرى، أياً كان نوعهم المهم أن الإنسان يأنس بالإنسان في وقت العزلة ولو كان جنائياً وتجمعنا المصائب، هكذا يظن فإذا به بين يهود أشد حقارة من السجانين وإذا بالسجان قد أوصاهم بجوائز لمن يسبه ويشتمه في الليل والنهار وهناك من المعزولين كثر من تم الاعتداء عليهم من قبل الأسرى الجنائيين تحت سمع وبصر السجان وهو يضحك ولا يحرك ساكناً تم الاعتداء على قيادات الحركة الأسيرة ثم الاعتداء على قائد حماس في السجون القائد عباس السيد من قبل يهود متدينين، وهم أحقر ملة على وجه الأرض وكان ذلك في ذكرى العملية الجهادية التي قام بها وقتل منهم من قتل، وكلهم كذلك وليس لديهم ما يدفعون به عن أنفسهم وقد أنهكهم المرض وقتلهم العزل وقرسهم البرد وعضهم الجوع هزلت جسومهم وضعفت مقاومتهم، وشلت ذاكرتهم هذا قليل من كثير من ملف هؤلاء المعزولين، ومن هنا كان أهم مطالب الإضرابات إخراج هؤلاء المعزولين لأن أشد

من يشعر بهم هم أقرب الناس إليهم إنهم الأسرى وقد كان إضراب **٢٠١٢** ناجحاً نجاحاً ملحوظاً، فقط لأنه أخرج المعزولين، كم من أسير مرض بسبب الإضراب كم من أسير تعذب وهو يعاني الجوع ليشارك المعزولين همهم لكن هل توقف العزل هل خرج كل المعزولين كلا هو مسمار جحا الذي يضعه السجان في كل شيء هو مسمار جحا الذي عرف به خلق يهود.

**ضرار السيسي، وآلام العزل:**

إن العزل لا يتوقف بل هو خلق يتجدد عند يهود ومسمار جحا هنا هو بقاء أسرى معزولين وأشهرهم الآن ضرار السيسي الذي يزعم المحتل أنه وراء تطوير الصواريخ من هناك من أوكرانيا تم خطفه، ومباشرة إلى عزل يهود ليمكث سنوات، هذا الشاب الوسيم الضحوك ذو الوجه المليء الوضاء والجسم القوي والعقل الذكي والعزم الفتي تغير به الحال تثاقلت عليه الهموم فتكت بجسده الأوجاع والأسقام صار نحيف الجسم حتى ما يجاوز الستين كيلو لا تكاد تسمع صوته في هذا العزل لا تعلم ماذا أطعموه؟ ماذا سقَوه؟ ماذا وضعوا له في هواء غرفته بماذا يداوونه؟ ما هي الحبوب التي يتناولها، الإبر التي يتلقاها هذه حال كل أسير معزول، وليس ضرار فحسب، كل أسير معزول يمر بهذه العقوبات التي لا تتوقف عقوبات مدروسة يتقاضون عليها راتباً وكلما أمعن السجان في إهانة الأسير المعزول الذي يجعلون حياته خوفاً ورعباً، يسمعونه أصواتاً لا يعرفها أهي جان في غرفته؟ أم حيوان بجانبه يمرون عليه صباح مساء لا يدعونه ينام، أو يغفو، الحشرات لا تتوقف الجرذان والعرس، لا تعرف ليلاً من نهار إذا كنت على وشك النوم أو ما كدت تنام فإذا بدبيب يعلوك، أو يقرص شيئاً من جسدك تفزع تفز من نومك، فإذا هي عرسة وقحة لا تبتعد عنك، تبقى قريبة حذرة تترقب تلاحقها تطاردها، تعود إلى جحرها وأين جحرها؟ هل هناك جحور في الزنازين كلا... إن مكانها معروف تخرج من

المكان الذي يقضي فيه الأسير حاجته من المرحاض، لتنتقل إليه الأمراض فإذا تركته وحاله ينام فسيصحو ويجدها قد عاثت وعبثت في طعامه وشرابه فما هو هذا الطعام الموبوء، وكيف ستكون نفسية المعزول وهو يأكل طعاماً يتيقن أنه سيفضي به إلى مرض فتاك إلى هلاك محتم ولا يملك الأسير ما يغلق به المكان الذي تخرج منه هذه العرسة إلا قنينة الماء البلاستيكية العجيب والغريب أنها تدفعه، وتخرج للأسير المعزول هي مليئة بالماء وهذا أثقل ما يمكن أن نسد به فتحة الدورة ثم تدفعها وتقتحم الزنزانة، يخرج الأسير المعزول إلى الفورة مقيد اليدين والرجلين ويبقى في الفورة لمدة تقدر الساعة، وهو مكبل مقيد وهو في طريقه في ذهابه وإيابه يعامل أغلظ وأقسى معاملة، كبرياء السجان غطرسته عجبه ليعود إلى زنزانته فيجد كل شيء في غير مكانه وكل شيء تم العبث به، كل شيء يتم تفتيشه وتقليبه ووضعه في غير موضعه فالأسير المعزول ليس آمناً على نفسه ولا على صحته ولا على أمتعته المحدودة ولا على نظافة مكانه الذي سينام فيه، وإن أخطر أمراض العزل هي الرطوبة الرطوبة التي تفتك بالحديد وتفتت الجدران وهل سيقوى عليها جسم الإنسان، سلوا الأطباء عن خطورتها على صحة الإنسان على جلده كل يوم سيكون مرض جارٍ جديد، لم تسمع به من قبل تأثيرها على الإنجاب تأثيرها على العظام وخاصة تأثيرها على مفاصل الإنسان، وعظام الظهر نحن هنا لا نتحدث عن يوم أو شهر بل عن سنوات في العزل، يتعرض الأسير لفقدان كبير في ذاكرته فليس هناك ما ينمي ويحي به ذاكرته، يضعف بصره، فليس هناك ما يستطيع أن يمد إليه بصره سوى هذا المتر من أمامه، أو عن جنبه فيتأقلم النظر وينحسر لينسجم مع هذه المسافة الضيقة، يفقد شهية الأكل والطعام، فلا يستطيع بمرور الأيام تذوق الطعام أو تجرع الماء سيكون كل شيء بغصة، وألم وصعوبة كل حياته معاناة في الصيف اللاهب ليس هناك ما يدفع عنه هذه الحرارة الساخنة، وهذا العرق الذي يتصبب ولا يتوقف

وهو يتقلب عن يمينه وشماله، فلا يجد راحة في جلوسه ولا وقوفه ولا نومه في الشتاء البرد القارس الجدران التي تحتفظ برطوبتها مع قلة وضعف الأغطية، لأنها ممنوعة أو محدودة ونوعيات خفيفة وكذلك الملابس فكل شيء محدود ممنوع، فيبقى يتلوى وينكمش ويجمع نفسه ليقيها شر البرد القارس ويدفئ بعضه ببعضه، ولكن إلى متى سيستمر هذا الحال، ولا أريد هنا الإطالة أو الاستزادة في هذا الملف المؤلم، ويكفي أن تعلم أن سجون العزل أو زنازين العزل لا تتوقف وهذه الزنازين درجات بل دركات أقلها سوءاً هو ما ذكرنا ويكفي أن تعلم أن الأسير المعزول لا يعرف مصيره هل سيقتلونه؟ أو يشلونه؟ أو يبقونه مريضاً طريح الفراش أو مهووساً؟ يترقب وينتظر لا تتعجب إذا قلت لك كل ذلك حصل والقصص لا تنتهي، والله هناك مواقف وحالات مرضية نفسية بسبب العزل يخجل الأسير أن يتحدث بها من شدة ألمها وفظاعتها وسنسدل الستار عن هذا الباب الذي لا يوقفه إلا قوة أقوى من قوة الجبان وتحرير الأرض والإنسان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

## ثانياً: وأخيراً:

### وتستمر المعاناة:

في خاتمة هذه الصفحات وأنا أسدل الستار على هذه الكلمات أرى صور المعاناة تتجسد أمامي قصص الألم التي لم أدونها خوفاً من ملل القارئ لكثرة تكرارها، هي تتكرر على القارئ ولكنها عذابات تتنوع على الجسد الذي لا يتغير، تتزاحم المواقف وكل موقف يرجوني أن ألحقه وأدرجه ولو في خاتمة الكتاب، وماذا عساي إن طاوعت يداي عواطفي فلن يتوقف السيل الدافق من الألم وستكون أمواج البحار المتلاطمة لا يقدر على الصمود تحتها أمهر سابح، ورغم ذلك سأرضي عاطفتي بذكر بعض صور الألم التي لا تزول من ذاكرتي وتبقى شاخصة أمام بصري،

قلبـي ينزف دماً، عيني ينهمر منها الدمع، مشـاعري تضطـرب ، دقات القلب تخفق خفقـاً وتتسـارع النبضـات، مهـلاً يا نفسـي سـأرضيك بذكر شـيء من هـذا الركام المتساقط كالجبال فادعوك أخي القارئ لتنظر بمنظار قوي خارق وتراني، والأسرى مـن حولـي علـى الهيئة التي أجلس عليها سـترى القلـم في يدي لعلـك تتذكر الآية ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۞ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾ [القلـم: ١-٢] فتقـول مـن كانـت عنده نعمة القلم فهو في نعيم وسـيخط من الرسـائل لذويه وينقل هموم الأسـرى لمحبيه ومستمعيه حقاً سيعيش الأسير على الذكريات ويخط الأشواق سيتحدث في رسالته عـن بيته الذي فيه ترعـرع وأرضه التي فيه تنعم وحارته التي بها كان يأنس وشـوارع بلدتـه التي كان فيها يتجول سـيذكر لهم شـاطئ البحر الحدائق الخضراء الأشـجار المثمرة الورود الزاهرة الأسـواق العامرة سيحدثهم عن شوقه للجلوس عند شاطئ البحر، لحظة غروب الشمس أو حنانه إلى رغيف أمه أو بسمة ولده أو عطف أبيه أو حكايات جده وجدته إخوانه الذين كان يسـمر ويسهر معهم ويذكر لهم أيام الطفولة ببراءتها المدرسـة الزملاء، وصفاء تلك الأيام سـيذكر لهم الأفراح التي شـارك فيها والاحتفـالات التي دُعي إليها، والمهرجانات الحاشـدة التي حضرها والمظاهرات والمسـيرات الغاضبة التي كان شـعلة فيها، سيذكر لهم أيام جامعته وتنافس الطلاب والمناظـرات السياسـية والدعوية هذا بعضاً مما يجيش بخاطـره أو تجود به قريحته ويصحـب كل ذلـك ألـم وألم مع كل حرف مـع كل كلمة مع كل جملـة يعيش أياماً وليالي طويلة وهو يكتب في رسـالة واحدة ما أحسـن عباراتها ما أعذب كلماتها ما أدق معانيها يزخرف رسـالته بالألوان والرسومات ولا تكل يده ولا تمل جوارحه لا تفتر عزيمته، ويسـتمر في السـهر حتـى مطلع الفجر وهو غائب عـن الوعي إلا لمن يكتب ومتفرغ من كل شيء إلا من ذويه وأحبابه ووطنه.

**الجديد المفاجئ القاتل:**

أرأيت كيف يمضي الأسير ساعاته الطويلة أيامه الكئيبة، أشواقه الأليمة ما أسعده وهو يكتب رغم الألم، يحاول أن يطارد اليأس ويزرع الأمل لذويه قبل نفسه، لأمه وما أدراك ما أمه، يعيش معها لحظة بلحظة، وقد غاب عنها السنوات، ولا يعرف عنها شيئاً، ولا يسمع عنها خبراً، وهي كذلك، وكأني بك أخي القارئ وأنت تقرأ فتقول: وأين المعاناة؟ ونحن صغيرنا وكبيرنا يعرف ذلك، أين الجديد فيما تذكر؟ أجيبك: الجديد المفاجئ القاتل لي ولمن حولي، وأنا أرى أخي يكتب لأمه، وقد جاء خبر وفاتها وفراقها لهذه الحياة، والمصيبة التي لا نعلم كيف سيتلقاها هذا المنهمك برسالته إلى أمه، وهو يكتب ونحن ننظر، هو يضحك ونحن نبكي، يحدثنا عن أمه، عن مواقفها، عن براءتها، عن حسن تربيتها، يكتب ويتدفق الشعور، من داخله على من حوله، يريد أن يشاركوه بسمته وهو يكتب، وما يدري إلى هذه اللحظات أننا نجتمع حوله، ولا يجرؤ أحدنا إلا أن يبادله شعوره ولا يستطيع أحدنا أن يصدح بالحقيقة المرة، يكتب وما يزال يزخرف في أوراقه وقد أخذت معه من قبل أياماً وقد جاء الخبر في الصباح، ونحن نرى ما عليه من حال، فهل سنكسر القلم، ونقطع الحبر المتدفق، ونمحي هذه السمة لنرسم صورة حزينة مكانها من قلب أسير حزين أصلاً، هي كلمات وهي لحظات، فمن سيجرؤ على نقل الخبر، هو مؤمن صابر مجاهد محتسب ، ولكنه رقراق شديد التعلق بأمه، عظيم التوقير لها، كثير الذكر لمحاسنها، هو أسد هصور، عنيدٌ قوي، ولكنه رقيق الشعور، كثير الشوق مرهف الحس، ولكن الله لطيف خبير، وتسير أقداره بحكمته ولطفه ، ويجعل مع كل بلاء نعمة، وأمام كل هم وغم فرج، وعند كل مصيبة ما يخفف من شدتها ويهون من خطرها، فقد كان لهذا الأسير شقيقٌ ابتلاه الله بمرض في كبده، اسمه (تليف كبدي) خطير فتاك قاتل، من يصيبه فإن الموت بحقه حتم وقريب موعده، وهو إذن بقرب

الرحيل، هذا الشقيق كان من مجاهدي أفغانستان الذين أذاقوا الروس الويلات، وبعد الانتصار عاد إلى أرض الشتات والمنفى، أرض الأردن الشقيق، وقد أيس الأطباء من حالته وعلاج مرضه، وكان الأمل الأخير هو التوجه للصين في عملية تستغرق سفراً وعناءً قاتلاً وتتطلب أموالاً تقدر بـ ٧٠ ألف دينار، ونسبة النجاح، فيها محدودة، ولا تملك هذه العائلة، بكل أفرادها أن توفر شيئاً، ولو قليلاً من هذا المال، واستسلمت قلوبهم لربهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وليس لهم إلا انتظار الموت، أما الأم فهي قوية لا تعاني مرضاً، ولا تشكو وجعاً، وهي بصحتها وعافيتها، الغريب أن الخبرين جاؤوا في وقت واحد، يسيران معاً، مصيبة بلطف، وعذاب بنعمة، وبلاء مع عافية، وصدق الله ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

من معجزات القرن الحادي والعشرين.. ومن كرامات المجاهدين..

الخبر الأول، هو معجزة بحق، آية من آيات الله لكل من عرف القصة، هي كرامة للمجاهدين، وتسلية للمبتلين، وأمل لكل البائسين، الخبر الأول شهادة حياة، فهذا الشقيق بين عشية وضحاها وفجأة ينهض من فراشه يتحرك بسلاسة همته وأقدامه كأنه في ساحات الجهاد أحس بروح غريب وشعور عجيب توجه للمشرف على علاجه يمشي على رجليه، فوجئ الطبيب به وقد كان طريح الفراش قص عليه الخبر، أجرى له الفحوص وثم عاد ثانية وثالثة وهو يقول سبحان الله!! الله أكبر فمن ذا يصدق الذي يراه؟ وما يزال مذهولاً ينادي الأطباء من حوله وهم يعرفون حالة هذا الشقيق يتابعون الفحص، الله أكبر إنها كرامة أنها معجزة فالموت والحياة بيد الله، تبارك الذي بيده الموت والحياة، كل شيء تلاشى كل أثر للمرض قد ذهب وكأنه لا شيء به ولا بأس به من قبل ماذا جرى؟ فقط هي عناية الله قدر الله خالق الموت والحياة فكان هذا الخبر هذه المعجزة هذه الآية هي علامة زوال المرض عن هذا

البيت المجاهد عن هذه العائلة الطيبة الراضية ويسير الخبران معاً من الأردن الشقيق يسيران ببطء شديد حتى وصلا إلى سجن نفحة، ودخلا القسم وقرآ السلام على الأسرى وهما يسألان عن الأسير المبارك، الخبران هما: خبر وفاة الأم الحنون، وخبر حياة الشقيق المجاهد، إنها قصة للثابتين هي تصبرة وتوطئة للمجاهدين، يتجمع الشباب ويدخلون غرفة الأسير المجاهد في صمت غريب ووجوم عجيب، وهو يرى هذين الضيفين الجديدين أحدهما شديد البياض، والآخر شديد السواد صامتان لا يتكلمان ينظر إلى الأسرى وإليهما قرأ في عيونهم خبراً، رأى في وجوههم أثراً هل هو له؟ أو لأسير آخر في غرفته، وقد كان فرغ قبل ساعة من كتابة الرسالة وتم تسليمها للبريد على أمل أن تصل أمه والأمل في الله كبير، ويبدأ أمير الأسرى يتحدث ويقدم مقدمة طويلة تثبت أهل البلاء عند مصيبتهم، وتصبر المصابين على جراحهم حتى استعجل هذا الأسير، وقال يا أميرنا ادخل في الموضوع مباشرة هل أنا مقصود؟ أراك تصوب نظرك تجاهي، ومن هذان الضيفان الأبيض والأسود، وما يدري أنهما الخبران يقول وهو يسترسل في كلامه أخي شقيقي توفاه الله رحمه الله، أنا متوقع موته في كل لحظة الله يتولاه برحمته، فقد تعودنا على البلاء، وأشكر لكم حسن عزائكم، وهنا استغل الأمير الفرصة وقال بارك الله فيك، لله ما أخذ ولله ما أعطى فقد جعل الله لكم آية، ومنحكم كرامة، وأعطاكم معجزة، وبانت علامات الرضا عنكم أهل البيت، أنتم أهل رباط وجهاد ابتلاء واصطفاء، وهكذا هي سيرة الأنبياء من سلك طريقهم، وإن القول الذي تعودناه عند كل مصيبة موت وهو «لله ما أعطى ولله ما أخذ» يتجلى بحذافيره وحروفه، وكأني بهذه المقولة ما وضحت لي إلا اليوم فقد أمد الله في عمر أخيك الشقيق عافاه الله من كل بلاء، شفاه الله من كل داء، هو معجزة بحق والآن هو صحيح سليم، وكأنه في ريعان شبابه، وكامل قوته اختفى أي أثر لأي مرض فيه.

**الدمعة الحزينة في البسمة السعيدة:**

وما كادت تتهلل أسارير وجهه وترتسم على محياه ابتسامة المتحجب حتى قال الأمير: وكأن والدتك كانت تدعو الله أن يأخذ ما تبقى من عمرها ويهبه لأخيك الشقيق، رحمها الله رحمة واسعة، فلله ما أعطى ولله ما أخذ فقد أخذ الله أمانته ووديعته، وإننا نحتسب والدتنا كلنا عند الله في أعلى عليين، وقد كانت لتوها قد بدأت ترتسم البسمة، وهو يسمع الحياة الجديدة التي كتبت لأخيه الشقيق، ومع هذه البسمة تقاطرت الدموع من عينيه فقد كان انهمار الدمع أسرع من تلاشي البسمة التي ارتسمت لتوها، أرأيت أخي القارئ مشهداً كهذا؟ بسمة سعيدة مع دمعة حزينة فقد سمعنا من قبل عن دموع الفرح، أما دموع الحزن مع البسمة على وجه واحد، فما سمعناها من قبل وهنا يسارع الأمير خطاه نحو الأخ الأسير ويعانقه عناقاً شديداً، ويبكي معه ودموع المواسين من حولهم والباكين ما توقفت، وهذه قصة من قصص لا تنتهي في مفاجآت الرسائل، والتي ستمكث في طريقها شهوراً أو حتى سنين قبل أن تصل ذويه، وأكثر هذه الرسائل تتيه وتضيع بفعل متعمد من السجان الخبيث، وعن نفسي فما أزال انتظر أن تصل بعض رسائلي إلى أبي وأمي وقد مضى على إرسالها أكثر من عامين.

**لا تتنهد:**

أخي القارئ إليك صورة أخرى من هذه الخاتمة، إنها ما تزال تلح علي أن أسطرها، وهي تستحق ذلك بجدارة وقد سمعتها من كثير من الأسرى يتناقلونها حتى سمعتها، وهذه الصورة تتعلق بالصور وآلامها ووجعها على القلب لا لأنها ستضيف حسرة وحزناً أو حنيناً وشوقاً، فكل أسير وهو ينظر إلى صور ذويه سيشتعل في فؤاده نار الشوق ولكن الألم هنا في عدم معرفة هذه الصور ذلك أن السجان يجمع الصور من ذوي الأسرى ثم يسلمها لممثل الأسرى، وهو يقوم بدوره بتوزيع

هذه الصور على الأسرى وكثيرة هي الصور التي لا يتعرف الأسرى فيها على ذويهم، فلا يعرف لمن ستكون هذه الصور والسبب في ذلك هو تغير الوجوه المألوفة لذوي الأسرى عن حقيقتها، فالأسير الذي ترك أخاه وهو ابن عشر إذا جاءته الصورة بعد ٥ سنين فلن يعرفها وهذه حال كثير من الأسرى وكثيرة هي الصور التي يتعرف عليها الأسرى ولكن يبقى داخل الصورة وجوه أخرى لا يعرفها يتفاجأ لاحقاً أن هذا أخوه أو أخته أو ابنه وكم ستكون الصورة مؤلمة، إذا رأيت الأسير لا يميز بين صور بناته أو إخوانه أو أخواته، فيتحدث الأسير لأخيه عن بناته وهو حزين لأنه لم يميز بين الصور، وأي البنات هي أسماء وأيها هي سماح، والأعجب من ذلك أن يكون في الصورة الجماعية، أحد المقربين من الدرجة الأولى إلى الأسير ولكنه لا يعرف أن هذا يمت له بصلة، ذلك لأن السجان يمنع إدخال الصور غالباً وقليلاً ما يسمح ولكن بعد عناء شديد، وبعد يأس طويل ومماطلة مملة إن هذه التوطئة هي للقصة المؤلمة، وهي تتعلق بأخوين أسيرين وهما كمال وتوفيق أبو نعيم فهما أخوان وقد حكم السجان عليهما بالمؤبد، وقد منع ذويهما من زيارتهما لسنوات طويلة حتى إذا سمح لذويهم بالزيارة منع أولادهما فقد كان عند توفيق الابن الأكبر واسمه عبد الله، وقد كان عند كمال الابن الأكبر واسمه مصعب، وقد زارا معاً وقد حُرما من رؤية مصعب وعبد الله وقد علما من ذويهما أن السجان قد سمح لهما بإدخال صورهما فرغم ألم عدم رؤية ولديهما، فقد فرحا لدخول الصور وبعد انتهاء الزيارة وعودتهما إلى غرفتهما وهما ينتظران على أحر من الجمر أن يريا ولديهما، وقد غابا عنهما لسنين وأخذا يتبادلان الحديث على مسمع إخوانهم الأسرى، يذكران الأخبار المفرحة والمحزنة ويقولان ما أجمل الزيارة لو كان ولدينا في الزيارة، فإذا بالصور تصل ويتسابق الإخوان سراعاً إليها كل ينافس أخاه إلى الباب ليلتقف الصور أولاً ويتقاسما الصور وكل ينظر بلهفة إلى الصور التي في يده ويتلهف للصور التي في

يد أخيه ويخاطب توفيق أبو عبد الله الشباب من حوله، ويريهم صورة ابنه عبد الله في الوقت الذي لا يجد فيه كمال أبو مصعب صورة ابنه مصعب معه فيقول للأسرى من حوله على أنها صورة ابني مصعب فيسارع أبو عبد الله ويـخطفها من يده وينظر إليها ويقول هذه صورة ابني عبد الله، وأبو مصعب يصر ويحلف الأيمان أنها صورة ابنه وفي المقابل يحلف أبو عبد الله الأيمان على أنها صورة ابنه وقد أثار هذا الموقف حزناً شديداً وساد صمت برهة من الوقت، والأسرى تذرف دموعهم وقد سبقتهم دموع الأخوين وصارا يتبادلان الصورة ويتقاسمانها كل ينظر إلى ابنه وكل يرى أن من في الصورة هو ابنه، ولم يحسم الأمر ولا أحد يعرف القول الفصل وصار الانتظار حتى وقت الزيارة الأخرى هو الحكم بين الأخوين وهنا أدعوك أخي القارئ لتنظر ما وراء الخبر ولن أعقب وسأترك لك أخي القارئ تصور الموقف وكيف سيختلي هذا الأسير بنفسه، ويسبح في خياله وهو يحاول أن يجمع بين الصورة القديمة التي ألفها وبين الصورة الحديثة المطلوب منه أن يألفها فليس المقصود من سردي القصة هو لمن ستكون هذه الصورة وقد اتضح فيما بعد أنها لمصعب بن كمال إن ما وراء الخبر هو الألم، وهكذا يفعل السجن بالرجال حتى إنه لا يستطيع معرفة ولده وفلذة كبده وهذه قصص لا تنتهي في السجن.

**وأخيراً: لن ينتهي الألم إلا بالتحرير:**

أيها الأحباب والأصحاب هذه سطور سطرتها بدمع العين الهاطل، ودم القلب النازف ونفس الحر المجروح تحت سياط السجان المحتل، وكل ما أريده من ذكر هذه الآلام هو أن تتعرف على حقيقة معاناة شهداء أحياء أو أحياء وكأنهم أموات، أو أموات وهم أحياء وأقسم بالله العظيم أن كل حرف كتبته كان بألم وكل كلمة ذكرتها توجعت من شدة قهرها، وقد حذفت مئات القصص التي يجب أن تروى وآلاف المواقف التي يجب أن تسطر وملايين الكلمات التي يجب أن تذكر فقط أريد أن

أصل بهذه السطور إلى أن يشعر ذوو القوة والغلبة في قومي، إن كانوا عباداً وقواماً أن يذكرونا بخالص دعائهم، وإن كانوا قادة وكباراً في خطبهم ودروسهم ومواعظهم وإن كانوا من حملة السلاح والعتاد والقتال ألا يتأخروا في إنقاذ هؤلاء الأطهار والأخيار فقد طال بهم البلاء وتثاقلت عليهم الهموم وهدت أجسامهم سياط الجلاد وما عادوا إلا قلوباً حية نابضة في أجساد تتآكل كل يوم من أطرافها والله الذي لا إله إلا هو، ما تمر لحظة واحدة إلا وأسير يئن، وينتظر الفرج، وقد تأخر كثيراً وكثيراً جداً جداً، فماذا نقول لذي الشيبة الكبير، وقد دخل السجن وهو شاب أو صغير، وقد مضى على حبسه وسجنه ما يقرب الثلاثون عاماً، انتظر المزيد، كلا والله، إن ذلك لشين في خلق الرجال وعيب يلاحق كل المجاهدين وجرح نازف شديد في قلب كل حر غيور صحيح أن آلام شعبنا لا تنتهي الأحزان ولكن من رحم المعاناة كان يولد الأمل، ومن خضم المعارك كان يتحقق النصر فليس هناك بعد هذا البيان بيان، وليس هناك عذر لقادر وكل يتحمل المسؤولية وعلى كل مؤمن مجاهد غيور أن يشارك في التحرير فمن لم يستطع بسلاحه وعتاده فبلسانه وبنانه، فمن لم يستطع فبقلبه ودعائه أنقذوا الأسرى أنقذوا الأسرى أنقذوا الأسرى، أنقذوهم من بين أنياب المحتل، أنقذوهم من الفراق الجارح أنقذوهم من الهم القاتل، أنقذوهم من العذاب القاهر، أنقذوهم من المرض الفاتك، ودقيقة فدقيقة وساعة فساعة، أنقذوهم فإنهم يساومون على دينهم ووطنهم وعقيدتهم وفكرهم، أنقذوهم فإنهم في كل لحظة يفتنون ويراد لهم أن يسقطوا لا تتركوهم صرعى جراحاتهم وآهاتهم، فإنهم أغلى ما تملكون، أنقذوهم ولو نفذت خزينة الدولة والأمة من جميع النفقات والأموال، ليس ذلك قولنا بل هو قول فقهاء الأمة من أقدم عصور العزة والكرامة، أنقذوهم أنقذوهم أنقذوهم حتى لا يتعذب ذووهم، حتى لا يتعذب أبناؤهم بفقدهم وغيابهم وحرمانهم، أنقذوهم حتى لا تتعذب الأمهات، وتتجرع الآهات، أنقذوهم حتى

لا ينكسر ببعدهم آباؤهم، أنقذوهم رحمةً بفلذات أكبادهم وإخوانهم وأخواتهم، أنقذوهم أنقذوهم أنقذوهم ففي ذلك عزة وكرامة، وفي ذلك فخر وشهامة في ذلك انتصار وشجاعة، أنقذوهم أنقذوهم أنقذوهم، وإلا فإن شماتة الأعداء تقتلهم، وازدراء السجان يقهرهم واستهزاء واستخفاف المحتل بمن خلفهم يجرعهم الألم فوق الألم، أنقذوهم أنقذوهم فإن حقارة المحققين وسومهم العذاب فوق العذاب وغلاظة طبعهم ودناءة خلقهم وخسة ألفاظهم ما تزال تسري في عروقهم جحيماً، وتوقد في أفئدتهم سعيراً، إنهم يتعذبون ويتألمون ويتوجعون، فأنقذوهم وأنقذوهم وأنقذوهم وإن الفرج قادم وإن النصر آت، وإن الخلاص قريب، والكريم من أكرمه الله، والفائز من سبق المتسابقين ونافس المتنافسين ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] ويسألونك متى هو، قل عسى أن يكون قريباً.

❃ ❃ ❃

## الخاتمة

إنني ومن خلال المعاناة التي حاولت إبراز شيء منها في الفصول السابقة خلصت إلى وصايا هامة واستنتاجات ضرورية وأهمها:

ـ ما تزال هذه المعاناة غائبة عن كثير من أبناء شعبنا، رغم أنه ما ترك بيت إلا وفيه أسير أو قريب أسير أو صاحب أسير.

ـ يجب إبراز هذه المعاناة والجرح النازف من خلال كل الوسائل والبرامج والمؤسسات بطرق أكثر فاعليه وأشد تأثيراً.

ـ يجب إنتاج مسلسلات على غرار المسلسلات التركية، لا تتوقف حلقاتها حتى تغطية المعاناة من جميع جوانبها وأهمها:

مصائد العصافير، فإن غزارة الإنتاج فيه، وكثرة التفاصيل تقنع كل مخرج إذا توفر القلم الذي يلم بكل التفاصيل.

معاناة العزل والمرضى والزيارات ومهازل المحاكمات.

انتهاكات السجان بحق الأسرى في التفتيشات والقمعات والبوسطات، وردود الأسرى بالإضرابات وخطواتهم البطولية في التحدي والصمود.

ـ إن الأسير لا يخفف عنه وهو وحيد ومستفرد به في الأسر إلّا الإفراج، وما دام الاحتلال موجوداً فلن تنتهي قضية الأسرى إلّا بالصفقات التي لا تطيل بقاءهم

في السجون لعشرات السنوات، وبحق فإن الفصائل لا تزال دون المستوى المطلوب بهذا الأمر، سواء على المستوى العسكري أو السياسي.

ـ يجب كتابة موسوعة عن أسرى فلسطين في سجون الاحتلال من أول أسير وإلى اليوم وهذه تحتاج لمؤسسة وطاقم متكامل فقد تركنا في هذا الكتاب الكثير الكثير مما يستدعي الواجب ذكره، لعدم إحاطتي الكاملة به، فشهداء التحقيق وفضائح وجرائم المحققين لا تنتهي، فلم أتطرق إليها إلا قليلاً وكذلك العقوبات الباهظة، ونظام المنهجية المدروسة لها مسبقاً، لم أتطرق لكل ذلك، بالكيفية الكاملة لسعته وكثرة تفاصيله وهناك فصول كثيرة تحتاج إلى إبراز وكتابة.

وأخيراً أسأل الله العلي القدير، أن ينال هذا الكتاب إعجاب الأخوة القراء، ويوصل شيئاً من الفكرة التي أرغب في إيصالها، وأن يكون له الأثر في فك قيود الأسرى.. اللهم آمين.

* * *

# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **الإهداء** | ٥ |
| **تقريظ** | ٧ |
| **تقديم** | ١١ |
| **المقدمة** | ٢٧ |
| **الفصل الأول**: **من هنا كانت البداية فمتى ستكون النهاية** | ٣٣ |
| **أولاً**: **هذه قصتي أكتبها لمن أحبني** | ٣٥ |
| **ثانياً**: **من هنا كانت البداية** | ٣٩ |
| **الفصل الثاني**: **جرائم الزنازين ومكر المحققين ومصائد العصافير** | ٤٥ |
| **أولاً**: جرائم الزنازين | ٤٧ |
| **ثانياً**: مكر المحققين | ٥٢ |
| **ثالثاً**: مصائد العصافير | ٥٨ |
| **الفصل الثالث**: **إلى الأقسام وسرد الحياة للأيام والأعوام** | ٨٥ |
| **أولاً**: تعاريف ومصطلحات | ٨٧ |
| البدايات لا تنسى والذهول لا يتوقف | ٨٨ |
| **ثانياً**: حر الصيف اللاهب، وبرد الشتاء القارس | ٩٥ |
| **ثالثاً**: نهار الأسير واستيقاظه وقت السحر وحتى نومه بعد السهر | ١٠١ |
| **رابعاً**: المعاناة اليومية في حياة الأسرى | ١٠٦ |

**الموضوع** **الصفحة**


اللجان العامة ........................ ١٤١

**الفصل الرابع: البوسطات الأشد ألماً، والأكثر قهراً السفر قطعة من العذاب** ........ ١٤٧

**أولاً:** تفاصيل في البوسطات ........................ ١٤٩

**ثانياً:** أكذوبة المحاكم أو مهزلة المحاكمات ........................ ١٦٣

**ثالثاً:** بوسطة المستشفى ........................ ١٦٩

**الفصل الخامس: التفتيشات والقمعات** ........................ ١٩٥

**أولاً:** التفتيشات ........................ ١٩٧

طريقة تفتيش الجماد ........................ ٢٠٥

**ثانياً:** القمعات والحرب المستعرة والمواجهة المباشرة ........................ ٢١١

**الفصل السادس: الإضراب** ........................ ٢٢٥

**الفصل السابع: زيارات ذوي الأسرى لأسراهم** ........................ ٢٤٥

**نافذة أمل** ........................ ٢٤٧

**الفصل الثامن: المناسبات والشعائر في السجون الصهيونية** ........................ ٢٦١

**أولاً: شهر رمضان المبارك في سجون الاحتلال** ........................ ٢٦٣

**ثانياً: الأعياد في السجون** ........................ ٢٧٢

**الفصل التاسع: أخيراً** ........................ ٢٨٧

**أولاً:** العزل الانفرادي آلام لا تتوقف ........................ ٢٨٩

**ثانياً:** وأخيراً: وتستمر المعاناة ........................ ٢٩٤

**الخاتمة** ........................ ٣٠٥

**الفهرس** ........................ ٣٠٧